



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



ارسلنا
عليكم يا صابغ
الرماد

www.ghaemiyeh.com
www.ghaemiyeh.org
www.ghaemiyeh.net
www.ghaemiyeh.ir

محمد فى القرآن



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

محمد (صلى الله عليه و آله) فى القرآن

كاتب:

رضا صدر

نشرت فى الطباعة:

مجهول (بى جا ، بى نا)

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١٠	محمد فى القرآن
١٠	اشاره
١٠	تمهيد
١١	القرآن الناطق
١١	اشاره
١٥	قارئنا المميز و العزيز
١٦	محمد فى سطور
١٦	من هو محمد
٣٧	و من بشارت نبوته
٣٧	اشاره
٣٧	بشارتان
٣٨	نظره إلى الكريمة الاولى
٣٩	بشاره موسى و عيسى
٣٩	نظره إلى الكريمة الثانية
٤٠	البشارت بقدم الأنبياء
٤٢	البشارت الصامته
٤٥	اسلاف ساجدون
٤٥	اشاره
٤٨	ايواء ربوبى
٥٠	هدايه إلهيه بشكل مباشر
٥٢	اغناء إلهى
٥٤	شكر النعمه
٥٧	اميه قبل الرساله

- ٦١ منح إلهيه
- ٦١ اشاره
- ٦١ شرح الصدر
- ٦١ وضع الوزر
- ٦١ انقاص الظهر
- ٦١ رفع الذكر
- ٦٢ خلق عظيم
- ٦٢ اشاره
- ٦٢ لنت لهم
- ٦٥ فاعف عنهم
- ٦٧ و استغفر لهم
- ٦٩ و شاورهم فى الأمر
- ٧٠ فإذا عزمت فتوكل على الله
- ٧١ لا نفضوا من حولك
- ٧٤ قل اذن خير لكم
- ٧٥ عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم
- ٧٦ و إنك لعلى خلق عظيم
- ٨٤ زهد لامثيل له
- ٨٤ اشاره
- ٨٧ عام الفتح
- ٩٥ عباده رائعه
- ٩٩ عصمه حصينه
- ٩٩ اشاره
- ٩٩ العصمه
- ١٠٣ نظره إلى الآيات
- ١٠٤ اهل بيت الوحى

- ١٠٤ اشاره
- ١٠٥ اهل البيت
- ١٠٧ وحي النبوه
- ١٠٧ اشاره
- ١٠٨ الوحي
- ١٠٨ الوحي فى القرآن
- ١٠٨ قل إنما أنا بشر مثلكم
- ١٠٩ يوحى إلى
- ١٠٩ نزله على قلبك
- ١٠٩ ما كان لبشر أن يكلمه الله
- ١٠٩ و لا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه
- ١١٠ الايمان بالوحي
- ١١٢ تقسيم
- ١١٢ اسطوره و خرافه
- ١١٤ رساله عالميه
- ١١٤ اشاره
- ١١٥ يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا
- ١١٦ على عبده
- ١١٨ لقد من الله
- ١١٩ على المؤمنين
- ١٢٠ من أنفسهم
- ١٢٢ عالميه الرساله
- ١٢٣ الملائكه
- ١٢٤ الجن
- ١٢٩ النداءات القرآنيه
- ١٣٠ عود على بدء

- ١٣٠ يتلوا عليهم آياته
- ١٣٢ و يذكهم
- ١٣٤ تطهير الأعراق
- ١٤٠ الكتاب و الحكمة
- ١٤٥ و يعلمكم ما لم تكونوا تعلمون
- ١٤٦ و إن كانوا من قبل لفي ضلال مبين
- ١٤٨ معجزه خالده
- ١٤٨ اشاره
- ١٤٩ الاعجاز
- ١٥١ معجزات محمد
- ١٥١ اعجاز القرآن
- ١٦٥ المنذر و إنذاره
- ١٦٥ اشاره
- ١٦٥ اوصاف المنذر
- ١٧٦ سير الانذار
- ١٧٨ المبشر و بشائره
- ١٧٨ اشاره
- ١٧٨ يا أيها النبي
- ١٧٨ البشائر
- ١٧٨ نظره إلى الآيه الكريمة
- ١٨١ الانذار و التبشير
- ١٨٦ الداعي، و ألوان من دعوته
- ١٨٦ اشاره
- ١٨٨ الحكمة
- ١٨٩ الموعظه
- ١٩٠ الجدال بالتى هى أحسن

١٩١	صوره الدعوه
١٩٢	نوعيه الدعوه
١٩٣	و من دعواته بالحكمه
١٩٨	و من دعوته بالموعظه
٢٠٣	و مما جادل به
٢١٧	المبلغ و تبليغه
٢١٧	اشاره
٢١٧	يا أيها الرسول
٢١٧	بلغ ما أنزل إليك من ربك
٢١٨	و الله يعصمك من الناس
٢٢١	اهتمام الرسول بتبليغ ما أنزل إليه من ربه
٢٢٤	وحده البدايه و النهايه
٢٢٤	سخط النفاق على التبليغ
٢٢٥	المناشده بالنص
٢٢٥	الولى و ولايته المطلقه
٢٢٥	اشاره
٢٢٧	تكمله
٢٢٨	خاتم النبيين
٢٣٠	پاورقى
٢٥٩	تعريف مركز

المولف : سيد رضا صدر

الناشر : سيد رضا صدر

تمهيد

إن آيه الله الحاج السيد رضا الصدر - قدس سره - (١٣٧٣-١٣٠٠) مفسر بارع ذو منزله عالىه، و حكيم و متكلم قل مثيله. و هو من عائله علميه عريقه ورثت العلم خلفا عن سلف و قد اشتهر بالعلم و التقوى و الفقاهاه.ولد فى مدينه مشهد المقدسه، و درس المقدمات فى حوزتها، و بعد أن أنهى دارسه المقدمات هاجر إلى مدينه قم المقدسه برفقه والده آيه الله العظمى السيد صدرالدين الصدر - قدس سره - قدس سره - الذى يعتبر من المراجع الكبار فى ذلك الوقت.لقد درس دروس السطح والخارج فى الفقه والأصول و الفلسفه و العرفان على أيادى كبار أساتذته الحوزه العلميه فى مدينه قم المقدسه؛ من أمثال والده، و المرحوم آيه الله العظمى حجت، و المرحوم مؤسس الجمهوريه الإسلاميه فى إيران آيه الله العظمى الإمام الخمينى - قدس سره - و فى خلال مده قصيره عد من البارزين فى الحوزه العلميه؛ و ذلك بسبب جهوده الكبيره، و نبوغه البارغ. و لا تصافه بصفات خاصه عد من الشخصيات العلميه المشار إليها بالبنان.و إن هذا العالم الجليل الذى حصل على أعلى المراتب العاليه فى الاجتهاد كان فى نفس الوقت فى مستوى المرجعيه، و مدرسا للعلوم الحوزويه، و كاتباً مؤثراً فى النفوس، و صاحب بيان جميل.ولباعه الطويل فى جميع ميادين العلوم استطاع أن يترك خلقه ثروه علميه كبيره، و من جملتها فى العلوم القرآنيه؛ و من الآثار التى تركها فى ذلك هى: ١. تفسير سوره حجرات؛ [صفحہ ١٤] ٢. حسن يوسف «تفسير سوره يوسف»؛ ٣. محمد صلى الله عليه و اله فى القرآن؛ ٤. المسيح عليه السلام و سلم

فى القرآن؛ ٥. راه قرآن. و أخيرا كان فى صدد تأليف كتاب «الكليم فى القرآن» و قد حرر بعض صفحاته، و لكن الاجل حال بينه و بين إتمامه. إن اجتماع إتقان الموضوعات و المطالب، مراعاة الامانه فى نقلها، مع تقوى الكاتب، بالإضافة للتفكير العميق و البحث الدقيق، قادر على أن يروى عطاشى معرفه الحقيقه من عين المعرفه الصافيه. و نحن نرى بوضوح هذا الميزات فى الآثار العلميه القيمه التى خلفها المرحوم آيه الله الصدر. و أما ترجمه حياته - رحمه الله - فقد كتبت فى العدد الأول من سلسله آثاره، أى فى تفسير سوره الحجرات. و فى الختام، نسأل الله سبحانه و تعالى أن يوفقنا لإتمام آثاره العلميه بالنحو الاثق، ليعم النفع فى الحوزات العلميه و الامه الاسلاميه. و نتقدم بالشكر الجزيل لجميع المسؤولين فى مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامى فى قم المشرفه الذين هياؤوا السبل لنشر هذه المؤلفات. السيد باقر خسرو شاهى [صفحه ١٥]

القرآن الناطق

إشاره

بسم الله الرحمن الرحيمو الصلاه و السلام على الرسول الأمين، و على آله و صحبه الطيبين. و بعد، حين نكون مع الشخصيه المحمديه لابد لنا من خشعه صلاه، و صيحه حريه، و معجم فضائل. و نصلى بين يديه و فى محرابه و كأننا لسنا من الأرض، و نضرب فى ارضه، و نصيح فى الناس: حريه على نهجه، و كأن أرواحنا ليست من السماء. الصلاه التى هى انعتاق من قيد الأرض، و قبضه الطين، و اتصال بالملاء الأعلى، و بالوجود كل الوجود. و هو الضرب فى الأرض، لتعميرها للناس، و لتعمير الناس فى الأرض. أن يكون محمد صلى الله عليه و آله، فالله قد ألقى الكلمه الاخيريه فى الناس كل الناس. و قضى ربك أن يتوارى الحنان الأبوى العميق عن

محمد؛ لتَهطل السماء على جنات نفسه حنان الحياه، و متى كان حنان الرحمن الرحيم فليذهب بك الظن ما شاء له أن يذهب إلى صنع ربك. و درج اليتيم على مصعد الحياه نبتة اقطعت من السماء بين نبات الصحراء؛ لتصدر في زحمة الفجر، و حمأه الكفر شهاده عنوانها «الصادق الأمين»؛ تمهيدا الكلمه السماء، و توثيقا للحجه [صفحه ١٦] على الشهود. إن قيمه الأرض هي بقيمه من يمر عليها، و قد يمر عليها وحش ذو ظفر و ناب، فإذا غاب و قد يمر عليها إنسان فإذاها وطن حريه، أو سماء شاعريه، أو مهبط وحى و نبوه، و مر محمد صلى الله عليه و آله في الجزيره، فإذا بها اختصار مهابط الوحى؛ لان الشخصيه المحمديه بالنسبه للرسول تغنينا عن الكل، و لانها صورته الكل فى مرآه الكل. لا يعجب الناس لألوان الأزهار و العطور فى الرياض الناضره، و لكن عجبا سيملاً قلوبهم حين يرونها مستويه على سيقانها فى الصحراء الجديده المختصره بلهب الرمل، و زفيف الريح، و اختناق الحياه. و كان النور الذى لا- حساب لفيضه - إن فى الليل و إن فى النهار - فى غاره و قلبه، و كانت كلمه «اقرأ» ميلاده الجديد، ميلاد مسؤوليته، و فاتحه و ساطته بين السماء و الأرض. و مشى به الطريق الصعب إلى غايتها المثلى، و ما أدراك خلال ثناياها ما سواد الفجور و الشرور، و ما ويلات الأحقاد فى الصدور، و ما نفثات الغدر فى الصدور؟! و توهج محمد صلى الله عليه و آله كلمه الله و نوره و إرادته على العصور. التأريخ المحمدى و ثيقه لافته و مدعمه لصوره أعظم ملحمه فى التأريخ الدينى. إن العقيدته لا تبلغ النصر و الفتح إلا بعد أن تنتصر على أصحابها،

و بهذا النصر - الذى كان نسخه مفرده - سحق محمد صلى الله عليه و آله صنميه الإنسان قبل أن يسحق صنميه الحجر، و تحطيم القيد النفسى أحوج إلى البذل، و أدعى إلى التضحية من تحطيم القيد اليدوى. و انتصر محمد الانسان قبل أن ينتصر محمد النبوه، فكان محمد الثانى بمحمد الاول، و كانت عظمه محمد صلى الله عليه و آله الانسان هى هى قبل النبوه و بعدها. عجباً! أى عجب لانسان قادر على التسور كالعملاق، و على الانتصاب كالسماء، و على التماسك كالجبال، و على التمدد كالآفاق، فينقلب متآكلاً كالعناكب، ضامراً كالبعوض، مرمياً كالفضلات، ضائعاً كالفزاع! و طفق محمد صلى الله عليه و آله يمد على الدهر جناحاً. صيحاته الحق لها لفح لهب، و لها زفيف ريح، و رها وجه ثوره. [صفحہ ۱۷] كلماته الطيبه هى نجوى فى محراب، أو دعاء فى غار، أو حداء فى عتمه من الليل بهيمه، إما ايقاظاً لغفله، أو ايناساً لشقى، أو هدايه لضال، أو نورا بين يدي مؤمن. انسانه وضح كفلق الصبح، و صراحه كتفتح الزهر، و اشراقه كنور اليقين. انسانه - سواء قبل البعثه أم بعدها - ميزان عنوانه: تماسك البنيان، و وحده الاركان فى الفكره و الحركه و الجنان و اللسان. كلمته الفصل لا الهزل، حكمه العدل، موقفه المبدأ، ارادته جبل يدخل فى جبل، أو أرض تشتد فى سماء. قلبه نور من النور، أو هو وجدانيه الملائكه الذين ليس بينهم و بين الملا الاعلى حجاب. هو أرض فى سماء أو هو سماء فى أرض. صنع الله على عينه، فاختصر الانسانيه بأنيانها و حكمائها خلال كل عصورها. انه يغنيها عنهم و لا يغنونها عنه. الميزان المحمدى هو الوحده المتجانسه بين نفسه و ربه و الناس، الوحده

كما اللون مع اللون، و كما الخط مع الخط، و كما الكون الجمال بعضه ببعض، و يجمل بعضه بعض. لم يكن محمد صلى الله عليه و آله بمقدار نفسه، انما كان على شىء من الحقيقه التى بها كان يؤمن. محمد صلى الله عليه و آله بايمانه طوع الجبال، و قتل الشيطان، فهل نحن منه فى شىء حين تطوعنا الاقزام؟ لقد امتشق محمد صلى الله عليه و آله سيف الحق، فاذا بالسيف عصا الراعى! و شاء ربك المعلم الانسان، و النبى المصطفى، ثم قال: اليه اشخصوا، و الى سمائه اصعدوا، و من مدارسه الغنيه تناولوا؛ حتى تصلحوا و تغنوا. يا محمد صلى الله عليه و آله! هذه كلمتنا فيك اليوم و كأنها تسرح على الشمس، أو كأنها نشوه العباده، أو نشيد الحريره، أو انفتاحه المدى. هذه الكلمه ما اطمأنت الى غايتها، ما تكافأت مع ضميرها، ما قررت فى مقرها و مستقرها. ما انفعل او تفاعل خبرها بمبتدئها كما هى فى سيرتك. [صفحه ١٨] و كثيرا ما انطوت كلمتنا ضامره تتأكل إثمًا، خجلى تتلوى جوعا أو التواء او فراغا، هابطه تدس رأسها فى التراب إلا فى مناسبتك. كلمتنا المحمديه هذه و كأنها تنطق و حيا، و كأنها تملأ الوجود حضورا، أو كأنها تزحم السماء بالكبرياء، و تتماسك بعقلها و قلبها جبلا؛ لانها تحكى حرفا من قصتك الوطيله الفريده. و قصتك هى كل الحريره، و كل الايمان، و كل إرادته الله فى الخلق. و شخصيتك فى قصتك هى الدليل الاقوى على نبوه الانبياء نمن بشائرهم بنبوتك. إن شخصيتك مكتمله الخلال، ناضجه الوعى، منفتحه العقل، نيره القلب، حيه الضمير و الوجدان. ما الشجاعه إن لم تكنها؟ ما الفطنه؟ ما السياسه؟ ما الامانه و العزه إن لم يكنها؟ ما حسن التدبير و براعه التصرف؟ ما الصبر

الجرى و الاراده المعجره؟ ما الايمان الموقف إن لم يصدر عن قلبه، او ينبثق عن وعيه، كما ينبثق الشعاع عن الكواكب، والاريج عن الزهر؟

قارئنا المميز والعزير

ان هذا الكتاب الوافد علينا من ديار العجمه، و ما هو بعجمه، إنما هو كالمائده المشتهاه اينما وقعت ايدينا عليها فإنها لا تقع إلا على خير كثير.الكتاب محمدي الموضوع، فانتظر لما يوحى.الكتاب صدرى التاج فى معناه و مبناه. فانتظر العطاء الخلاق و الابداع المثير، والعلم الذى هو من الموارث النبوه.و حين كان لعلامتنا - حفظه الله - هذا الكتاب كانت له الجرأه المقتحمه، و كانت له الثقه اليقين بعلمه المحيط، و كان له اخلاصه الحى، و قلبه الصفى، و مبادرته الرساليه.إن الكتاب «محمد فى القرآن» كبير على صغره، طويل على إيجازه و قصره، غنى و سخرى على اختصاره و لمحاه.إنه كتاب تنضوى تحت عنوانه الموضوعات التاليه: [صفحه ١٩] محمد فى سطور. من بشائر نبوته، أسلاقف ساجدون. إيواء ربوبى. اميه قبل الرساله. منح إلهيه. خلق عظيم. زهد لامثيل له. عباده رائعه. عصمه حصينه. أهل بيت الوحى. و حى النبوه. رساله عالميه. عود على بدء. معجزه خالده. المنذر و إنذاره. المبشر و بشائره. الداعى و الوان من دعوته. الولى و ولايته المطلقه. خاتم النبيين.إذا أردت أن يكون هذا الكتاب فى الميزان، أو شاءت بك المعرفه الدقيقه أن يكون له تقويم فإليك:- هى المنهجيه الواعيه فى التبويب و التدرج و التنظيم؛ لان علامتنا - حفظه الله - يعرف ما يريد من مبتدأ الكتاب إلى خبره.- هو إبراز معالم الشخصيه المحمديه نبوه و خلقا، عقلا و قلبا.- إحاطه بالموضوع فى جمله قضاياه، و إن كان محمد صلى الله عليه و آله لا يحيط بدنياه

شىء فى الكتاب للعلم غزاره، و للثقافه سعه فى أى من أصعده العلم و الثقافه. - الاعتماد المطلق على التوثيق والاسناد الوثائقين و الموثوقين إقامه للحجه التأريخيه و العقلية. - التفاتات مثيره، و معطيات خلاقه جديده رغم القرون التى توفقت بأيامها و ساعاتها عند محمد صلى الله عليه و آله، تدرسه على أيدي كل أناسها الواعين فى شرق الدنيا و غربها. - استنتاج و استخلاص رائدان؛ لأنهما ولاده الفطنه و الجهد و اليقين. - التركيز المضغوط على محمد القرآنى، دون الخروج عن دائره القرآن؛ حتى لا- تكون للمباحث فلتات، و لا للتأويلات شبهات. - إيجاز رصين و لا تقصير. موضوعيه عقلانيه و لا هوى و إن كان علامتنا - حفظه الله - يعيش محمدا صلى الله عليه و آله فى قلبه. - عباره عربيه أصيله و لا- ارتشاء. ألفاظ مأنوسه لا لكنه فيها رغم عجمه أرضها و مدرستها و مناخها. ايها القارى الجائع الظامى إلى معرفه الحق و الجديد فى محمد القرآن، ها هو ذا الكتاب الذى يغنى و يضمن بين يديك. [صفحہ ۲۰] بارك الله - سيدى - فى عطائك، و جانا الذخر بعلمك، لتعطى و تطعطى - كما هو شانك - لله و بالله، و بدون حساب. حسين صور حماده ۱۲ ربيع الاول ۱۴۰۹ هـ ۲۲/۱۰/۸۸ م دارالارقم [صفحہ ۲۱]

محمد فى سطور

من هو محمد

سؤال يدور بخلد الكثيرين من أحياء محمد صلى الله عليه و آله و أعدائه على السواء. سؤال لم يستطع أحد أن يدعى أنه قد أجاب عنه بشكل مقنع و مقبول. و من خيل اليه أنه أجاب فقد يراه غيره أنه مخطى فى الجواب. لم يكن محمد صلى الله عليه و آله رجلا مجهولا كى يحتاج إلى التعريف. إنه أعرف إنسان أقلته الأرض

منذ بسطت، و أظلمت السماء منذ رفعت، و مع ذلك لم يعرف محمد صلى الله عليه و سلم حتى الآن حق المعرفة. و بقى السؤال: من هو محمد؟ إن مستوى العقل البشرى لما يصل إلى حد يستطيع أن يدرك ذلك المستوى الأعلى لتلك الشخصية الفذه الرائده. وكيف يستطيع الدانى أن يتلمس أو أن يدرك من بلغ أعلى مراتب الكمال الإنسانى؟ و من حاول الجواب عن سؤال فقد عن أخبر عن مقدار معرفته بهذا الانسان العظيم. إنسان خلق لتسجد فيه الانسانيه بأعلى صورها و أعمق و أرق معانيها. و من يقول: محمد إنسان كامل أو إنه رائد الانسانيه فهل هو مدك لمضمون هذه الكلمه «إنسان كامل»؟ و هل هو واقف على مغزى هذه الصفه و موصوفها؟ [صفحه ٢٢] و ما الذى يقصد من هذا الكلام «إنه إنسان كامل»؟ و ما حقيقه مفهومه؟ و قد فاقت معرفه محمد صلى الله عليه و آله المعارف البشريه. إن معرفه محمد صلى الله عليه و آله تكمل العقول البشريه و معارفها، و تزيد فى فضائلها و محاسنها. و ما أجد أن يؤسس معهد لدراسه هذا الانسان العظيم ليبحث عن مختلف جوانب شخصيته الفذه، فإن نجح المعهد فى دراساته فإنه يكون قدم إلى العالم البشرى أسمى معرفه. لقد كان البحث عن حياه محمد محط أنظار الكبار من العلماء و المفكرين منذ عهدہ إلى هذا العصر، و لسوف يكون كذلك فى المستقبل. لم يختص محمد صلى الله عليه و آله بقوم دون قوم، و لا بقطر دون قطر. إنه إنسان و لنوع الانسان، إنه بشر لم ترعين البشريه مثله، و لن... و إذا ما ارید فهرسه الكتب و المقالات التى كتبت حول محمد صلى الله عليه و آله بجميع

اللغات العالميه و بمختلف الآراء و المعتقدات فسنجد أمامنا موسوعه لا يدانيها أى كتاب كما و كيفا.قد يبحث عن حياه محمد صلى الله عليه و آله كشخص، و قد يبحث عن حياته كنبى، و إن كانت الحياتان متداخلتين فى حياه محمد صلى الله عليه و آله.حيث إنه خلق ليكون نبيا، و ليكون رائدا للبشرية من البشر، إنسانا ينقذها من مخالب الأنانيه و الشهوه و الغضب، و من العصبيه الذميمه، سواء أكانت عصبيه عنصرية، أم قبلية، أم إقليميه، أم كانت عقائديه، و هى أشدها.لقد أتى محمد صلى الله عليه و آله بدستور للحياه، و ضحى فى سبيل الإنسانيه، و أنقذها من الهلاك حينما كانت على شفا حفره منه.و جاء بتعاليم أنقذ بها نفوسا من الذل و الأسى، و أقواما من المهانه و الاستعباد، لا فى عصره فحسب و إنما فى كل العصور.و قدم إلى البشريه مثلا عليا خلق بها الكثيرين ممن استطاعوا أن يعرفوا الإنسانيه أحسن تعريف، و يمثلوها أكمل تمثيل. [صفحه ٢٣] و لم يستطع المفكرون العالميون، ورواد العلوم البشريه، و أساتذه الجامعات، و أرباب العقول الجباره - مجتمعين - أن يأتوا بمثل الشرع الذى جاء به محمد صلى الله عليه و آله وحده، و لا بما يقاربه. فقد أهدى إلى المجتمع البشرى حياه سعيده لم يرها و لا عرفها من قبل أحد، و لم يطلب منه على ذلك أجرا.إنه دعا إلى إقامة العدل، و القيام بالقسط، و محاربه الظالم، و نصره المظلوم، و إعانه المحروم. و كان العالم قبل ظهور محمد صلى الله عليه و آله جسدا بلا روح، و ظلما كله، فأتى محمد صلى الله عليه و آله بروح للعالم، و بحياه لتلك

الأرض الميتة. بل فمحمد صلى الله عليه وآله ذاته هو روح العالم، وشمس أشرق الكون ببهجته وضيائه. ولولا محمد صلى الله عليه وآله و تعاليمه و شريعته لم يكن المجتمع البشرى سوى مظالم و ظلم، و مكارم و عقد، لا- ترى فيه إلا- نفوسا بائسه، و مجتمعات يائسه، لا تجد سعادته و لا هناء، و لا تلوح أفقها البعيد البعيد طلائع بهجه و لا كرامه. إنه الذى ألغى الميزات التى قررها الجنس الا بيض لنفسه على سائر الاجناس. إنه الذى حارب القوميه و العنصريه و كافح العصبية. إنه الذى بذل جهده فى إنقاذ المضطهدين من أيدي الظالمين. إنه الذى صرف همه لإزالة سلطه الاقوياء عن الضعفاء، و الاغنياء عن الفقراء. إنه الذى نادى بإحقاق حقوق المحرومين. إنه دعا إلى العلم و هو أمى و هل شوهه أمى يدعو إلى العلم و يحارب الجهل؟! إنه الذى قرر حقوق المرأة، و أنها بشر كالرجل. إنه الذى سعى لأن يجعل من العالم مدينه فاضله يحكمها العقل و المثل دون العاطفه و الهوى. و كان رائد الانسانيه و منقذ البشريه، و قد ظهر بين أقوام كانوا أذل الخلق و الخليقه، فأصبحوا يمينه أعز الخلق على مدى قرون و أعصار.... كانت الحضاره البشريه إبان محمد صلى الله عليه وسلم مندرسه سائره فى طريقها إلى الهلاك و الدمار، فتغير وجهها بظهور محمد صلى الله عليه وسلم و تبدلت سيرتها و تحولت. [صفحه ٢٤] نعم، رجعت إلى طريق التقدم، و ما أفضل هذه الرجعه! إن كلا من الملك و الحيوان ينظر بعين واحده، فالملك فاقد للعين اليسرى فلا يرى الأمور الماديه و الرغبات الطبيعیه، و الحيوان فاقد للعين اليمنى فلا يرى الأمور الروحيه و المثاليه. و ميزه الكائن البشرى:

أنه كائن من روح يجمع بين الروح و المادة، فهو حي قد جمع العينين: اليمنى و اليسرى معا، فإذا نظر يبعينه اليمنى وحدها انصرف عن جانبه المادى، و نقص نفسه بتكريس معنويته و مثاليته و بمعاداه رغباته الطبيعیه، و صار عدو نفسه كما وصفه الامام على بن أبى طالب صلى الله عليه و آله. و إذا نظر ببعينه اليسرى - فحسب - و أهمل جانبه الروحى و جعل غايته المثلى إشباع شهواته و إرواء رغباته فهو ظالم لنفسه، حيث قد نزلها عن مستوى البشر إلى حضيض الهمجيه و الحيوانيه. و هذه الازدواجيه هى التى مكنت البشر من اختيار غايه لهم، و هذا هو الطابع الخاص به، ذاك الذى به امتاز البشر عن الحيوان و الملائكه. و وجه محمد صلى الله عليه و آله الانسان إلى النظر بكلتا عينيه، و أرشده إلى السلوك للصرط المستقيم، لا- إلى اليمين و لا إلى اليسار، و صده عن الالتواء إلى أحد الجانبين؛ لان ذلك تنكب عن الطريق. و قدم منهاجا يصعد به الانسان فى مدارج الرقى الانسانى، و سمح له بتحقيق ما تصبو إليه نزعاته و التمتع بمتع حياته. و لكنه جعل لذلك حدا، و هو أن لا ينتهى إلى الظلم، ظلم نفسه و ظلم غيره. و لم يكتف بدعوه الانسان إلى المثل و الفضائل، بل وجهه إلى طريق يسكله إلى الرقى الحضارى و الحياه الماديه السعيده. فهو قد جاء لإسعاد الإنسان فى دينه و دنياه. إن الباحثين فى علم التأريخ يعرفون أن الرقى الذى وصل إليه البشر فى الحضاره و العلوم و الفنون و المعارف بعد محمد صلى الله عليه و آله لا يقاس به ما وصلوا إليه من قبل. [صفحه ٢٥] بيد

أن البشر في القرون المتقدمة عليه أكثر عدداً و أطول زمناً، فلم تر البشرية عبر عصورها من خدمها مثل محمد صلى الله عليه و آله. إنه أعظم إنسان حملته الأرض عبر التاريخ، و هو للعالم كله و ليس للشرق خاصة. كما أنه ليس للمسلمين فحسب، إنه للبشرية أجمع، و العظيم لا يحد بمكان و لا بزمان. و كذلك دعوته لم تكن محددة بمكان و لا بزمان، كما أن انتفاع البشرية من دعوه محمد صلى الله عليه و آله لم يكن محددًا بمكان و لا بزمان، و لم أعرف رجلاً انتفع العالم الإنساني بدعوته مثل ما انتفع العالم بدعوه محمد صلى الله عليه و آله. و من درس حياه محمد صلى الله عليه و آله و المبادئ التي أتى بها يعرف أن غير المسلمين من الأمم قد سعدوا في حياتهم بمحمد صلى الله عليه و آله مثلما سعد المسلمون به، إن لم يكونوا أكثر سعادته. إن الأنبياء كلهم خدام البشرية، فهم الذين يسعون في سبيل إسعادها جميعها على مساحة كل الزمان و المكان، و كان محمد صلى الله عليه و آله أعظمهم خدمه للبشرية، و أفضلهم، و خاتمهم. و إذا نظرنا إلى الزمن الذي نشأ فيه هذا العظيم و إلى القرن الذي ظهر فيه يزداد العجب و تشتد الحيره، فإنه نشأ في أشد الأيام ظلمه و أحلك العصور، عصر لا يفرق أهله بين الحق و الباطل، و لا يميزون بين العدل و الظلم. فنهدى يومئذ لزاله الظلم و الطغيان عن وجه الأرض، و لمحو الفقر و المسكنه عن المجتمع البشرى، و صرف جهده، و بذل وسعه في هذا السبيل، و ضحى بكيانه و أعز أعضائه، و أتى بشريعه تنطوى على قوانين راقية

و مبادئ عاليه ملائمه للطبيعه الانسانيه، و جاء بأنظمه شامله لم تستطع العقول أن تأتي بمثلها فضلا من الاثيان بالافضل منها. إن الشريعه التي أتى بها محمد صلى الله عليه و آله منسجمه كل الانسجام مع السنن الكونيه، و معطيه لكل غريزه حقها، لا تحول بين الطبيعه الانسانيه و متطلباتها، و تتسامح بذلك [صفحہ ۲۶] غايه السماح. نادى محمد صلى الله عليه و آله بالغاء النظام الطبقي السائد في عصره، و أتى بنظام المساواه الذى يساوى فيه الانسان الانسان، و جاهر بأنه «لا فضل لعربى على أعجمى» [۱] و لا لغنى على فقير، و لا- لذوى البيوت الكريمه على غيرهم في نظام المساواه. و قد هذب المحاكم و السلطه القضائيه، و كافح الاحكام التي نتجت عن الحب و البغض و الشهوه و الغضب، و أحل السلطه القضائيه محل العدل و الانصاف، و وجهد في تطهير المجتمع البشرى من الادناس النفسيه و الأرجاس الروحيه، و سعى إلى تحطيم من جعل من نفسه صنما و مخدوما. إن دعوه محمد صلى الله عليه و آله لم تقم على القهر و الغلبه، فهو لم يفرض دعوته على أحد، بل جعل الناس أحرارا في قبولها و رفضها (إننا هديناه السبيل إما شاكرًا و إما كفورا) [۲]. و من ميزات دعوه محمد صلى الله عليه و آله: أنها كانت دعوه داخلية قائمه بالنفوس قبل أن تكون خارجيه قائمه بالأعمال، فكانت دعوته مرتكزه على الايمان، و موطن إيمان المؤمن قلبه، و القلب أمير اليد و اللسان و سائر الجوارح، و إنما الجوارح عمال القلوب عملاؤها. و من الواضح أنه يستحيل دعوه القلوب عن طريق القهر و الغلبه، فلا سبيل إلى التسلل إلى القلوب الا بالحكمه و

الرحمه و الموعظه الحسنه. و لقد بدأ محمد صلى الله عليه و آله بالتهذيب النفسى، و هذا يستحيل أن يكون بالضغط و القوه، و كان أنفذ سلاح غلب به خصومه هو الخلق العظيم و الرحمه الواسعه، و من ثم لقب بنبي الرحمه، رحمه على القريب و البعيد، و رحمه على العدو و الصديق و تلقى [صفحہ ۲۷] فى هذا السبيل أذى و متاعب كثيره، حتى قال: «ما اودى نبي مثل ما اوديت» [۳]. كان فى استطاعته استعمال العنف و القسوه و هو فى مكه، و لو أنه أمر أصحابه باغتيال مناوئيه فى ليله واحده و بمحوهم عن وجه الأرض لتمكن من ذلك، و لو فعل لما لقي أذى و لم يذق شقاء، و لا بلاء، إذ لم يكن عدد زعماء مناوئيه يزيد على عدد الأصابع كثيرا، و لكنه لم يفعل، إذ كان نبي الرحمه، و لم يشهر عليهم السيف إلا بعد ما شهروا هم عليه ذلك السيف، و لم يتوسل بالسلاح إلا بعد أن وضع السيف على حلقه، فقابل بالمثل، و ذب عن حياته من آمن به، و لو لا ذلك لأباده و أصحابه الاعداء عن وجه الأرض. لم يدرس محمد صلى الله عليه و آله فى جامعه قط، و لم يتلق درسا من معلم و لا من استاذ. كما أنه لم يحضر محاضره مفكر، و لم ينشأ فى بيئه علم، و إنما نشأ فى مجتمع جاهلى يسوده الجهل، و تخيم عليه العصبية و الغرور. و إن القرآن ينادى فى مواضع شتى: أن محمدا امي، و لم يكذب ذلك أحد ممن عاصره، و لا ممن نشأ معه، و لم يذكر فى التأريخ عن أترابه تكذيبه فى طفولته

و صباه و كهولته، فهو رجل يتعلم أبدا، و لم يدخل في حفلات أحبار اليهود و لا رهبان النصارى، و لم يقرأ على فيلسوف من إغريق، و لا من إيران أو غيرها من البلاد، و إلا لحدث بذلك زملاؤه أو أساتذته. لقد كان رجلا أميا نشأ في مهد الاميه، و نما في قوم هم من أشد الاقوام البشريه جهلاء و أبعدهم عن العلوم و المعارف، و أقصاهم عن الحكم و المثل و القيم. و ما كان محمد صلى الله عليه و آله يعرف شيئا إلا ما كان يعرفه من عاصره من العرب في ذلك العصر من أحاديث أنديتهم، و قصص جاهليتهم، و قد سمي ذلك العصر بالعصر الجاهلي، و هذه التسميه كانت من محمد صلى الله عليه و سلم، و لا يمكن أن يسمى بهذه التسميه إلا [صفحه ٢٨] العالم الخبير و من يعرف العلم و يعرف الجهل محمد صلى الله عليه و آله اميا و لكنه لم يكن بجاهل. و من المستحيل - بحسب العاده - قراءة امي آيه من كتاب، فضلا عن آيات كثيره، و فضلا عن كتاب كامل يكفل سعاده البشر و يضمن لهم خير الدنيا والآخره. كتاب من آيات بينات يعجز البلغاء عن الاتيان بمثلهما، كما يعجز رواد العلوم و فلاسفه العالم و ذوو الافكار الثاقبه عن مباراتها. امي يرشد إلى المكارم و إلى القيم إرشادا لم يسبقه إليه بشر، و لم يلحقه بشر. فكل من جاء من مرشد أو مفكر: إما تابع خطاه و سالك مسلكه في الارشاد و التوجيه، أو لم يستطع أن يأتي بما يساوى ما أتى به ذلك الامي العظيم. امي لم يتعلم قراءه و لا كتابه، ولم

يقرع باب دار استاذ، و لكنه بدأ بتعليم الناس الكتاب و الحكمة. نعم، بتعليم الناس جميعا، لا بتعليم العرب خاصة. امى يجادل علماء اليهود بتوارثهم، و قساوسة النصارى بأنجيلهم، و قد يصفهم بأنهم يكذبون على موسى، و يقولون على المسيح غير الحق، و يحرفون ما عندهم من التواره و الانجيل. امى نشأ فى أحضان الشرك، و هو يحاج المشركين فى آلهتهم تلك التى يعبدونها و يجعلونها أنداد الله، و يتخذونها لانفسهم أربابا. امى نشأ فى مهد الاميه و حضن الوثنيه، و لكنه يكافح الجهل و يجاهد عباد الاصنام و يخطئهم و يستهزى بآلهتهم، و يخبرهم بأنهم يعبدون ما لا يضرهم و لا ينفعهم، و لا يأتيهم بخير، و لا يدفع عنهم شرا. امى فتح عينيه فى بلد الجهل، و ترعرع فى عصر الجهل، و نما فى بيئه الجهل، و لكنه يدعو إلى العلم، و يزجر عن الجهل، و يفضل العالم و العارف و يدعو إلى إكرامه. امى يشرح للناس دينا قيما، و شريعته عالميه سمحه سهله تنفعهم فى دنياهم، و تعصمهم من النار فى آخرتهم، و تهديهم إلى الجنه. لم ترعين البشريه مثل هذا الرجل الامى، لا قبله و لا بعده، و لم يقرع سمعها [صفحه ٢٩] بنظير له فى أى قطر من الاقطار، و أى حقبه من الاحقاب، و لا فى أى قوم من الاقوام، و أى شعب من الشعوب. هذا الامى العظيم معجزه بنفسه، معجزه فى علمه، معجزه فى خلقه، معجزه فى عقله، معجزه فى عفو، معجزه فى حلمه، معجزه فى شجاعته، معجزه فى كل كمالاته و صفاته. خضعت له الانسانيه و لا مثيل له و لا نظير فى البشريه. و ما أكثر وجوه الاعجاز فى هذه العبقريه الفذه

و الشخصيه العظيمه!من هذه الوجوه: أن هذا الامى العظيم نشأ فى أرض جديده لا تنبت إلا الشده و الخشونه، و لا تنتج إلا القسوه و الصلابه فى صخورها و سهولها و أشجارها و أشواكها و حيوانها و إنسانها، و من ينشأ فى مثل هذا المنبت لا يتوقع أن يوجد فيه إلا- الغضب و سوء الخلق، و الأخذ بالشأر، و لا- ينتظر فيه إلا- الكبر و الخيلاء و العتو و العصبيه و الثوره و الانتقام. و لقد كان شعاره العلم و الحلم و حسن الخلق و التواضع، و دثاره العفو و الرحمه و الغفران و الشفقه، و ذلك نقض لشرع الاستيلاء، و سن المواريث، و نفوذ البيئات و الاوساط. و منها: أنه كان فى علمه و عقله و درايته و أفكاره و أقواله و أفعاله فوق المجتمع الذى عاش فيه و قضى حياته الطيبه فى أوساطه، و من يكن فوق مجتمع بكامله فى العقل و النبل و الذكاء و الحكمه فهو لا يستطيع أن يعيش فيهم كأحدهم. و يختلف إليه كأي فرد عادى آخر؛ لأن العلو الذاتى و الترفع النفسى يأتى له العيش معهم و التقرب إليهم، فاذا اجبر على ذلك فلا يلتقى بهم إلا بوجه قطوب و كلام خشن و عين غاضبه. و لكن محمدا صلى الله عليه و آله عاش من عاصره من الناس كأحدهم، يخالطهم و يجالسهم و يؤنسهم و يحضر أنديتهم، يحادثهم و يفاوضهم و يجيب على أسئلتهم، و يأتىهم بما يطلبون. يواجههم بوجه طلق بسام، حتى ضرب به المثل فى ذلك. فهم لا يلمسون منه ترفعا. عاش فيهم كأحدهم، و هم لم يعرفوه حق معرفه، و لم يدركوا علو مقامه، و [صفحه ٣٠]

لا رفعه شأنه و مدى عظمته. و منها: و من وجوه الإعجاز التي أثمرتها نفسه العظيمة: أنه لم يخطئ في سيرته الاجتماعية التي كان يسلكها، و لم يأخذ عليه أحد أي خطأ، لا ممن عاصره و لا ممن جاء بعده. و قد أخذوا أخطاء على نوابغ الزعماء الكبار، و على القواد العسكريين المحنكين، و كتبت في ذلك رسائل و مقالات، و ألقيت كلمات و خطب، و نشرت صحف و كتب. و لكن لم يقرع أحد هذا الباب، و لم يفكر فيه أحد من أعداء محمد صلى الله عليه و آله الألداء، و ما أكثرهم، سواء في عصره أو ممن درس حياته بعده. و من نظر إلى سيرته الذهبيه لا يزيده ذلك إلا إكبارا له و إجلالا و إعجابا، فقد كتب المفكرون و الباحثون من مختلف الأمم كتبا و رسائل في عبقريته و بطولته. و إن أصحاب العقول الصائبه و أرباب الأفكار الثاقبه جعلوا أفعاله و أقواله اسوه لانفسهم، و نورا لأهدافهم. إنهم وجدوها خير طريق و أقرب سبيل للوصول إلى غاياتهم و الفوز في مقاصدهم. و منها: أنه كان مجمعا لأوصاف متضاده لا يجتمع أحدها مع الآخر في العاده. فلقد كان صلبا و هولين العريكة، و كان متواضعا أشد التواضع، و هو إلى غايه الوقار. إن الصلابه لا تجتمع مع اللين، و الوقار يشين التواضع. و كان حلو الفكاهه و هو مر الجدد. و كان خطيبا مصقعا و هو اذن خير للناس، و خير مستمع لهم يصغى لأحاديثهم، و أهل الخطابه و النطق لا يستطيعون الاصغاء إلى الثرائين. و قلما تجتمع استطاعه الكلام و استطاعه الإصغاء، إذ القدره على كل واحد منهما تطارد القدره على الآخر. و منها: أنه

كان مطاعا في قومه، و هو قائد عدل، و من ميزات القائد العدل: أنه قليل الطواعيه في قومه و جنده.إن القائد الذى عرفه قومه بالعدل و الشرف لا- يصير فيهم مطاعا، إذ الطواعيه الكامله للزعيم ما هى إلا لأجل خوف قومه منه على حياتهم، أو على ما يعز عليهم، و كلا الوصفين منتفیان عن القائد العدل. [صفحہ ۳۱] و قد تحصل الواعيه لقائد ما إذا كذب قومه و خدع صحابته فيقابلهم بالخداع و الرياء، فيهيج حميتهم و يثير حماسهم، و ذلك منفي عن القائد العدل الذى يعمل بالقسط و يأمر به. و كان محمد صلى الله عليه و آله منزها عن جميع هذه الأوصاف، و كان أكثر القواد العالمين طاعه في جنده صحابته، و هم لا يخافونه و لا- يرهبونه، و لا- يخشاه حتى أصغر جنوده. و منها: نجاحه في دعوته في مده قليله لم تبلغ ربع قرن، و قد كان قومه بين أقوام الأنبياء أشد قوم نبيهم مناوأه له و حنقا عليه. و قد بدأ دعوته في قوم هم أكثر الناس جهلا و أنانيه، و أشدهم تمسكا بتقاليدهم، و أقواهم تعصبا لأبائهم، و لما توارثوه من السنن و العادات. لقد كانوا مجمعا للعيات: العصبيه العنصرية، و العصبيه القطريه، و العصبيه القبليه، و العصبيه العقائديه. فقام بدعوتهم لمحاربه هذه العصبيات و هو فريد و حيد، و لكنه نجح في دعوته؛ فلبوا نداءه، و خضعت له جزيره العرب، و دخل الناس في دينه أفواجا في سنين قلائل. و منها: أنه كان ثابتا في خلقه و سيرته، لم يتغير بتغير الزمن، و لم يتبدل بتبدل الأحوال، فقد كان حين بدأ بالدعوه غريبا بمكه، و رفضت قريش دعوته، بل عاداه العرب. فكان يصلی

فى المسجد الحرام سنين طوالا، و لم يصل معه إلفى و إمراه. و حين دخل مكه ظافرا، و خضعت له جزيره العرب، و بث دعوته فى خارج الجزيره و طلب من عواهل الامم أن يدينوا بدينه، و ينقادوا للأسلام كان هو هو. و أنه حين رجع من غزوه بدر ظافرا، و عندما رجع من غزوه أحد غير ظافر كان هو هو. فقد كان هو هو حين كان جالسا بين كرماء أصحابه، و هو هو حين كان واقفا بين يدي أعدائه من الكفار و المنافقين. هو هو مع الصغير و الكبير، و هو هو مع الغنى و الفقير. هو هو فى الحرب و فى السلم، و فى الاقامه و السفر، و فى السراء و الضراء، و فى الهناء و العزاء. هو هو جميع أحواله و أوقاته، لم يأخذه الخوف و الجبن عند الانكسار، و عند الضعف والغربه، و لم يأخذه العجب و الخيلاء عند الظفر، و عند القوه والعزه [صفحه ٣٢] كان هو هو فى العسر، و كان هو هو فى اليسر، أنه كان محمدا دون غيره فى جميع الاحوال. و منها: كثره الأعمال التى كان يقوم بها فى قومه صاحب السلطه التشريعيه و السلطه القضائيه و السلطه التنفيذيه. و كان متقدما على قومه فى الجهاد مع نفسه، كما كان رائدهم فى الجهاد مع الكفار، و لقد بلغ عدد غزواته التى حضرها بنفسه الشريفه ضعف السنين السبعه التى جاهد فيها الكفار، و زاد عدد سراياه على التسعين فى تلك المده القليله. و كان رئيسا لقومه، و مرشدا لهم و معلما، و إماما، و مزكيا لنفوسهم، و مؤدبا لهم، و أبا رحيمًا. و إن الأعمال التى كان يقوم بها محمد

فى كل يوم - لو حسبت و طبقت على الوظائف و المناصب اليوميه - تحار إزاءها العقول. و لابد أن يطرح السؤال التالى: كيف استطاع رجل واحد أن يقوم بهذه الأعمال و يفياها حقها و ينجح فى الكل دون أن يخل بأحدها؟! فكان يقوم بأعمال رئيس الحكومه و الدوله، و وزراء الدفاع و الداخليه و الخارجيه و العدليه و المعارف و التربيه. و كان القائد لعالم لجميع جيوشه، و رئيسا لاركان الجيش، و هو المحافظ للبلد و أميره، و الحصن الذى يذب عنه. و كان رئيسا للبلديه، و قاضيا للعدليه، يحق و يزيل الخصومه. و كان ينصب الامراء و القواد و الحكام، كما كان ينصب الائمة لصلاه الجماعه و لصلاه الجمع، و يصنب المؤذنين للأذان، و يرسل الرسل، و يبعث الكتب، و يوجه الموظفين إلى وظائفهم و مناصبهم. و كان رئيسا لمجلس التمييز الشرعى و القانونى، و إماما لصلاه الجماعه فى كل يوم خمس مرات. [صفحه ٣٣] و كان يخطب، و يعظ قومه، و يرشدهم إلى البر و التقوى، و يتلو عليهم آيات ربهم، و يعلمهم الكتاب و الحكمه، و يعلمهم ما لم يكونوا يعلمون. و كان يعود مرضاهم، و يحضر أنديتهم، و يتفقدهم، و يقرئهم القرآن، و يجيب على أسئلتهم و يقضى حاجاتهم، و يساعد فقراءهم، و يشبع جياعهم، و يهدى أغنياءهم، و يدعوهم إلى القيام بالمعروف. و هو مع ذلك خير زوج لأنزواجه، يؤدى حقوقهن، و يقوم بواجبه نحوهن، و لا ينقصهن شيئا. و كان يغرس النخل فى المدينه حتى غرس منها الألاف، لا يكل و لا يمل، يدأب، و يجد، و يسعى نحو أهدافه الغاليه و العاليه. و فوق جميع ذلك أنه كان نبيا مبعوثا من قبل الخالق إلى الخلق كافه، ينزل

عليه الوحي و يقوم بأعباء النبوه، و يبعث بالدعاه إلى أطراف البلاد، و يدعو الرؤساء و الملوك إلى الصراط المستقيم، و إلى أقامه العدل و القيام بالقسط. و من أطرف ما يرى في حياته الكريمه: أن تكاثر أعماله و تفاقم أشغاله لم يكونا سببا في قصوره عن تهجده و الفتور عن عباده ربه، فقد كان أعبد الناس، لم يترك القيام بالليل و التهجد فيه ليله واحده. قيل: إن التهجد في الليل كان واجبا عليه من قبل الله تعالى، و إن ذلك من خصائصه. [٤] و كان يسبح لله و يهلل له في كل قيامه و قعوده، كما كان في شطر من عمره يصوم و يفطر يوما. و منها: دوام وجوده المبارك، و بقاء حياته المقدسه إلى أن أكمل رسالته و أدى واجبه النبوى العظيم الذى بعث لأجله. إن حياه العظماء و القديسين الذين يقومون بتغيير جذرى و بإصلاح فى المجتمع [صفحه ٣٤] تكون مهده دائما، حتى حياه من لم ينجح فى استلام الحكم، فإن الحكام الطغاه و الرؤساء و العصاه هم أعداء ألداء لتلك النفوس الطيبه، يسعون فى استئصال مقاصدهم، و يبذلون كل غال و نفيس من أجل إباده مشروعاتهم دائما. و إن محمدا صلى الله عليه و آله لم يكن بنجوه من مكائد هذا السلوك البشرى، و لا بعيدا عن حباله، فكانت حياته فى خطر مستمر من جوانب عديده، حتى إن كسرى أبرويز أمر بقتله حين دعاه إلى الاسلام. و لم يكن محمد صلى الله عليه و آله يتخذ لنفسه حاجبا و يجعل لبيته حرسا، و لمصلاه فى مسجده مقصوره، و مع ذلك فقد بقى حيا و لم يقتل. كان يعيش بين قومه كأحدهم و قد أحاط به الأعداء

من كل جانب، و كان له أصناف من الأعداء يعيشون معه فى نفس مقره و مدينته، و هم المشركون و اليهود. و ربما كان المنافقون من أصحابه من المكيين منهم و المدنيين رجالا و نساء أعظم بلاء و أشد خطرا عليه من غيرهم. و كذلك يكون العدو إذا لبس ثوب الصديق الحميم. نعم، لقد كانوا ملتفين حوله، يظهرون الوداد، و يطنون العدا، و محمد صلى الله عليه و اله يعرفهم، و لكن يماشيهم و يرأف بهم، و يتلقاهم بأحسن التلقى. فكان طوال حياته النبويه معرفا لخطر الاغتيال، و على شفا حفره من الموت، بالسم أو بالسيف، أو بإيقاع الجدار عليه، أو بغير ذلك. فكم من مؤامره تآمروا بها على قتله! و كم من عزمه جازمت لإطفاء نوره و كان نصيبها كلها الفشل بعون ربه! فخاب أملهم و خسرت صفقتهم. لقد قصدت امرأه يهوديه أن تقتله بالسم، فدعته إلى مائدتها مع نفر من أصحابه فى بيتها، و لكن من أرسله حفظه من مكرها و كشف سرها، و قد عفا عنها محمد صلى الله عليه و آله و لم يقتص منها [٥]. و كم كان له من عدو يظهر له الحب و يبدي له الود! و كم كان له من عدو أيضا يجاهر بمقتته و يظهر الخصومه له! فمنهم من نصب له الحرب، و منهم من تقرب [صفحة ٣٥] إليه بالسم. كان يعيش فى مكة و فى المدينة بلا- حافظ و لا- حارس، و كان يدخل كالا- من البلدين كما كان يخرج منه، و كان يقف فى ساحه الحرب كما كان يجلس فى أنديه السلم، و لم يتحصن بحصن قط. و كان يقضى كثيرا من أوقاته فى المسجد من دون حارس

أو حاجب [٦] و يجلس بين الناس يقضى فيهم بقضاء الله، و يجيب على مسائلهم، و يخطب فيهم، و هو خير هدف للسهام الطائشه. و كان يلتقى مع السفراء و الوفود دون أن يحرسه أحد، أو يظلل عليه بظلال الحجاب، و كان يخرج وحده كل يوم فى ظلمه الليل لصلاه الصبح و الظلام خير وسيله للاغتيال، و الكل كانوا يعرفون ذلك، من عدو و صديق و قريب و بعيد، و كان يتفقد أصحابه، و يدخل بيوتهم، و يعود مرضاهم، و يشيع موتاهم، و يصلى عليهم. و مما يفضل حكومته على جميع الحكومات: أن محمدا صلى الله عليه و آله لم يقبض على أحد بالظن و لا- بالتهمه، بل كان يعفو عن جنى عليه، و أعداؤه يعرفون ذلك كأصدقائه، فلا يخافون على أنفسهم من التصدى له بما يكره على حد سواء فى صورتى النجاح و الفشل. و لم تكن دار سكناه التى سكن فيها دارا حديديه و لا حصنا منيعا، بل كان يسهل على أعدائه هدم بيته عليه، أو اقتحام داره، كما صنعوا فى مكه و خرج منها مهاجرا إلى المدينه. كما أنه لم يأخذ أحدا بجرم سياسى، و لم يكن فى حكومته مسجون سياسى. كانت تلك سيرته فى عيشه الشخصى فى السلم. و أما سيرته فى الحرب: فكان أقرب أصحابه إلى العدو، و لكن الأعداء لم يستطيعوا أن ينالوا منه شيئا. [صفحہ ٣٦] فداوم وجوده المبارك و بقاء حياته المقدسه معجزه عظمى و آيه كبرى لمن تفكر و تدبر، و لم يكن ذلك إلا- بعنايه من ربه العزيز الرحيم، فحفظه و حماه و حرسه إلى أن أدى واجبه، و بلغ غايته، فدعاه ربه إلى لقاءه، و فاز بجزيل ثوابه و جليل

عطاءه. ومنها: حسن الاداره، و هو صفة شريفه غاليه يفترض وجودها فى الزعيم، و إلا لا تتم لا زعامته، و إنها لمن أفضل العلوم الاجتماعيه و أجداهها. و لقد أصبح فى هذا العصر من الفنون الراقية، و خصصت لدارسته أقسام فى الجامعات الكبرى. إن حسن الاداره فى القواد و الزعماء ليس بوسيله فى نفسه، بل هو فى ذاته فوز و نجاح؛ لكونه من أقرب الوسائل و أفضلها و أجدادها. و كان العظيم محمد صلى الله عليه و اله أعظم الناس فى هذه الصفة الاجتماعيه الكريمه، و لم تكن من علاه إلا إحدى المعالى، و على هذه فقس ما سواها. لم يكن محمد صلى الله عليه و آله مارس هذا الأمر قبل بعثته، و لم يلتق مع من له به معرفه، و لكنه قد أتى من حسن الاداره فى قومه ما لم يشاهد له نظير. و هم قوم كانوا أبعد البشر عن الانسانيه، و أقربهم إلى الهمجيه، فى حين أنه لم يكن يعوزهم الذكاء و الدهاء و يصعب عليهم الانقياد و الخضوع لاحد. و لم يعاملهم كحاكم عسكري أسود و لا أحمر، و لم يتعامل معهم كحاكم مستبد ديكتاتور، بالرغم من كون قيادته أفضل قياده، و إدارته أحسن أداره فى السلم و الحرب و السفر و الحضر. و قد أرشدهم و وجههم إلى الانسانيه المثلى، و هداهم إلى الحق و الرشاد، و خلق منهم الكثير من نماذج الانسانيه الراقية. و مما يلفت النظر: أن حسن إداره محمد صلى الله عليه و آله فى بيته لأزواجه كان معجزه بنفسها، فإنه من المستحيل - بحسب العاده - أن الرجل الذى يعمل بالعدل بينهن و يوفى كل واحده منهن حقها و أن يكون وضع بيته طبيعيا

وإنسانيا إلى هذا الحد، ولا سيما إذا علمنا أن الوصفين - حسن الاداره فى البيت و هو المجتمع الصغير الداخلى، و حسن [صفحه ٣٧] الاداره فى بلد و هو المجتمع الكبير الخارجى - قلما يجتمعان، و قد يكونان متضادين، و محمد صلى الله عليه و آله كان حائزا للفضيلتين و جامعا للحسنيين، جمعت فيه الاضداد و لم توجد له الأنداد. و منها: معرفته للناس، و هى فضيله اجتماعيه عظيمه، و مكرمه قيمه جسيمه تستحق أن تعتبر من العلوم، و تدرس فى الجامعات الكبرى و تقرر لها أعلى القيم، فإن لها مكانه عديمه النظير فى المجتمع. و كان محمد صلى الله عليه و آله أفضل أهل الأرض فى هذا الفن، و أعرفهم بالناس و بصفاتهم و بخصائصهم و بما يؤهلهم له، فهو لم ينصب مثل أبى ذر الغفارى - و هو القديس الأكبر و السابق إلى الاسلام - قائدا لحرب و رائدا لجيش. كما لم ينصب مثل أسامه قاضيا لاحقاق حق و فصل خصومه. و من كان دارسا سيره محمد صلى الله عليه و آله يجد لذلك شواهد و شواهد، حتى أنه يمكن معرفه رجال من أصحابه و فضائلهم من المناصب التى استلموها فى حياه النبى الكريم، كما يمكن معرفه خصائص بعض أصحابه الذى لم ينصبهم لمنصب، أو نصبهم ثم عزلهم. و منها: خططه العسكريه فى حروبه و غزواته. فإن الاخصائيين فى هذا الفن، الدارسين فى سيرته لم يأخذوا عليه خطأ عسكريا فى حروبه، بل شهدوا جميعا بنبوغه العسكري، و قد الفت فى هذا الموضوع كتب و رسائل. و مما يجدر التنبيه اليه: أن تنفيذ خط عسكري فى الحرب - لكونه مصحوبا بإنسانيه فضلى و عدل متناه،

مضافا إلى رحمه وشفقه على العدو - هو من أصعب الامور، و ربما يعد من المستحيل بحسب العاده. وقد تمكن محمد صلى الله عليه و آله من إيجاد هذا المستحيل في عالم الكون، فكان له قصب السبق في هذه المكرمه الساميه. و نفذ هذه الخطه المقدسه بعده في الحروب ابن عمه و خليفته من بعده الإمام على بن أبى طالب صلى الله عليه و آله، و قام بها أحسن قيام في حروبه الثلاث: مع الناكثين و القاسطين و المارقين. و تلکم ألقابهم من قبل محمد صلى الله عليه و اله، و كان قد أخبر بها [صفحه ٣٨] قبل وقوعها. و لا مجازفه في القول بأن محمدا صلى الله عليه و آله هو أكبر رجل عالمى ظهر في مجتمع بشرى، و لكن البشر لم يعرفوه حتى الآن، و لم يؤدوه حقه. لم يعيش محمد صلى الله عليه و آله عمرا طويلا. بالرغم من كونه صحيح المزاج، و بالرغم من استطاعته أن يعيش عيش المترفين، عيشا لا يجد فيه ضيقا و لا ضنكا. و لعل السر في عدم تمتعه بعمر طويل: هو كده و جده، و إفناء نفسه في سبيل دعوته، و التضحية بحياته لإسعاد البشر، و لخلق حياه سعيده عالميه يعيش الكل فيها بحريه، و يقوم الناس فيها بالقسط. إنه الذى قام ليبيح في فضاء العالم روحا جديده قويه تثل [٧] العروش القائمه على الجماجم، و تهدم القصور المتعاليه فوق القبور، و تسحق الأصنام المنصوبه على أجساد الضعفاء و المضطهدين. لم يكن محمد صلى الله عليه و آله رجلا يقابل السيئه بالسيئه مع من أساء إليه من أعدائه، اولئك الذين لم يقصروا في مناوآته و معاداته، و عندما سيطر عليهم

لم يناد بالانتقام، و لا بالقصاص، و لم يدع إلى تشكيل محكمه ثوريه لمحاكمتهم و للأخذ بالتأثر منهم، بل كان يحب هدايتهم، كما كان يحب هدايه أحبائه. فلم يقتص من وحشى قاتل عمه حمزه، كما لم يقتص من هند، تلك المرأه الحاقده التي كانت تثير الحرب ضده. و لما دخل مكه فاتحا من دون إراقه فطره دم، و نادى قائد جيشه سعد بن عباده: «اليوم يوم الملحمه اليوم تسبى الحرمه» و وصل النبي الخبر عزله من دون مهله، و أقام مقامه ابن عمه على ابن أبي طالب، و أمره بأن ينادى: «اليوم يوم المرحمه» [٨]. [صفحه ٣٩] فلم يجاز الذنب بمثله؛ لكونه يجازى الحسنه بالحسنه، و يقدر الاحسان غايه التقدير، فيحسن إلى كل من يعامله بمعروف، و إلى كل من يقربه، فلم ينس ما رآه من أحد من الإحسان، و كان بذلك رطب اللسان. [صفحه ٤١]

و من بشارت نبوته

اشاره

(الذين يتبعون الرسول النبي الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوريه و الانجيل يأمرهم بالمعروف و ينهاهم عن المنكر و يحل لهم الطيبات و يحرم عليهم الخبائث و يضع عنهم إصرهم و الاغلال التى كانت عليهم...) [٩]. (و إذ قال عيسى ابن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوريه و مبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) [١٠].

بشارتان

تشير الكريمه الاولى إلى بشارتين بنوه محمد صلى الله عليه و آله: قد ذكرت إحداهما فى العهد القديم، و الثانيه فى العهد الجديد. و كان العهدان موجودين فى عصر نزول القرآن و ظهور محمد صلى الله عليه و آله. و إن المبشر فى العهدين من وصفه فيهما بالامى، و تلك ميزه محمد صلى الله عليه و آله. [صفحه ٤٢] و إن البشاره صنفان: ناطقه حيه باقيه، و بشاره صامته خبر عنها بالالسن. و البشاره الناطقه هى التى يتاح لكل أحد أن يراها أو يصغى إليها، و كذا تكون البشاره التى يحدث بها القرآن، و قد كتبت فى العهدين. و لو لم تكن تلك البشاره مكتوبه فى التوراه و الإنجيل لجاهر بتكذيبها أصحاب العهدين، كما جاهر القرآن بالتصريح بها. و سكت القرآن عن ذكر البشارت الوارده فى كتب أنبياء السلف. و لعل ذلك من أجل عدم وجود تلك الكتب فى عصر محمد صلى الله عليه و آله، أو لعدم التمكن من التعرف عليها، فلم يمكن تصديق تلك البشارت و لا تكذيبها. و من ميزات البرهان المقنع: أن يكون سهلا تناوله، سيما إذا اقيم لتوجيه الناس و إرشادهم. فقد اكتفى فى القرآن بالاشاره إلى بشارت يتاح التعرف عليها لكل واحد،

وصفح عن غيرها من البشائر، و ذلك من دلائل صدق القرآن و آيات الحق التى حفت بالقرآن الكريم.

نظرة إلى الكريمة الاولى

تحدثنا هذه الآية بأن الواجبات التى تفترض بالنبي صلى الله عليه و آله أن يقوم بها تجاه الذين يتبعونه سته: الأمر بالمعروف، و النهى عن المنكر، و تحليل الطيبات، و تحريم الخبائث، و وضع الاصر، و وضع الأغلال. و إن الأولين يوجهان إلى تهذيب الأفعال و الأقوال، و الأوسطين إلى تعديل النزعات و الغرائز. و الأخيرين إلى إنقاذ البشريه من الاوزار و المآسى. و من الواضح أن إصلاح كل مجتمع و تهذيبه يتحقق بالأولين، و أن تعديل كل نزعه يتحقق بأمرين: أحدهما: بإعطائنا ما نتطلب و نريد، و يتحقق ذلك بتحليل الطيبات. ثانيهما: بجعل حد للطلب و الاراده، و ذلك يتحقق بتحريم الخبائث. و إن تهذيب كل نفس و تطهيرها من الأرجاس يحصل بالأمرين. ثم إن وضع الاصر و الأغلال هو [صفحه ٤٣] إزاله الموانع عن الاصلح و التهذيب. المعروف: الحق، حسنات الأفعال و الأقوال، مكارم الأخلاق. المنكر: الباطل، سيئات الأفعال و الأقوال، الأخلاق الذميمة. الطيب: ما يستطاب من اللذات من الأطعمه و الأموال و الأزواج و غيرها. و الخبيث: ما يستكره من تلك، فهو يقابل الطيب. الاصر: الثقل الذى يأصر صاحبه و يجسه عن الحراك لثقله، و لعله كناية عن العادات السيئه، و التقاليد القومية الباليه، و العقائد الفاسده التى تطوق المرء و تثقله بحيث لا يستطيع الحركه نحو التقدم و الازدهار، و لا يقدر على الصعود فى مراقى الحضاره و المعارف، بل تجبره على السقوط و تدفعه نحو الدمار. الغل: ما يقيد به اليدين و العنق، و المغلول، من لا يقدر على أية حركه و نشاط، و لعله كناية عن الحكومات الطاغيه و المستبده التى تجعل

ألسن الشعوب و أيديها فى قيد الأغلال بحيث لا تستطيع الحراك. فأعداء حريه الشعوب يقولون لها: لا تسمعى و لا تبصرى و لا تحركى، و هم يسعون إلى جعل الشعوب آله ميكانيكيه: عمياء، بكماء، لا تشعر، و لا تفهم، و تتحرك فقط بالحركه التى يعطيها إياها المتربع على كرسى الرئاسة، و هو يعربد بالحرية. تلك الستة أركان لدعوه محمد صلى الله عليه و آله بصريح القرآن، هى الغايه المنشوده التى جاء لتحقيقها، و إنها لهى المنهاج الأرقى لاعطاء حياه سعيده للمجتمع البشرى، و لتوجيهه إلى التقدم نحو الأمام، و لوقايته من التقهقر و السقوط، و تلك هى الرحمه التى وسعت العالمين جميعا. يقول رب محمد صلى الله عليه و آله مخاطبا إياه: (و ما أرسلناك إلا رحمه للعالمين) [١١]. [صفحه ٤٤]

بشاره موسى و عيسى

ان البشاره بظهور محمد صلى الله عليه و آله موجوده فى التوراه، ذلك الكتاب الذى أتى به موسى، فالكليم بشر قومه بظهور محمد صلى الله عليه و آله. و هل كان مبشرا بظهور عيسى عليه السلام؟ لم أجد فى القرآن إشاره إلى ذلك، و ما أخبر عيسى عليه السلام قومه بوجود البشاره به على لسان موسى عليه السلام. و لكن البشاره بظهور محمد صلى الله عليه و آله وارده فى الانجيل، و هو كتاب عيسى عليه السلام.

نظره إلى الكريهه الثانيه

تحدثنا هذه الآيه بأن عيسى عليه السلام بشر بقدم محمد صلى الله عليه و آله و هو يخاطب بنى إسرائيل جميعا، لالحواريين فحسب، و أن ذلك كان فى بدايه دعوته. و قد أخبرهم بأمر ثلاثه: ١. إنه مبعوث إليهم من جانب الله تعالى، فيفترض على كل إسرائيلى الايمان برساله عيسى عليه السلام و نبوته. ٢. إنه مصدق لما بين يديه من التوراه، فهو مؤكد لشريعته موسى عليه السلام، و ليس بناسخ لها، فالمفروض على كل من يرى نفسه متبعا للمسيح العمل بشريعته موسى، كما فرض على بنى إسرائيل اتباع المسيح. ٣. إنه مبشر برساله النبي الامى، و قد صرح باسمه تأكيدا، فمن يرى نفسه متبعا للمسيح فعليه أن يؤمن بنبوه أحمد، و إلا فهو ليس بمسيحى، فالمسيحى مسلم، كما أن المسلم مسيحى. فكان المسيح عليه السلام ذا مناصب ثلاثه من قبل الله تعالى: رسول الله إلى بنى إسرائيل، مصدقا لشريعته موسى عليه السلام، مبشرا برساله أحمد صلى الله عليه و آله. و يفيدنا قوله تعالى فى هذه الآيه: (فلما جاءهم بالبينات) أنه كان لرسول الله أحمد بينات و معجزات شتى قوبلت من جانب قومه بالعناد و العدا، حتى قالوا: (هذا [صفحه ٤٥] سحر مبين). إن قول عيسى عليه السلام لبنى إسرائيل: (إنى رسول الله إليكم) ينبئ أنه

كان رسولا- إلى بنى إسرائيل فحسب، فلم تكن رسالته عالميه. إذن فالواجب على الجماعات التبشيرية دعوه الاسرائيليين إلى المسيحيه عوضا عن دعوه غيرهم. وإذا كانت رساله عيسى عليه السلام تخص بنى إسرائيل فإن ذلك لا يمنع غيرهم من التدين بغيرها كدين إلهى. و من اعتنق المسيحيه من غير بنى إسرائيل فى ذلك العصر كان مصيبا فى إيمانه، إذ آمن برسول أرسله الله تعالى. و هل كانت شريعته موسى عليه السلام دينا عالميا؟ أم كانت دينا إسرائيليا؟ إن سيره الاسرائيليين جاريه على أن شريعته موسى عليه السلام دين إسرائيلى و حسب، و ليست بدين عالمى، فهم معتنقون لدين قومى عنصرى. و هل يمكن معرفه ذلك من العهدين سيما القديم منهما، أم كثره وقوع التحريف فيهما على مدى القرون و الأعصار تمنع من حصول الوثوق بهما؟ و إذن فلا بد و أن نصغى إلى الإنبياءات القرآنيه التى تقول: (ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون و ملئه). [١٢]. (و لقد أرسلنا موسى بآياتنا و سلطان مبين - إلى فرعون و ملئه) [١٣]. و قد تكرر فى القرآن الإخبار ببعثه موسى عليه السلام إلى فرعون و ملئه، و هم غير بنى إسرائيل بلا- شك. و هل كان موسى عليه السلام مبعوثا إلى غير فرعون و ملئه ليكون نبيا عالميا؟ لم أعر على ما يدل على ذلك فى القرآن. [صفحه ٤٦]

البشائر بقدوم الأنبياء

جرت سنه الله - فضلا منه على عباده - على إخبارهم بإرسال رسول يرسله فى المستقبل، فكان أنبياء الله السابقون يبشرون بمن يأتى من بعدهم من الأنبياء. لقد كان يحيى عليه السلام مبشرا بنبوه عيسى عليه السلام، كما كان عيسى عليه السلام مبشرا بنبوه محمد صلى الله عليه و آله. و من البديهى أن البشائر التى صدرت من أنبياء السلف بنبوه نبى للخلف كانت تنفع

الأجيال القادمة، و تفتح عيونهم، و تجعلهم على أهبه استقبال هذا النبي الذي بشر بقدمه. كما أنها تزيل الريب عن الناس و تعطيهم مزيدا من الثقة و الاطمئنان. إن اليأس من الاصلاح إذا ملأ القلب يجعل الانسان فى أتعس عيش، و أشقى حياه، فقد يكفر فى الانتحار! و قد يفكر بطرق أبواب الشر و الخيانه. و إن بشائر أنبياء السلف تزيل اليأس من نفس الانسان. و تحيى له الرجاء، و توجهه إلى حب الحياه، و إلى أن يقرع أبواب الخيرات و الفضائل، و تزيد البشائر إيمان المؤمنين بنوه نبيهم، و تجعل الكافرين به فى شك من كفرهم، و يضعف صمودهم أمام الدعوه إلى الحق، و تثير فى أنفسهم بواعث لقبولهم الدعوه. و للبشائر الالهيه أثر عظيم فى سهوله تنفيذ دعوه النبي. و إن النبوه المسبوقه بالبشاره أنفذ فى القلوب و أقرب و أقرب إلى الاذعان بها من غيرها، فقد لا تطلب المعجزه من النبي إذا أوجبت البشاره حصول الثقة لهم و أغنتهم عنها. إن البشائر تبعد الناس عن وطأه المفاجأه أمام واقع غير منتظر، و تقودهم إلى الاسراع فى الايمان بالنبي، كما أنها تخرج دعوته عن الغرابه فى نفوس الناس. فالدعوه المتوقعه أقرب إلى القبول من الدعوه المفاجئه، و من لم يكن فى قلبه مرض فإنه يسرع ألى تقبل تلك الدعوه و إلى الايمان بها، كما انها تجعل الكثيرين يعيشون فى حاله انتظار مستمر لظهور الدعوه؛ كما كانت الحال بالنسبه لخديجه و سلمان الفارسى و بعض علماء أهل الكتاب الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه و آله. [صفحه ٤٧] منتظرين قدومه. و قد خرج سلمان من بلاده طالبا لقاء محمد صلى الله عليه و آله و الايمان به، و لا

البشائر الصامته

و تجدر الإشاره هنا إلى سكوت القرآن الكريم عن البشارات الصامته التى تبشر بظهور نبى. و من تلك البشائر: الاحداث الكونيه التى حدثت كلها يوم ميلاد محمد صلى الله عليه و آله، و حدث بها جميع أرباب السير و التواريخ، قالوا: أكتب الأصنام المنصوبه على الكعبه على وجوهها، و خمد أوار بيت النار فى منطقه فارس بعد أن كان لها ألف عام دون أن تخمد، و غيض ماء بحيره سماوه، و ارتجف إيوان كسرى، و لم يبق سرير لملك إلا أصبح منكوسا و الملك - يومها - أبكم لا ينطق بمنت شفء، و انتزع علم الكهانء، و بطل سحر السحرء، و حجبت كاهنات العرب عن صواحبا [١٥]. و هناء يرد سؤال عن صلة هذه الأحداث برسالة محمد صلى الله عليه و آله. و يمكن الجواب عنه بعد النظر إلى هذه الأحداث نظره تعرف بها ميزاتها و خصائصها، و مما لا شك فيه أن كل واحده منها أمر كوني عظيم، و قد حدثت فى مجتمع عظيم يتصل به كثير من الناس، فشاهدوها، و اطلع عليها آخرون ممن لا يقلون فى العدد عنهم. إن منزله الكعبه فى المجتمع العربى عظيمه جدا، و قد كان يشار إليها بالبنان، من حيث العظمه و القداسه، فلم يولد عربى إلا- و هو زائر للكعبه، أو سامع بها. و قصه الفيل و جيش أبرهه [١٦] يشهدان لذلك. [صفءه ٤٨] فإذا سقطت الأصنام المنصوبه الكعبه على وجوهها - وهى آلهه العرب، و الكعبه بيت الآلهه - فهل يخفى نبأ ذلك على عربى و على غيره ممن له صلة بالعرب؟ و منزله نار فارس بين العجم كانت كمنزله الكعبه

بين العرب. و من المستحيل - بحسب العاده - أن تخمد تلك النار التي كانوا يقدسونها و يعظمونها و لا يطلع الأعاجم على ذلك! و كذلك غيرهم ممن له صله بهم، و لا سيما إذا عرفنا أن الخمود كان في لحظه واحده و لم يكن تدريجيا. ثم إن منزله كل ملك في عصره و في مجتمعه ليس مما يخفى، فإذا خرس الملك في يوم تام فهل يمكن خفاء ذلك على شعبه و على غيرهم ممن له صله بالملك، أو بالمملكه، أو بالشعب؟ و يندرج في ذلك: ارتجاس إيوان كسرى، و انتكاس أسره ملوك العالم و غيرها، فإنها مما لا تعد خافيه في تلك العصور. و كذلك الأمر في غيظ ماء بحيره ساوه التي كان ينتفع منها آلاف من الناس في مزارعهم و حدائقهم و بساتينهم على مدى السنين المتطاولة. و كذا كل من كان يأكل من ثمارها و يتجر بجمالها. و لم تكن واحده من هذه الأحداث أمرا شخصيا خاصا، بل كانت أحداثا كونه اجتماعيه تتصل بالآلاف من الناس. و من درسها يرى أن حدوث كل واحده منها دفعه - سوى ارتجاس إيوان كسرى - ليس بأمر طبيعي، و لا بحادث معتاد بين الناس. و إذا افترض أن انقلاب صنم واحد على وجهه أمر طبيعي فلا- يجوز أن يكون انقلاب جميع الأصنام المنصوبه على الكعبه دفعه واحده حادثا طبيعيا، سيما إذا عرفنا أن الاصنام كانت مثبته بالأوتاد و المسامير. و احتمال كون هذه الظاهره طبيعيه تدفعه مليارات من الاحتمالات في حساب الاحتمالات، فإن كل تلك الاحتمالات كانت اقرب إلى حدوث طبيعى من [صفحه ٤٩] الذى حدث. و إذا افترض خمود نار ظاهره طبيعيه، و لكن لا يمكن أن يكون خمود نار فارس في

لحظه واحده ظاهره طبيعيه، و هي التي لم تخدم ألف عام، و استمرت مشتعله أمام العواصف و الأمطار و الثلوج، و كان لها حراس يدفعون عنها كيد العدو، و يغذونها بالوقود باستمرار، و بقيه الاحداث ليست بخارجه عن هذه الميزه.فالعقل - بعد تأمل و تفكير - يدعن بأنها لم تكن أحداثا كونيه طبيعيه، و إنما هي أحداث على خلاف شرع الطبيعه و سنتها.و من الجدير بالذكر أن وقوع هذه الأحداث معافى وقت واحد من دون أن تكون أيه صلته طبيعيه بينها، مع البعد الشاسع بين الكل، يحمل الانسان على النظر العميق، و يخرج الاحداث عن كونها حادثه طبيعيه.إذن تكون الصله بينها واقعيه مثل الصله بينها و بين ميلاد محمد صلى الله عليه و آله. فهي تحدث بلسانها الكوني ببدايه حياه و نهايه حياه.و من الواضح أن قسما من هذه الأحداث عربى، و قسما منها شرقى، و قسما منها عالمى فهل هذه بشاره بنوه عالميه؟ كما أنها على أنواع:منها: سقوط الأصنام على وجوهها، و خمود نار بيت النار ببلاد فارس، و هو المعبد الأكبر للمجوس، و غيظ بحيره ساوه التي كانوا يقصدونها.و منها: ارتجاف أيوان كسرى، و خرس ألسنه الملوك، و انتكاس أسرتهم.و منها: انتزاع علم الكهنه، و بطلان سحر السحره، و حرمان كاهنات العرب من صواحبها.و النوع الأول يشير إلى تجديد حياه الدعوه إلى التوحيد و نهايه دور الشرك. و إن للدعوه إلى التوحيد بعد الطوفان دورين:يبدأ الدور الأول بظهور إبراهيم خليل الرحمان عليه السلام، فإنه أول من قرع باب الدعوه إلى التوحيد بعد الطوفان. [صفحه ٥٠] و يبدأ الدور الثانى بظهور محمد صلى الله عليه و آله، فإنه أحيا الدعوه إلى التوحيد بعد اندراسها،

و دعا إلى رفض الشرك بعد نضارته بين الامم.و النوع الثانى يشير إلى ظهور عصر إقامه العدل، و القيام بالقسط، و مكافحه الظلم، و محاربه الحكم الفردى.و النوع الثالث يشير إلى بدايه عصر العلوم و المعارف، و نهايه دور الخرافات و الأساطير و الاضاليل.و إذا نظرنا إلى ما بعد مرور أربعين عاما على يوم وقوع هذه الأحداث - يوم ميلاد محمد صلى الله عليه و آله - و رأينا محمدا يدعو إلى التوحيد و مجاهده الشرك و إلى العدالة الاجتماعيه و إباده الظلم و الجور و إلى العلوم و المعارف و الابتعاد عن الخرافات و الأساطير عرفنا صله تلك الأحداث بميلاد محمد صلى الله عليه و آله.لقد جاء محمد صلى الله عليه و آله لبعث روح جديده فى العالم تهد العروش القائمه على الجماجم، و تهدم القصور المتعاليه على النفوس البشريه، و لسحق الأصنام المنصوبه على أجساد الضعفاء. [صفحه ٥١]

اسلاف ساجدون

اشاره

(و توكل على العزيز الرحيم - الذى يريك حين تقوم - و تقلبك فى الساجدين) [١٧]. أمر محمدا ربه بالتوكل عليه دون سواه، إنه العزيز الرحيم، إنه القدير على كل شىء فإن التوكل على غير العزيز الرحيم غير جائز لدى العقل.قد جعل الرب العزيز الرحيم محمدا تحت رعايته الخاصه فى أفعاله و أقواله و قيامه و قعوده، و قد كان رعايته متنقلا من صلب إلى صلب، و كانت أصلا با شامخه، تلك التى تتوسطها أرحام مطهره.و كان أسلاف محمد صلى الله عليه و آله ساجدين لله، لم يكفروا به طرفه عين، و لم يشركوا أحدا فى عبادته.إن القرآن يؤكد على أن أسلاف محمد صلى الله عليه و آله كانوا موحدين، لم يعبدوا و ثنا و

لم يسجدوا لصنم. فلم يعبد محمد صلى الله عليه وآله الوثن قبل ولادته، كما لم يسجد لصنم بعد ولادته، و لم يرث الوثنيه من أحد بالرغم من وثنيه قومه عبده الاصنام. [١٨]. [صفحة ٥٢] و إن الضد قد نشأ فى موطن ضده. و نصغى إلى محمد نفسه كى يحدثنا بذلك: «لم يزل ينقلنى الله من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات، حتى أخرجنى فى عالمكم هذا دون أن يدنسنى بدنس الجاهليه» [١٩]. إن الايمان الوثيق لم يفصل عن الحق فى الدعوه، و إن الحق فى الدعوه تحققه سلامه ما يدعو إليه، و ما يكتنف سبيله من واقعيه توفر الايمان و توفقه. و إنه قوه تجانب التعصب و تجفوه كمبدأ، فالاولى تنجم عن الخضوع و الانصياع لكلمه الحق، و الثانيه فإنها تنجم عن التهافت إزاء الذاتيه و هيمنتها. من يناقش فى الحق فهو كمن يدعى وجود ثغره فى صخره صلبه، يكفى فى ظهور كذبه أن يرى الإنسان الصخره مره واحده. و من آمن بالحق يتمكن أن يدافع عنه بمقدار مستواه العلمى، و من اعتنق الباطل لا- يقدر على ذلك إلا- أن يتشبث بأذيال التعصب الذميم، ليذهب به إلى الجحيم، و هو غافل عن ذلك. إن المذهب الباطل كبنايه متضععه صبغت بالاصباغ، و يعرف الخلل فيها من أمعن النظر إليها. و لذلك ترى أرباب المذاهب الفاسده (يحرفون الكلم عن مواضعه) [٢٠]، ليخدعوا أنفسهم و يخدعوا الناس، و يستغلوهم، ثم يمنعوهم عن البحث و التنقيب. إن الايمان الصحيح هو الايمان البرى ء عن العاطفه، و ما انبثق عن البحث و النظر، و اتباع ما يحدو إليه المنطق و الحججه. و إن الواجب على الداعيه أن يكون مؤمنا بما يدعو إليه؛ لتكون دعوته أنفذ، و

إذا كانت دعوته إلى الحق فالداعية هو أول المؤمنين بها، و أفضلهم اعتقادا، و أقدمهم [صفحه ٥٣] تضحيه في سبيلها. و إذا تطلبت دعوه اناس محدودين مقدارا من الإيمان في قلب الداعية فإن دعوه الشعوب و الامم تتطلب إيمانا أكثر و أفضل؛ لأن ما يجابهه الداعية عندئذ يكون أصعب و أشد. و إن سعه الدعوه و سمو الهدف يكشفان عن عمق إيمان الداعية و رسوخه في قلبه، و من اهتم بدعوه العالم كله فله أوقوى مراتب الايمان و أعلى درجاته. و مما يؤثر في صلابته الايمان و رسوخه: الوراثة، فإنها من أعظم النوازع النفسية، فكثيرا ما يرث الولد الايمان من أبويه و هو غير شاعر بذلك. و إن الايمان الموروث من الوالدين معا أقوى من الايمان الموروث من أحدهما. كما أن الايمان الموروث من جميع الأسلاف أكمل من الايمان الموروث من سلف واحد. و إن اختلاف الايمان الميراثي قوه و ضعفا يتبع كميته المورثين المؤمنين كثره و قله. و مما يؤثر في الايمان بشكل عميق: الوسط الذي يعيش فيه الانسان، فإنه إذا كان موافقا في العقيدة و الايمان يزيد، و إذا كان مخالفا له فقد يوجب النقص فيه. نعم، إن الوسط قد يعطى العقيدة للرجل من حيث لا يشعر، و هو مدرسه تربويه له. و كلما كانت المدرسه راقية فإن الطالب يتخرج مهذبا عالي الشأن و عالما، و إن غفل عن علمه أحيانا، و هكذا... فإذا تجمعت هذه الأمور كلها في واحد - و قلما تجتمع - فالإيمان الحاصل منها يكون أفضل الايمان. و قد اجتمعت كلها في محمد صلى الله عليه و آله، فهو أشرف البريه إيمانا و أكملهم عقيدة. لقد كان أسلافه جميعا مؤمنين موحدين بتصريح من ربه،

و كان الوسط الذى نشأ و عاش فيه أقدس الأوساط و أفضلها و أشرفها. إنه منذ ولادته بل و قبل ولادته كان تحت رعايه خاصه من ربه قد حفت به ملائكه الله، و لم يكن بينه و بين قومه إلا- صله [صفحه ٥٤] صوريه لا تزيده إلا نضره من تقاليدهم و أفعالهم، و هربا من عاداتهم و أخلاقهم، فهو صلى الله عليه و آله كما قال: «أنا أديب الله و على أديبي...» [٢١]. و يحدثنا عنه على عليه السلام فيقول: «لقد قرن الله بمحمد صلى الله عليه و آله من لدن أن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم و محاسن أخلاق العالم ليله و نهاره،...» [٢٢]. و قد اتفق المؤرخون على أنه كان شعله ذكاء، و أفضل الناس عقلا و درايه، و أشرفهم فهما و كفايه و أعمقهم فكرا و نظرا. و يكفى لمثل هذا الرجل تفكير ساعه كى تنكشف له الحقائق، و ترفع له الحجب عن وجوهها، فضلا عن تفكير سنين تزيد على الثلاثين. ذلك هو الرجل الذى اصطفاه الله لنفسه، و بعثه لإنقاذ البشريه من الحيوانيه، و لتوجيهها إلى الانسانيه، فشم عن ساعده، و قام و دعا و سعى فى سبيل الوصول إلى هذه الغايه المقدسه. قال الله تعالى: (هو الذى أرسل رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على دين كله و كفى بالله شهيدا) [٢٣].

ايواء ربوبى

(ألم يجدك يتيما فأوى - و وجدك ضالا فهدى - و وجدك عائلا فأغنى - فأما اليتيم فلا تقهر - و أما السائل فلا تنهر - و أما بنعمه ربك فحدث) [٢٤]. [صفحه ٥٥] ولد محمد صلى الله عليه

و آله يتيما، توفي أبوه و هو لم يدخل بعد فى هذا العالم، و ماتت امه بعد مده قصيره. و حرم الطفل من حب الأب و حنان الام، و أصبح يتيما من جانبين، كان عبدالله أبو محمد صلى الله عليه و آله و ابن عبدالمطلب فتى قريش، و كان عبدالمطلب جد محمد صلى الله عليه و آله سيد قريش و كبيرها و زعيمها، امتاز عن قومه بكثير من الوقار و السكينه و الجمال و البهاء، و بالميل إلى الدين و النسك، و أتاحت له امور زادته فضلا و كرامه على قومه.فهو الذى حفر بئر زمزم و له يحفرها من عند نفسه، إنما أتاه آت فى نومه، و أشار إليه بمكانها، و أمره بحفرها؛ و نتيجة لذلك قام عبدالمطلب بتنفيذ ما رآه فى منامه. و كان عبدالمطلب تاجرا كما كان أشرف قريش يتجرون. و كان يحضر مجالسهم فى المسجد الحرام و فى دار الندوه. و لما بلغ أبو محمد صلى الله عليه و آله مبلغ الرجال زوجه أبوه، ثم أرسله إلى الشام مع قومه للتجاره، فذهب الفتى و لم يعد، فقد أدركه الموت بيثرت عند عودته من الشام و بعد وفاه الفتى، ولد له صبي اختاره الله لرسالته، و جعله خاتم أنبيائه و هو يتيما فسمى محمدا صلى الله عليه و آله. و كفل اليتيم جده عبدالمطلب، و استرضعه فى بنى سعد من هذيل، و لما أتم الرضاعه احتفظت به المرضعه بعد إرضاعه وقتا، ثم ردتها إلى جده لينشأ بمكه فى ظل جده الشيخ. و لم ينل الصبي بعد عودته إلى امه من حنانها كثيرا، فقد سافرت امه إلى يثرب قاصده زياره ضريح زوجها الفتى، و لكنها لم تعد إلى

مكه كما خرج زوجها من قبل دون أن يعود، أدركها الموت فى بعض الطريق عند انصرافها من يثرب عائده إلى مكه، فلبت دعوه زوجها الفتى، أو طلبت من زوجها البقاء عنده فلبى الزوج طلب زوجته. أصبح محمد لطيفا محروما من عطف الأب و حنو الام، فقام جده الشيخ مقام أبيه و أمه. ثم فقد الصبى جده، و أخذه اليتيم من كل جانب، فقد أباه و امه و جده، فكفل [صفحه ٥٦] الصبى عمه أبوطالب بعد وفاه جده، و كان له نعم الكافل، و نعم الولى، و نعم النصير. فقد أحسن الكفاله و أكملها، و بذل جميع طاقاته فى سبيل الحفاظ على بن أخيه. و إن العناية الالهيه تشمل كل أحد فكيف لا تشمل من اختاره لنفسه و اصطفاه مرشدا لخلقه و هاديا لبريته؟ لقد حرمت يد الحكمة محمدا صلى الله عليه و آله من رحمه محدوده، و لكنه تعالى أسبل عليه رحمه غير محدوده، فأقفلت عليه يد الحكمة بابا، و فتحت عليه يد الرحمه أبوابا و أبوابا. و آواه الله بجده، ثم بعمه، فكانا يؤثرانه على أنفسهما و على جميع أبنائهما، و بذلا فى سبيله من الرحمه و العطف ما لا يستطيع الآباء بذله للأبناء، [٢٥] و ذلك من فضل الله عليه. و فوق ذلك أن ربه تعالى آواه بعنايه خاصه، و كفله برعايته، و حرسه بقدرته، و حماه برحمته، و ما أعظم هذا الايواء!

هدايه إلهيه بشكل مباشر

كان محمد صلى الله عليه و آله بشرا، و هو بحسب الطبيعه البشرى يغفل عما أعده الله له من النبوه، كما قال الله تعالى مخاطبا إياه: (... ما كنت تدري ما الكتاب و لا الايمان...) [٢٦]. فهداه ربه و أرشده، و هو نعم الهادى و نعم

المرشد، و محمد صلى الله عليه و آله نعم المهتدى و نعم المسترشد، آواه الله و هو رضيع، و هداه الله و هو طفل. [صفحة ٥٧]

جاءت الهدايه الالهيه لمحمد فى صباه بشكل مباشر، و إليك قوله تعالى: (و وجدك ضالاً فهدى) [٢٧]. فأصبح محمد صلى الله عليه و آله نبيا لنفسه قبل أن يتحول نبيا لغيره، و هذه هى الخطوه الاولى فى رسالته العالميه، فكان منذ طفولته سراجا منيرا، و قيل بعثته متدينا بدين نفسه، لا بدين غيره من الأنبياء، و كذلك تكون الهدايه الالهيه إذا شملت أحدا من البشر بشكل مباشر. و صار محمد صلى الله عليه و آله نبيا قبل أن يصير داعيا و منذرا، و انزل عليه القرآن مره واحده، و إليك قوله تعالى: (إنا أنزلناه فى ليله مباركه...) [٢٨]. و قوله تعالى: (شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن...) [٢٩]. و لكنه لم يكن مأذونا من قبل ربه ليقرأ على الناس، و عندما صار مبعوثا أذن له بالقراءه. و اليك قوله تعالى مخاطبا آياه: (اقرا باسم ربك الذى خلق) [٣٠]. فإنه يفيد أنه كان عارفا بالقرآن انزل إليه، و لكنه لم يكن مسموحا له بالقراءه للناس، و الأمر بالقراءه سماح له بالقراءه (إجازته بالاعلان للملا)، فنزل عليه القرآن منجما بشكل فرقانى، يقرأ كل آيه منه عند نزولها. فلم يكن مأذونا بقراءه آيه قبل نزولها. و إليك قوله تعالى: (... و لا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه...) [٣١]. و قوله تعالى (و قرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث و نزلناه تنزيلا) [٣٢]. [صفحة ٥٨] فقد انزل عليه القرآن قبل البعثه مجموعا، ثم أنزل إليه منجما بعد البعثه زهاء ثلاث

اغناء إلهى

نشأ محمد صلى الله عليه و آله فقيرا لا مال له، لم يكن له رأس ما ليتجر به، و لم يكن بين جبال تهامه حقل زراعى يزرع فيه. فقد شب و هو لا يملك قوت سنته، و كان يكتسب قوته بمقدار ما يحفظ حياته من رعى غنم، و هو فتى قريش و شريفها. لم يترك له أبوه إلا- خمسہ أوارك [٣٣] و يسيرا من المال، و لم يكف ذلك لقوت سنته، و كان هاشم جده الأعلى قد أسس قواعد التجاره لمكه، و أنقذها و أهلها من الجوع و الفقر. و كان جده عبدالمطلب صاحب تجاره، و قد مات أبوه تاجرا، و كان عمه أبوطالب (رض) صاحب تجاره و وجها من وجوه قريش المشرقه و إن لم تنقذه تجارته من الفقر، حتى قيل: لم يتزعم العرب فقير سوى أبى طالب (رض)، حتى اضطر أبوطالب إلى بيع منصبه سقايه البيت لأخيه العباس. و سلك محمد صلى الله عليه و آله الطريق الذى فتح بابه جده لقريش، فكان يذهب مع عمه أبى طالب إلى الشام فى بعض أسفاره التجاريه، و ذلك مما قدره الله له من سير الآفاق و الأنفس. و قال له عمه أبوطالب ذات يوم: إن خديجه بنت خويلد من أكثر قريش مالا، و أوسطهم نسبا، قد جهزت تجاره ضخمة إلى الشام و هى تطلب أن تكون رسولها فى تجارتها تلك،... فقبل الفتى. [صفحه ٥٩] و رآته مكه ذات يوم يغادرها فى قافله إلى الشام يصحبه غلام لخديجه اسمه ميسره، و لما بلغ الشام باع و اشترى، و عاد مع القافله، فأدى إلى خديجه تجارتها، و أدى إليها مع هذه التجاره ربحا لم يتح لها فى تجاره قط.

و تعلق قلب خديجه بالفتى، أو كان متعلقا به قبل ذلك، فاختر محمدًا ليكون رسولًا لها في تجارتها، وقد يكون ذلك رساله إلى قلب الفتى. و ذات يوم أرسلت خديجه إلى أبى طالب بأن يخطبها لابن أخيه، و فازت بهذه الامنيه. لقد خطبها محمد صلى الله عليه و آله و أصبح لها زوجها. فصارت خديجه و ما تملكه للفتى، و أصبح محمد صلى الله عليه و آله غنيا و إن لم يصبح ثريا. لم يطلب محمد صلى الله عليه و آله أن يكون رسولًا- فى تجاره خديجه، بل هى التى طلبت منه. كما أن الخطبه كانت من قبل خديجه على خلاف سنن العادات، و ليس ذلك إلا- إغناء إلهيا. آواه ربه و هو رضيع، و هداه و هو طفل، و أغناه و هو فتى قريش. و منذ ذلك اليوم عاش محمد صلى الله عليه و آله فى مكه، عيشا سعيدا لا يشكو حاجه، و لا يجد ضيقا، و قد ادخر الله ثراه خديجه لمحمد صلى الله عليه و آله، كما ادخر ذات خديجه له، ليسكن إليها، فلم يشهد التأريخ زواجا أسعد من ذلك الزواج. و من المعلوم أن طبيعه الفقر تقضى على الفقير أن يقرع باب الغنى ليستعين به و يستغنى بما له، فإن الفاقد يتبع الواجد. كما تفرض سنه العاده على الرجل أن يبدأ يطلب الزواج من المرأه. إن الرجل هو الطالب و المطلوب هو المرأه. و لكن الأمر انعكس فى محمد صلى الله عليه و آله، طلبت منه خديجه الثريه أن تستعين بكونه رسولًا فى تجارتها، و طلبت منه طاهره قريش - إذ كانت تلقب بذلك - ليكون محمد زوجها لها، و إليك الآيه الكريمه: (و وجدك

عائلا- فأغنى). أقبل أبو طالب و معه نفر من قريش - و هو شيخهم - و دخل على عمرو بن خويلد عم خديجه، فابتدأ أبو طالب بالكلام و قال: الحمد لرب هذا البيت الذى جعلنا [صفحة ٦٠] من زرع إبراهيم و ذريه إسماعيل. و أنزلنا حرما آمنا، و جعلنا الحكام على الناس، و بارك لنا فى بلدنا الذى نحن فيه. ثم إن ابن أخى هذا ممن لا يوزن برجل من قريش إلا رجح به، و لا يقاس به رجل إلا عظم عنه، و لا عدل له فى الخلق، و إن كان مقلا فى المال فإن المال رفسد جار، و ظل زائل، و له فى خديجه رغبه، و لقد جئناك لنخطبها إليك برضاها و أمرها، و المهر على فى مالى الذى سألتموه عاجله و آجله، و له - و رب هذا البيت - حظ عظيم، و دين شائع، و رأى كامل،... ثم سكت أبو طالب، و تكلم عم خديجه، و تلجلج و قصر عن جواب أبى طالب، و أدركه القطع و البهر!! فقالت خديجه مبتدئه: يا عماء، إنك و إن كنت أولى لى بنفسى منى فى الشهود فليست أولى بى من نفسى، قد زوجتك يا محمد نفسى، و المهر على فى مالى، فأمر عمك فلينحر ناقه فليولم بها، و ادخل على أهلك،... و نحر أبو طالب ناقه و دخل محمد صلى الله عليه و آله بأهله صلى الله عليه و آله [٣٤].

شكر النعمه

(فأما اليتيم فلا- تقهر - و أما السائل فلا تنهر - و أما بنعمه ربك فحدث). [٣٥]. إن الانسان - بحسب طبيعته - حيوان قبل أن يصير إنسانا، و الحكم النافذ فى المجتمع الحيوانى هو قانون الناب،

وإن الحق لمن غلب. إذن يكون الضيم من شيم النفوس البشرية، وإن قهر الضعيف ميزه من ميزات الأقوياء في المجتمع الحيواني. وقد بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله ليخلق من البشر إنسانا بريئا من الظلم، منزها عن الجور، لا يظلم ولا يظلم. [صفحة ٦١] وإن اليتيم ضعيف لا يستطيع الدفاع عن نفسه، إنه ناقص في عمره، ناقص في جسمه، مطمع لكل قوى، وكذا يكون من لا يجد ملجأ يأوى إليه. وإن السائل ضعيف. إنه معدوم من كل شىء، والعدم طريق إلى الفناء، فالسائل إنسان لا يقدر على حفظ نفسه، فهو أضعف من الحيوان. وإن الضال لا يرجى له الحياه، ويهيم فى الفلوات، وإنه على شفا حفره من الهلاك، ويعجز عن إنقاذ نفسه، فهو ضعيف غاية الضعف. أمر الله محمدا أن لا يقهر اليتيم، ولم يكن قاهرا لليتامى. وأن لا ينهر السائل، ولم يكن ممن ينهر السائلين. وأن يحدث بنعمه ربه، ولم يكن كافرا بنعمه ربه منذ أن خطا على الأرض برجليه. يقولون: إن القرآن نزل على لغه «إياك أعنى و اسمعى يا جاره» إن المجتمع البشرى ليس قليلا فيه قهر اليتيم، ولا يحصى فيه انتهار السائل، ولا يندر فيه الكافر بالنعم، ولا تليق هذه الرذائل بإنسان فضلا عن مجتمع إنسانى، لأنه مجتمع المكارم والمثل، وإن الجدير بمثله هو العطف على اليتيم، والرأفة بالسائل، وشكر المنعم، فإن ذلك من أفضل الفضائل. فالخطاب موجه إلى البشر كافة، وقد وجه إلى محمد صلى الله عليه وآله بصفته للبشر رائدا وقائدا ونيا. إن العطف على اليتيم

شكر، و الرأفة بالسائل أيضا شكر. و الأول شكر للقوه، و الثانى شكر للغنى. و الشكر من مكارم الأخلاق، و محاسن الصفات، يجلب الرحمه و يزيد فى النعمه، قال الله تعالى: (... لئن شكرتم لأزيدنكم...) [٣٦]. إنه تعالى يزيد نعم الشاكرين، و هو غنى عن شكرهم، و لا- يزيده شكر النعمه، و لا ينقصه كفرانها، و لكن الشاكر للنعمه قليل، و المقدر للمعروف نادر، و ذلك من يؤس [صفحه ٦٢] البشريه و شقائها. إن المنعم البشرى يزيده الشكر، و ينقصه الكفران، كما أن توفر نعمه المنعم على الشاكر يزيده فضلا و معروفا، فازدياد النعمه من اللوازم الطبيعيه لصفه الشكر. إن شكر الاحسان يزيد فى عدد المحسنين، و كلما ازداد التقدير للمعروف و الشكر للاحسان ازداد المحسنون، و كثر عدد من يقومون بالمعروف، و ما أسعد مجتمعا كثر فيه عدد المحسنين، و توفر فيه أصحاب الفضائل! إن الشكر هو إحدى القواعد الرئيسيه لتحقيق حياه سعيده و بناء مدينه فاضله، و ما أسعد العيش فى تلك المدينه، و ما أحلى الحياه فى ذلك المجتمع! و من الجدير بالذكر أن الآيه الكريمه تشمل على لطيفه تجب الاشاره إليها، و هى: أن الطيب الذى يقوم بعلاج داء لو كان بنفسه مصابا بذلك الداء ثم عولج فإنه يكون أعرف بالعلاج وأحذق به من غيره، فهو أعرف بالمرض و بسيره و بميزاته، و بمفاعيل الادويه فيه، و بحال المريض، و بنوع تفكيره فى حال المرض. و من لم يكن ذائقا للمراره لا- يفهمها حق الفهم مهما بين له و شرح. و من لم يتجرع كأس الألم لا يصل إلى مغراه مهما وصف له و ذكر له عنه. و لقد ذاق محمد صلى الله عليه و آله مراره اليتيم،

و تجرع كأس الفقر جرعه بعد جرعه، ثم أمره ربه بإيواء اليتامى و إغناء المعدمين، فقام بهذا الواجب و نهض به، و هو أطيّب البشرىه نفسا، و أشرفهم طينه، و أعرفهم بالعلاج، فقد جاء لانقاذ البشر من العيش الضنك، و قدم له العيش الرغد، و هو سعادته الدنيا و الآخره. جاء ليجعل من البشر إنسانا، و الانسانيه منقذه للبشر من الضعف إلى القوه، و من الفقر إلى الغنى، و من الظلم إلى العدل، و من الضلال إلى الرشاد. قام ليعالج أسقام المجتمع البشرى، و هو خبير بها و بأدويتها و بمفاعيلها، و هو رحمه للعالمين فى حياته و بعد مماته، و هل يموت من جعله الله رحمه للعالمين؟ و يقينا [صفحه ٦٣] يأتى يوم تتحقق فيه هذه الامنيه، حيث لا يوجد مظلوم و لا يرى عائل، و لا يهيم ضال، و ذلك اليوم قريب. (أليس الصبح بقريب) [٣٧]. [صفحه ٦٥]

اميه قبل الرساله

(... فآمنوا بالله و رسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله و كلماته و اتبعوه لعلكم تهتدون) [٣٨]. (هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته و يزيههم و يعلمهم الكتاب و الحكمة...) [٣٩]. (و ما كنت تتلوا من قبله من كتاب و لا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون) [٤٠]. (الامى) الامى: هو من لم يتعلم القراءه و الكتابه. و كان محمد صلى الله عليه و آله اميا لم يتعلم القراءه و لا الكتابه عند معلم بشرى، و لا عند كاتب مدرسى. أكد على ذلك القرآن و جاهر فى وصفه بالاميه فى مواضع شتى. فلم يكذبه أحد من قومه ممن شاهد محمدا صلى الله عليه و آله و رافقه منذ طفوليته و صباه و شبابه

و كهولته. إنهم كذبوا بنبوتهم، و لكنهم لم يكذبوا باميته، فقد [صفحه ٦٦] كان يعرفها كل أهل بلدته، سيما أعمام و أقرباؤه. كان من يعرف الكتابه فى ذلك العصر يشار إليه بالبنان، و له شأن، و إن قوله تعالى فى تعريفه: (النبي الامى) يشير إلى أن الاميه كانت ميزه محمد صلى الله عليه و آله من بين الأنبياء إذ لم يوصف فى القرآن نبي بالاميه غير محمد صلى الله عليه و آله. و جاء فى قصه كتابه صلح الحديبيه أنه قال: اكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله...، فقال سهيل بن عمرو: لو شهدت أنك رسول الله لم اقاتلك و لم أصدك عن البيت! و لكن اكتب باسمك و اسم ابيك، أفرغب عن اسمك و اسم أبيك محمد ابن عبد الله؟! فقال رسول الله! فقال على: امح رسول الله! فقال على: ما أنا بالذى أمحوه! فقال: أرنيه فأراه إياه، فمحا رسول الله بيده الشريفه، و قال: اكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو، و قال: أنا و الله رسول الله و إن كذبتمنى [٤١]. و هذه الاميه التى وصف بها محمد صلى الله عليه و آله غير منافيه لكون قلبه الطاهر مهبطا للتنزيل و الوحي، و منزلا للعلوم الالهيه و للمعارف الربانيه. فقد علمه ربه الحكم و الآيات، و علمه ما لم يكن يعلم، و جعله معلما للبشر، يعلمهم ما لم يكونوا يعلمون، و لعله تلاوه الآيات و تعليم الكتاب والحكمه. و لون كان محمد صلى الله عليه و آله متعلما عند بشر قبل أن يبعث لصار صدره و عاء للعلم البشرى قبل أن يصير مستودعا للعلم الالهى فكان عالما قبل أن يصير نبيا، فلم تميز نبوته

عن علمه، بل كان يتعامل مع أفكار بشرية قبل أن يصل إليه الوحي من النفس الرحمانى، و تصير معرفته للمعارف البشرية سببا فى ابتعاد نفسه الطيبه عن السذاجه الأصلية، و مزيله عنها النقاء الطبيعى. [صفحه ٦٧] إن نفس الانسان تمتاز بطابع خاص، و هو: أنها كصفحة بيضاء لم يكتب فيها كلمه و لا- حرف، و لم ترسم فيها أيه صوره، فهى قابله لأيه صوره و مستعده لقبول أى معنى. و نفس غير الامى فاقده لهذه الميزه، إنها كصفحة كتبت فيها كلمات و حروف، و ارتسمت فيها نقوش و صور، فمن يحاول رسم نقوش جديده فيها لا بد له أن يمحو تلك الصور؛ لكى ترسم الصور الجديده بشكل طبيعى و متناسق. و لكن من المستحيل محو الصور المرتمسه فى النفس الانسانيه، و محاوله ذلك لا تجدى، إذ لا بد وأن تبقى جذورها موجوده، و يكون لها تأثير فى النقوش الحديثه، فلا تحصل الثقه بأن ما جاء به النبي صلى الله عليه و آله كله من عند ربه. و من السنن الجاريه عند الشعراء: أن الشاعر يحفظ - أولا - أشعار من سبقه و يجعلها فى ذاكرته، ليعينه على استنباط المعانى فى أشعاره، حتى يخيل أنها مبتكره، و الحال أن من سبقه له تأثير هام فيها لا ينكر، و بذلك نصح أبو تمام الطائي - شيخ الشعراء - أبا عباده البحترى الشاعر الشباب؛ لما عرفه أنه من طى. و لو كان محمد صلى الله عليه و آله قارئاً للكتب لارتاب فى نبوته المبطلون، و لم تحصل لهم ثقه بدعوته، إذ من الممكن أن يكون فيلسوفاً و مفكراً، و النبي ليس بفيلسوف و لا بمفكر. إن علم النبي صلى الله عليه و

آله و ما جاء به من المثل قد انبثق من العلوم الالهيه و المعارف الرحمانيه، لا صله لها بالفلسفه البشريه إطلاقاً. و من البديهي أن من كان اميا فهو عاجز عن الاتيان بمثل ما أتى به محمد صلى الله عليه و آله من المثل و القيم، و من الفرائض و السنن؛ سيما إذا اميا نشأ فى منبت جاهلى لم توجد فيه أية حكمه و معرفه و سنه. إن اميه محمد صلى الله عليه و آله شهاده كونه ناطقه بأن ما جاء به من الحكم و السنن ليس من قبل نفسه، و ليس بشريا. إنه لم يقرأ كتابا، و لم يدرس مسأله، و لم يحضر عند استاذ. فأमितه شاهد صدق لنبوته، و إنه مبعوث من جانب الله، و لو لا الاميه الحاصله فيه لطرأ الاحتمال فى ما أتى به من الشرع أنه متخذ من الشرائع السابقه، لدخل الريب فى أصاله [صفحه ٦٨] ما أتى به. و لكن الباحث فى مختلف جوانب شرع محمد صلى الله عليه و آله ليستطيع أن يكتشف هذا الطابع الخاص فى جميع تعاليمه و نظمها، و ذلك الطابع يعطى الاسلام ذاتيه خاصه تميزه عما عداه من الشرائع و العقائد الاخرى. إن التوحيد هو ميزه إسلام محمد صلى الله عليه و آله فى مختلف حقوله و تعاليمه و أسسه، و هو الأساس فى مجال العقائد الاسلاميه، و هو الأساس فى عبادات الاسلام و الطاعات، و هو الأساس فى نظمه الاجتماعيه و الماليه و المدينه و الاخلاقيه و السياسه. و مما يلفت النظر أن قوله تعالى: (هو الذى بعث فى الاميين رسولا- منهم يتلوا عليهم آياته و يزيكهم و يعلمهم الكتاب و الحكمه) [٤٢] يشتمل على الاخبار بوجود

المستحيل، فإن الامى الذى عاش بين الاميين كيف يتلو عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمه؟! و ذلك يوجب خضوع عقل البشر أمام عظمه هذا الامى العظيم الذى هو معجزه بنفسه. [صفحه ٦٩]

منح إلهيه

إشاره

(ألم نشرح لك صدرك - و وضعنا عنك وزرك - الذى أنقض ظهرك - و رفعنا لك ذكرك - فإن مع العسر يسرا - إن مع العسر يسرا) [٤٣].

شرح الصدر

إنه الاقتدار على احتمال الأذى و الصبر على المكاره بوجه باسم و صدر رحب، و يقابله ضيق الصدر، و هو فقدان القدره على تحمل الأذى، فينفجر الرجل و يثور فى مواجهه أول مكروه، فينشئ عن عزمه، و ينصرف عن اليسر نحو غايته. و شرح الصدر ينبثق عن الطعمه النفسيه، كما أن ضعف النفس ينجب ضيق الصدر. و لقد شرح الله صدر محمد صلى الله عليه و آله و أعده لقبول الوحي، و القيام بالارشاد لمن تسيطر عليه العصبية و الأنانيه، و لمن لا يصده أى شى عن التمسك بتقاليده الوثنيه و تراثه الجاهلى. [صفحه ٧٠]

وضع الوزر

الوزر: عبء ثقيل، و منه اشتق الوزير؛ لتحمله أثقال الملك، و سمي الذنب وزرا لكونه كاسبا للوزر و مثقلا حامله. وضع الوزر عنه: أعانه و خفف ثقله. و لقد أعان الله محمدا صلى الله عليه و آله و أيده و نصره و خفف أثقاله. فقد أعطاه ربه شرح الصدر و التجلد عند المكاره، و حط أوزاره، و خفف عنه الأثقالا يتحملها فى سبيل اداء رساله مما يطيق تحمله بشر.

انقاص الظهر

أنقض ظهره: أثقله و حمل عليه حتى سمع له نقيض، أى: صوت. قد وضع الله عن محمد صلى الله عليه و آله وزره الذى أنقض ظهره، و حمله ما لا- يحتمله أحد بسبب ضلاله قومه، و إصرارهم على الكفر، و تماديهم فى إيصال المكروه إليه، فى مقابل دعوته إياهم إلى التوحيد و إلى ترك عباده الأوثان.

رفع الذكر

قال أصحاب التفاسير: رفع الله ذكره بالنبوه و غيرها. [٤٤] و أى رفع أسمى من اقتران اسمه باسمه تعالى فى كلمتى الشهاده، و فى الأذان فى كل يوم مرات؟؟!! و لكن المتبادر من هذه الآيات التى خوطب النبى صلى الله عليه و آله فى عصر نبوته: هو إخباره تعالى عن ماضى نبويه، و أنه أعطاه شرح الصدر و غيره قبل أن يؤمر بأوامر الرساله. فلقد كان محمد صلى الله عليه و آله قبل نبوته مرفوع الذكر عند قومه، يعرف بالصدق، و يلقب [صفحه ٧١] بالأمين، و ينظر إليه كما ينظر إلى الشمس فى كبد السماء، و هو أكرم الناس فى قريش، و أعزهم، و لم ترمه زله و لا هفوه. و من البديهي أن من عرف بالمكارم و الفضائل إذا بدأ بالدعوه إلى

مثل عليا يكون الناس إلى قبول دعوته أسبق منهم إلى قبول دعوته غيره. [صفحة ٧٣]

خلق عظيم

إشارة

(فبما رحمه من الله لنت لهم و لو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم و استغفر لهم و شاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين) [٤٥]. (و منهم الذين يؤذون النبي و يقولون هم أذن خير لكم يؤمن بالله و يؤمن للمؤمنين و رحمه للذين آمنوا منكم و الذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم). [٤٦]. (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم). [٤٧]. (و إنك لعلى خلق عظيم). [٤٨].

لنت لهم

اللين: ضد الفظاظه، و غلظه القلب، و هو صفة للوجه و صفة للقلب. و [صفحة ٧٤] الفظاظه: الجفاء و سوء الخلق، و هي صفة للوجه و صفة للقلب. و غلظه القلب: امتلاؤه من القسوه و خلو من الرحمه. كان محمد عليه السلام لينا، و كان لينه لينا إلهيا ناجما من رحمه ربه، فكان لينا في وجهه، و لينا في قلبه، لم يقطب في وجه أحد قط، بل كان التبسم يرتسم على شفثيه الكريمتين باستمرار. و كان أذن خيرا، و كان رحمه للذين آمنوا، و كان بالمؤمنين رؤوفا رحيفا، و هل ذلك إلا الخلق العظيم. يحدثنا خادمه أنس بن مالك فيقول: خدمت رسول الله عشر سنين فما قال لي: اف قط، و ما قال لشي صنعته: لم صنعته، و لا لشي تركته: لم تركته.... [٤٩]. و كانت له شربه يفطر عليها، و شربه للسحر. و ربما كانت واحده، و ربما كانت لبنا، فهيأتها له ذات ليله فاحتبس النبي، فظننت أن بعض أصحابه دعاه فشربتها، فجاء بعد العشاء بساعه فسألت بعض من كان معه: هل كان النبي أفطر؟ فقال: لا، فأصبح صائما

و ما سألتني عنها، و لا ذكرها حتى الساعة... [٥٠]. ما أعظم هذا الخلق و ما أكرمه! إن هذا إلا خلق عظيم. و كان محمد صلى الله عليه و آله يعطى كل جلسائه نصيباً؛ حتى لا- يحسب جلسه أن أحداً أكرم عليه منه، و كان يقسم لحظاته بين جلسائه [٥١]. ما أعظم هذا العقل! و ما أشد فهم هذا الامى الذى نشأ بين الاميين! و كان يجيب دعوه الحر و العبد و الأمه و المسكين، و يعود المرضى، و يتبع الجنائز، و يقبل عذر المعتذر. و إذا فقد الرجل واحداً من أصحابه ثلاثه أيام سأل عنه، فان كان غائباً دعا له، و إن كان شاهداً زاره، و إن كان مريضاً عاده. و كان لا يغضب لنفسه، و لكن يغضب لربه. و كان يقبل الهديه و يكافئ عليها. [صفحه ٧٥] و وسع الناس خلقه فصار لهم أباً. من جالسه لحاجه صابره؛ حتى يكون هو المنصرف عنه. ما أصعب هذه المصابره، سيما على من يكون موضع حاجات الناس، و ما هذا إلا الخلق العظيم. و كان يبدأ من لقيه بالسلام، و يبدأ أصحابه بالمصافحه، و كان يدعوهم بأحب أسمائهم تكرمه لهم، و لا- يقطع على أحد حديثه. و كان يجالس أصحابه و يخالطهم و يحادثهم، و يداعب صبيانهم و يجلسهم فى حجره. [٥٢]. جاءته امرأه و ذكرت زوجها، فقال: أهذا الذى فى عينيه بياض؟ فقالت: لا، ما بعينه بياض، ثم حكّت لزوجها، فقال: أما ترين بياض عيني أكثر من سوادها [٥٣]. و من أطراف ما روى عنه أن محمداً صلى الله عليه و آله كان مع رهط فى سفر، فأمر باصلاح شاه فقال رجل: يا رسول الله، يا ذبحها، و قال آخر:

على سلخها، و قال ثالث: على طبخها، و قال محمد صلى الله عليه و آله: و على جمع الحطب، فقالوا: يا رسول الله، نحن نكفيك، فقال: قد علمت أنكم تكفوني، و لكن أكره أن أتميز عليكم، فان الله يكره من عبده أن يراه مميزا بين أصحابه، و قام و جمع الحطب. [٥٤]. هذا هو الرجل الذى قام لدعوه الناس بالقسط، و تصدى لالغاء النظام الطبقي فى العالم، و جعله الله قدوه للبشرية و خادما للانسانية. و خرج ذات يوم إلى بئر يغتسل، فأمسك حذيفه بن اليمان بثوب عليه و ستره به حتى اغتسل، ثم جلس حذيفه ليغتسل، فتناول محمد صلى الله عليه و آله الثوب و قام بستر حذيفه [صفحة ٧٦] فأبى حذيفه و قال: بأبى و امى أنت يا رسول الله، لا- تفعل، فأبى محمد صلى الله عليه و آله إلا أن يستره بالثوب حتى اغتسل، و قال: ما اصطحب اثنان قط إلا و كان احبهما إلى الله أرفقهما بصاحبه. [٥٥]. و قال ابن عباس: و كان رسول الله صلى الله عليه و آله إذا حدث الحدث الحديث أو سأل عن أمر كرره ثلاثا؛ ليفهم أو ليفهم عنه. [٥٦]. و قال زيد بن ثابت: كان النبي صلى الله عليه و آله إذا جلسنا إليه: إن أخذنا بحديث فى ذكر الآخرة أخذ معنا، و إن أخذنا فى ذكر الدنيا أخذ معنا، و إن أخذنا فى ذكر الطعام و الشارب أخذ معنا. [٥٧]. و دخل بعض بيوته فامتلا البيت من الجالسين، و دخل جرير بن عبد الله فقعده خارج البيت، فأبصره النبي صلى الله عليه و آله فأخذ ثوبه فلفه فرمى به إليه، و قال: اجلس على

هذا...، فأخذه جرير فوضعه على وجهه و قبله [٥٨]. و يقول سلمان الفارسي: دخلت على رسول الله صلى الله عليه و آله و هو متكئ على و ساده، فألقاها إلى، قال: يا سلمان، ما من مسلم دخل على أخيه المسلم فيلقى له الوساده إكراما له إلا غفر الله له... [٥٩].

فاعف عنهم

صفه العفو من أشرف المكارم الأخلاقية، و من ميزات الانسان و خاصته، فإن [صفحه ٧٧] الحيوان غير قادر على العفو، إنه لحريص على الانتقام و القصاص، و كلما كملت الانسانيه فى شخص قويت صفه العفو فيه، و كلما نقصت الانسانيه ضعفت تلك الخصله الكريمة. و محمد صلى الله عليه و آله هو ذلك الانسان الكامل الذى كان لنا منزها عن الفظاظه، و هو رحمه للعالمين، و جده ربه أهلا- فأمره بالعفو عمن أساء إليه، و لو كان محمد صلى الله عليه و آله فظا غليظ القلب لم يستطع العفو عمن أساء إليه. إن القسوه خلق حيوانى يدعو إلى القصاص، و إن العفو خلق إنسانى يدعو إلى الرحمه، و لا تنبت شجره العفو إلا فى أرض الإنسانيه. و ما أروع عفو محمد صلى الله عليه و آله عن هبار بن الاسود، ذلك الذى روع زينب بنت محمد صلى الله عليه و آله حين و خزها فى جنبها و هى حامل، فالقت ما فى بطنها و فارقت الحياه بعد مده إثر ذلك الترويع...، و لم يكن ذلك فى حرب، و لم تشارك زينب فى حرب، و إنما كان ذلك عند مغادرتها مكه. و جاءه هبار معتذرا من سوء صنيعه، فقال: كنا يا نبى الله أهل شرك فهدانا الله بك، و أنقذنا بك من الهلكه، فاصفح عن جهلى و عما

كان يبلغك عنى، فإنى مقر بسوء فعلى، معترف بذنبى، فقال صلى الله عليه وآله: «وقد أحسن الله إليك حيث هداك الله إلى الاسلام، و الاسلام يجب ما قبله...» [٦٠]. ما أعظم هذا التشريع «الاسلام يجب ما قبله» [٦١]. و هل يمكن أن ينجم مثل هذا عن قلب غير ملىء بالرحمة بالبشرية الكافره؟ فكيف إذن هي رحمته للبشرية المؤمنه؟ و مما يلفت النظر: الاختلاف بين كلام هبار و كلام محمد صلى الله عليه وآله، فإن هبارا [صفحة ٧٨] قال: «هدانا الله بك و أنقذنا بك من الهلكه»، و أجابه محمد صلى الله عليه وآله بقوله: «قد أحسن الله إليك حيث هداك الله إلى الاسلام» فلم يأت باسمه الشريف، و أن الهدايه كانت بواسطته، فلم يكن فيه ذره أنانيه، و ذلك هو الخلق العظيم، و هل ذلك إلا الفناء فى الله؟ و كذا عفوه عن وحشى قاتل عمه حمزه، كان حمزه أحد حصون الاسلام، و زميل محمد صلى الله عليه وآله منذ طفولته، و عند ما أسلم وحشى على يده قال له النبى صلى الله عليه وآله: «أخبرنى كيف قتلت عمى؟» فأخبره، فبكى، ثم عفا عنه، و قال: «غيب وجهك عنى» [٦٢]. و كذا عفوه عن رجل كان معه سيف و أراد قتله و هو حاسر حين كان محمد صلى الله عليه وآله فى سفر، و كان متنجس عن أصحابه لازاله خبث، فجاء سيل و فصل بينه و بين أصحابه، فرقد على الأرض حتى ينفذ السيل، و عرف الرجل ذلك، فجاءه و هو راقد على الأرض، و قال: يا محمد، من ينقذك منى؟ فقال صلى الله

عليه و آله: «الله»، فقدم الجاني رجله اليمنى و علاه بالسيف ليضربه و يقطعه نصفين، فعثر عثره و سقط على الأرض و وقع السيف من يده، فابتدر محمد صلى الله عليه و آله و أخذ السيف و علاه، و قال: من ينقذك مني؟ فقال: عفوك، فعفا عنه. [٦٣]. [صفحہ ٧٩] والعفو على خلاف شرع الثوره، فإن محمدا صلى الله عليه و آله لم يكن نائرا، فإن الثائر لا يعفو، و أين الثوره من العفو؟ إنه كان إنسانا عفوا رؤوفا رحيفا بالعالمين. و مثل ذلك عفوه عن أبي سفيان و هو هو، و عفوه عن زوجته و هي هي. يحدثنا القاضي ابن خلكان فى كتابه القيم و فيات الأعيان عن رجل من ثقات أهل السنه أنه قال: رأيت فى ما يراه النائم على بن أبى طالب، فقلت له: يا أمير المؤمنين، تفتحون مكة فتقولون: من دخل دار أبى سفيان فهو آمن، ثم يتم على ولدك الحسين يوم الطف ما تم؟! فقال: أما سمعت أبيات ابن الصيفى فى هذا؟ فقلت: لا، فقال: اسمعها منه، ثم استيقظت، فبادرت إلى دار حيص بيص الشاعر المشهور، فخرج إلى، فذكرت له الرؤيا، و أجهش بالبكاء، و حلف بالله إن كانت خرجت من فمى أو خطى إلى أحد، و إن كنت نظمتها إلا فى ليلتى هذه، ثم أنشد: و حللتوا قتل الاسارى فطالما نمر على الاسرى فنعمو و نصفح فحسبكم هذا التفاوت بيننا و كل إناء بالذى فيه ينضح [٦٤].

و استغفر لهم

الاستغفار: طلب الغفران من الاثم. و استغفار النبى صلى الله عليه و آله للمذنبين هو طلب المغفره من به لذنوبهم، و هو الشفاعه. إن الاستغفار هو مدافعه الشر و مطابه الخير، و ينجم عن رحمه شديده للمستغفر له. و

يستغفر الإنسان لنفسه، و أحب شىء لدى الإنسان نفسه، و قد يكون الاستغفار لغيره إذا كان الغير حبيبا له و عزيزا عليه: ولده أو أخاه أو غيرهما ممن له عند المستغفر [صفحة ٨٠] منزله عظيمه. و استغفار محمد صلى الله عليه و آله لقومه ينبثق عن رحمه شديده لهم، و لولاه لم يستطع الاستغفار لهم. إنه رحمه بالبشر أعظم من رحمه أى ولد بأبيه و امه. إن الأبوين يفكران فى الجزاء على معروفهما من قبل الولد، و لكن النبى محمدا صلى الله عليه و آله لا يطلب الأجر من أحد إزاء معروفه له. فقد كان قلبه الطاهر مليئا بالرحمة، يعفو عن ظلمه، و يصل من حرمه، و يستغفر لمن أذنب و عصى، و قد وجد ربه محلا و أهلا، فأمره بالاستغفار للآثمين. و الاستغفار يتطلب رحمه أشد من الرحمه التى يتطلبها العفو. العفو ترك القصاص، و الاستغفار و طلب الخير زياده على ترك القصاص. لقد عفا محمد صلى الله عليه و آله عن أساء إليه بصفته شخصا، و استغفر لهم بصفته نبيا، و إن طلب نبى غفران الله لقومه يعتبر شفاعه لهم، و قد أمر بذلك فهو عفو غفور شافع، مستغفر رؤوف رحيم. و لما كسرت رباعيته يوم احد و شج وجهه شق ذلك على أصحابه جدا، قالوا لو دعوت عليهم، فقال صلى الله عليه و آله: «إنى لم ابعث لعانا، و لكنى بعثت داعيا و رحمه، اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون» [٦٥]. فهو لم يقتصر على السكوت عنهم حتى عفا عنهم ثم أشفق عليهم و رحمهم و دعا و شفع لهم بقوله: «اللهم اهد قومى»، ثم اعتذر عنهم إلى ربه بجهلهم، فقال: «إنهم لا يعلمون». و فى

التعبير عن أعدائه الناصبين له الحرب، الساعين في قتله و إبادته ما لا يخفى من شدة الرحمة و طلب الهدايه لهم. ذلك استغفاره للكفار الذين نصبوا له الحرب و هم أعداؤه، فكيف باستغفاره للمؤمنين و هم أنصاره و أحباؤه؟ فقد بعث رحمه للعالمين. [صفحة ٨١]

و شاورهم فى الأمر

المشاوره: هى طلب النصح و الارشاد. إنها اعتراف من المستشار بعقل المستشار و درايته و معرفته و نصحه له، و هى ترفع المستشار إلى مقام أعلى. و إذا كان المستشار رفيع المنزله فمشاورته تزيد فى علو مقام المستشار. إنها عطف من المستشار، و إبداء لطف منه بالمستشار. و المشاوره بين القائد و جنوده صفه ديمقراطيه له، و تكريم لهم منه، و هى من فضليات المكارم، تنفع المستشار و لو كان أنبل منهم و أعقل، إذ المشاوره ترشد المستشار من خلال أحاديث المستشار إلى معرفه أشياء ربما يكون المستشار نفسه غافلا- عنها، و لو تزيد و توثق عرى الموده و المحبه بينهما. إن المشاوره لهى من المفاهيم الاسلاميه الحسنی، و من مثلها العليا، أمر الله محمدا بمشاوره قومه بعد أن أمره بالعمو عنهم، و بعد أن أمره بالاستغفار لهم، فعفا عنهم بصفته إنسانا شريفا، و استغفر لهم بصفته نبيا رؤوفا، و شاورهم بصفته قائدا عطوفا. إن المشاوره تدعو إلى رفض التفاضل و الابتعاد عن الحياه الارستو قراطيه و تأسيس حياه ديمقراطيه. شاور محمد صلى الله عليه و آله أصحابه يوم بدر و قال: «أشيروا على...» فقام أبوبكر و قال: يا رسول الله، إنها قريش و خيلاؤها، ما آمنت منذ كفرت، و لا ذلت منذ عزت. فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: اجلس فجلس. ثم قال: «أشيروا على» فقام عمرو و قال مثل مقاله

أبى بكر، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: اجلس فجلس. ثم قام المقداد وقال: يا رسول الله، إنها قريش وخيلاؤها، وقد آمننا بك، وشهدنا أن ما جئت به حق من عند الله، ولو أمرتنا أن نخوض جمر الغضا وشوك الهراس لخضنا معك، ولا نقول لكم ما قالت بنو إسرائيل لموسى: (... فاذهب أنت وربك [صفحة ٨٢] فقاتلا أنا هاهنا قاعدون) [٦٦] ولكننا نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا أنا معكما مقاتلون...، ثم جلس، ثم قال النبي: «أشيروا على». فقام سعد بن معاذ فقال: بأبى أنت وامى يا رسول الله، كأنك أردتنا قال صلى الله عليه وآله: «نعم»، قال: إنا قد آمننا وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به حق من عند الله، فمرنا بما شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، واترك منها ما شئت، والذي أخذت منا أحب إلينا من الذى تركت، والله لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر لخضناه معك... [٦٧]. إنه صلى الله عليه وآله لم يأمر المقداد وسعدا بالجلوس، ولكنه أمر أبابكر وعمر بالجلوس، لماذا؟

فإذا عزم فتوكل على الله

ان المشاوره سراج يضىء الطريق، ويرشد إلى حل المشاكل ومكافحه الصعوبات، وهى تقوى على إزالة الموانع عن الوصول إلى الغايه المنشوده. و إذا انتهت المشاوره حان وقت العزم واتخاذ الرأى. والمشاوره تنجب الرأى السديد والعزم الشديده، وإلا فالمشاوره بنفسها لا تعالج أمرا، ولا تحل مشكله، فهى بمنزله معرفه الدواء، والعزم بمنزله استعمال الدواء، فإن العزم لا ينفك عن العمل. وكان محمد صلى الله عليه وآله من أعظم الناس

عزماً، و أقواهم إرادته، لا- ينشئ عزمه، و لا تضعف إرادته. قام بهدايه الناس و إرشادهم و توجيههم إلى الحق و الرشاد، و ألقى إليه من جانب الله زمام جميع السلطات الدينيه: السلطه القضائيه، و السلطه التنفيذيه، و هاتان السلطتان له و لمن قام بعده، و السلطه الثالثه هي التشريعيه، و هي له خاصه دون سواه. [صفحہ ۸۳] أمر الله محمدا صلى الله عليه و آله بالتوكل عليه إذا عزم، و التوكل: هو إيكال الأمر إلى الله عند ركوب الغمار، بعد دراسه الطريق و معرفته معرفه تامه، و هو بمنزله طلب الشفاء من الله بعد رجوع المريض إلى الطيب و استعمال الدواء، و هو الذى يستحسنه العقل. فإن هناك احتمالات لا دافع لها سوى التوكل: احتمال خطأ الطبيب فى معرفه المرض أو جهله بالمرض، و احتمال خطئه فى معرفه الدواء أو جهله به، و احتمال خطأ الصيد لانى فى تعيين الدواء، و احتمال فساد الدواء، و احتمال عدم التأثير. و التوكل غير العقلانى و غير الصحيح هو الفاقد للخصائص التوكل الحسن. إن الواجب على كل قائد هو المشاوره، ثم العزم، ثم تنفيذ ما عزم عليه مع التوكل على الله. و هذا أقرب سبيل للفوز، و آمن طريق للوصول إلى الغايات الغاليه، و قوله تعالى: (إن الله يحب المتوكلين) [۶۸]. خير بشاره لفوز المتوكل و نجاحه (و أن سعيه سوف يرى) [۶۹]. إن التوكل كفاح لنزعه اليأس التى تملأ بعض القلوب، قلع لروح الخيبه التى تسيطر على بعض النفوس، و تسديد للهمه و تشويق إلى الاقدام و الخوص فى الغمار.

لا نفصوا من حولك

و الكلام حول هذه الكريمه: هو - أنها على حد التعبير المنطقى - أن يقال: إنها تشكل

قياسا استثنائيا ينتج انتفاء التالي عند نفي المقدم، وإليك صورته القياس: لو كنت فظا غليظ القلب لا نفصوا من حولك، ولكنك لنت لهم و لست بفظ غليظ القلب، فتكون النتيجة: أنهم لم ينفصوا من حولك، بل انفضوا إليك و التفوا حولك. و ذلك من روائع القرآن التي تأتي بالبرهان في صورته الخطابه، فيكون أسرع إلى القلوب و أنفذ في النفوس. [صفحه ٨٤] و بهذه الآيه الكريمة يرفع الستار عن وجه معنى طالما بحث الباحثون عنه و إنه من أروع المعاني و أدقها، إنه مفتاح به فاز محمد صلى الله عليه و آله في دعوته و نجاح في نبوته. و لو كان محمد صلى الله عليه و آله حيا - و هو حي لم يمت - لقصدته المفكرون من جميع أرجاء العالم ليسألوه عن سر نجاحه في الدعوه و توفيقه في الارشاد. و قد أجاد ربه الذي بعثه عن هذا السؤال قبل أن يدور بخلد أحد، و أزاح الستار عن وجه هذه الحقيقه الرائعه، فقال تعالى: (و لو كنت فظا غليظ القلب لا نفصوا من حولك...) إن الداعي لنجاح محمد صلى الله عليه و آله هو لينه و خلقه الكريم، و ذلك خير ذريعه لالتفاف الناس حوله و اجتماعهم عليه. و إن الخلق الكريم شفاء للقلوب الداميه، و ارتياح للنفوس المضطهده. و كثيرون ممن آمنوا بمحمد صلى الله عليه و آله إنما آمنوا به بفضل خلقه الكريم و شفقتة و رحمته. و الآيه الكريمة تكشف النقاب عن بطلان كلمه حاقدته نايه يقولها المغرضون و أصحاب العقد النفسيه: إن قياده محمد صلى الله عليه و آله قياده سيف و دماء، هذه الكلمه هي التي جاءت من الغرب إلى الشرق،

و اهديت من بلاد الكفر إلى بلاد الاسلام، و استحسناها الذى لم يعرف عن دينه سوى اسم الاسلام. إن الزعامه على قسمين: زعامه سيف و دمء، و زعامه حب و ولاء. و الباحث عن حياه محمد صلى الله عليه و آله يعرف أن قيادته المقدسه كانت قياده لين و رحمه، و قياده عفو و غفران، و زعامه عدل و قسط، و هذه القياده هي فوق القياده الديمقراطيه بكثير. أين الثريا من الثرى؟ مسكين إنسان اليوم، لقد ذاق فى بعض أنحاء العالم طعم القياده الديمقراطيه، و لكنه لم يذق طعم القياده المحمديه، قياده اللين و الرحمه، و لم يرد منهل العدل و الاحسان. إن قياده السيف أحب بعض النفوس من قياده الحب، حتى بالنسبه إلى اولئك [صفحه ٨٥] الذين يدعون انهم جاؤوا لارشاد الناس و توعيتهم و تثقيفهم. و عليك بدراسه حياه هتلر، و لينين، و ماو، و أمثالهم. إنها قياده ليست بإنسانيه، و إنما هي زعامه سباع، و زعيم السباع، من يكون اقوى منهم و أشد عليهم. نعم، إن الناس أطوع لقياده السيف من قياده العدل، و إنك لا ترى فى دور قياده العدل عنفا و إخافه، و لا خديعه و بطشا، و لا مكان للسيف فى هذه القياده إلا- لاقامه العدل، و لاغائه المظلوم. إن الفوز و النجاح فى الزعامه الانسانيه يكون أكثر و أكثر، لتكون قوتها أبديه، و نجاحها عالميا. و الزعيم فى الزعامه الانسانيه يذوب فى مجتمعه، و المجتمع يقوى و يكبر، و لكن الزعيم فى الزعامه السبعيه يقوى و يكبر، و المجتمع يذوب و يصغر. و لقد أخرج محمد صلى الله عليه و آله قومه بالزعامه الانسانيه من الذل إلى العز، و من الفقر إلى الغنى، و من

الجهل إلى العلم، و من الضلال إلى الرشاد خروجاً لا رجعه فيه زهاء قرون و أحقاب. إن الزعيم الانساني يضحى بنفسه فى سبيل إسعاد قومه، و لازعيم السبعى يضحى بقومه فى سبيل الوصول إلى مشتبهاته و مآربه، فىرى الزعيم الانسانى الحكم وسيله، و يرى الزعيم السبعى الحكم هدفاً. قال سعيد بن سويد: صلى بنا معاويه بالنخليه الجمعه، ثم خطبنا فقال: إنى ما قاتلتكم لتصوا، و لا لتصوموا، و لا- لتحجوا، و لا- لتزكوا، إنكم تفعلون ذلك، و إنما قاتلتكم لتأمر عليكم، و قد أعطانى الله ذلك و أنتم كارهون... [٧٠].

قل اذن خير لكم

وصف الله محمدا صلى الله عليه و آله بأنه اذن خير للمنافقين. و لماذا لا يكون كذلك و هو رحمه [صفحه ٨٦] للعالمين؟ لقد كان من حسن خلق محمد صلى الله عليه و آله و كرم شيمه أن يوسع المجال للمنافقين فى أحاديثهم، و يستمع إلى أقوالهم، فإن ذلك قد يوجب تسكين ثورتهم النفسيه و إضعاف عقدهم القليه، و لكنهم لم يقدروا معروفه، و قابلوا الحسنه بالسيئه، و فضله بالاذى، فذموه و قالوا: إنه اذن...! إن العدو الحاقد قصد ذم محمد صلى الله عليه و آله، و لكنه قد مدحه و هو لا يشعر بمدحه له. إنه كشهاده منه بفضله و بمعرفه، و الضمير الانسانى يدرك مدى هذه المكرمه العظيمه. ما أحببت من يجازى الخير بالشر! و ما أشد لؤم من يقصد قتل من يطلب حياته! كان محمد صلى الله عليه و آله مثلاً- للرحمه غير المتناهيه، و من شده رحمته كان يصغى إلى مقالاتهم، و يجعلهم أحراراً فى إظهار آرائهم و معتقداتهم. و ما أصعب الاصغاء إلى الثرثارين فى الكلام، سيما إذا كان المصغى يعرفهم بعداوتهم له،

يظهرون له الحب و يبطنون له العدااء، و هم كثيرون. كان محمد صلى الله عليه و آله اذن خبير للمنافقين و هم هم.فهو اذن خير للمؤمنين بلاشك، و رحمه للذين آمنوا، يصدقهم، و يؤمن لهم، و هو بهم رؤوف رحيم.ما التقم أحد اذن محمد صلى الله عليه و آله فينحى رأسه حتى يكون الرجل هو الذى ينحى رأسه [٧١]. و ما قعد إليه رجل قط فقام حتى يقوم [٧٢] ، فويل لمن يؤذى محمدا صلى الله عليه و آله فى حياته و يؤذيه فى مماته. (الذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم).

عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم

يشق على نفس محمد صلى الله عليه و آله الشريفه ما يصيبكم من المكروه، و يصعب عليه ما [صفحه ٨٧] يزعجكم، و ذلك من شده رحمته بكم، و رأفته عليكم، فهو حريص على فوزكم، و شديد الحرص على رشادكم، حرص الوالد الكريم على ولده الحبيب و الأم الحنون على طفلها الرضيع.إن محمدا صلى الله عليه و آله - و هو الأب لامته - حريص على نجاحها و هداها، و سلوكها سبيل المعالى و الرشاد.و غير خفى أن الوصفين متقابلان: عنتم عليه شديد و هو على صلاحهم حريص، و يجمع الوصفين قوله تعالى: (بالمؤمنين رؤوف رحيم).الرأفه: ضد الفظاظه، و هى اللين و الرحمه، و هى من صفات الله و وصف الله محمدا صلى الله عليه و آله بهما، فما أعظمه و ما أقرب منزلته إلى ربه! إنه ممثل لربه يمثله بنفسه، و يمثله بصفاته، و يمثله بأقواله، و يمثله بأفعاله، بعثه الله رسولا- و قدوه صالحه. إنه لأ- رأف البشر، و أرحم بهم من أنفسهم.و مما يجدر بالذكر: أن الأوصاف التى وصف الله محمدا

صلى الله عليه وآله بها فى هذه الآيات هى التى تنفع غيره من البشر، و أن الناس هم الذين ينتفعون منها. إنه لين ينتفع من لینه غيره. انه ليس بفظ و ينتفع من ذلك غيره، و ليس بغليظ القلب و ينتفع من ذلك غيره. إنه يعفو عنهم. إنه يستغفر لهم. إنه يشاورهم فى الأمر. إنه اذن خير لهم. إنه عزيز عليه ما عنتوا. انه حريص على صلاحهم. إنه رؤوف و رحيم بهم. و هل ينتفع من هذه المكرمات إلا غير محمد صلى الله عليه و آله؟ لقد قال ربه مخاطبا إياه: (و ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) [٧٣]. فهل يصح بعد هذا أن يقال: إن محمدا صلى الله عليه و آله لم ينصب خليفه لنفسه و هو رحمة للعالمين و رؤوف بالمؤمنين و رحيم بهم. و لكن أبا بكر نصب خليفه على الامه رآفه بهم؟!!

و إنك لعلی خلق عظیم

قسما بالنون، قسما بالقلم، قسما بجميع ما يسطرون إن محمدا صلى الله عليه و آله ليس بمجنون، [صفحه ٨٨] و إنه على خلق عظیم.خاطبه ربه فى هذه الآيات، و أكد كلامه بالقسم و بلام التأكيد، و قال: (إنك لعلی خلق عظیم). كانت الآيات السابقه فى مقام نشر أوصاف محمد صلى الله عليه و آله، و هذه الآيه الكريمة فى مقام جمع أوصافه، و إجمالها. إن محمدا بصفته على خلق عظیم واجد لجميع الفضائل و الفواضل، و منزّه عن جميع النقائص و الرذائل، فهو تال لربه فى الخلق، و لكن ربه واجب، محمد صلى الله عليه و آله ممكن. ربه واجب الوجود، واجب بذاته، واجب فى صفاته، و محمد صلى الله عليه و آله ممكن الوجود، ممكن فى ذاته، ممكن فى

صفاته على حد التعبير الفلسفى. محمد صلى الله عليه و آله مخلوق و ربه الخالق. محمد صلى الله عليه و آله عبد و ربه المعبود، (سبحان الذى أسرى بعبده...) [٧٤]. إن محمدا بصفته على خلق عظيم. لين، عفو، مستغفر لقومه، أذن خير لهم، رؤوف بهم و رحيم، حى لا يثبت بصره فى وجه أحد. و كان أشد حياء من العذراء فى خدرها، و كان إذا كره شيئا يعرف ذلك فى وجهه، فلم يكن ذا وجهين و كان لطيف البشره، رقيق الظاهر، لا يشافه أحدا بما يكرهه، و كان إذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل: «ما بال فلان»، و لكن يقول: «ما بال أقوام يصنعون كذا»، و يقولن كذا، و ينهى عنه و لا يسمى فاعله. جاءه يهودى له عليه دنائز فتقاضاه، فقال له: يا يهودى، ما عندى ما اعطيك، فقال: إنى ما افارقك يا محمد حتى تقتضينى! فقال: إذا أجلس معك فجلس معه حتى صلى فى ذلك الموضع الظهر و العصر و المغرب و العشاء و الغدا، و كان أصحابه يتهددون اليهودى و يتوعدونه. فنظر إليهم محمد صلى الله عليه و آله و قال: ما الذى تصنعون به؟ [صفحه ٨٩] فقالوا: يا رسول الله، يهودى يحسبك؟! فقال: لم يبعثنى ربه عزوجل بأن أظلم معاهدا و لا غيره. فلما علا النهار قال اليهودى: أشهد أن لا إله إلا الله، و أشهد أن محمدا عبده و رسوله، و شطر ماله فى سبيل الله، و قال: ما فعلت بك الذى فعلت إلا لانظر إلى نعتك فى التوراه، فإنى قرأت نعتك فى التوراه. محمد بن عبد الله. مولده بمكه، و مهاجره بطيبه و ليس بفظ و لا غليظ، و لا صحاب [٧٥]

، و لا- متزين بالفحش و لا- قول الخنا... [٧٦] . [٧٧] . و جاءه سائل يسأله، فقال النبي صلى الله عليه و آله: هل من أحد عنده سلف؟ فقام رجل من الأنصار من بنى الحبلبي [٧٨] و قال: عندي يا رسول الله. قال: فأعط هذا السائل أربعة أوساق تمره... فأعطاه الأنصاري، ثم جاء إلى النبي يتقاضاه، فقال له: يكون إن شاء الله، ثم عاد إليه فقال: يكون... ثم عاد إليه الثالث فقال له: يكون إن شاء الله، فقال الأنصاري: قد أكثرت يا رسول الله من قول: يكون إن شاء الله! فضحك النبي و قال: هل رجل عنده سلف؟ فقام رجل و قال: عندي يا رسول الله، قال صلى الله عليه و آله: و كم عندك؟ قال: ما شئت. قال: فأعط هذا ثمانيه أوساق، قال الأنصاري: إنما لي أربعة. قال رسول الله صلى الله عليه و آله: و أربعة أيضا. [٧٩] . [صفحة ٩٠] الربا حرام في الدين إن كان شرطاً من قبل الدائن، و هي مندوبه يؤديها المديون بلا اشتراط من جانب الدائن. و قال جابر بن عبد الله الأنصاري: بينا أنا مع رسول الله صلى الله عليه و آله في بعض غزواته إذ أعيانا ناضحي [٨٠] تحتى بالليل فبرك، و كان رسول الله صلى الله عليه و آله في أخريات الناس ليرجى الضعيف و يردف و يدعو لهم، فأنتهى إلى و أنا أقول: يا لهف أمياه [٨١] و ما زال لنا ناضح سوء! فقال: من هذا؟ فقلت: جابر، بأبي أنت و امي يا رسول الله. قال: ما شأنك؟ قلت أعيانا ناضحي. قال: أمعك عصا؟ قلت: نعم. فضربه ثم أناخه، و وطى على ذراعه، و قال: اركب. فركبته فسأيرته، فجعل جملي يسبقه، فاستغفر لي تلك الليلة

خمسا و عشرين مره. فقال: ما ترك عبد الله من الولد (يعنى أباه)؟ قلت: سيع نسوه. قال: أبوك عليه دين؟ قلت: نعم. قال: إذ قدمت المدينة فقاطعهم، فإذا حضر جذاذ نخلكم فأذنى. وقال: هل تزوجت؟ قلت: نعم. قال: بمن؟ كك قلت: بفلانته، بأيم [٨٢] كانت بالمدينه. قلت: يا رسول الله، كن عندى نسوه خرق (يعنى أخواته) فكرهت أن آتيهن بامرأه خرقاء، هذه أجمع لأمرى، قال: أصبت و رشدت. [صفحه ٩١] فقال: بكم اشتريت جملك؟ قلت: بخمس أواق من ذهب. فقال: قد أخذناه...، فلما قدم المدينة أتيته بالجمل. فقال: يا بلال، أعطه خمس أواق من ذهب يستعين بها فى دين عبد الله، و زده ثلاثا، و أردد عليه جملة. قال: هل قاطعت غرما [٨٣]، عبد الله؟ قلت: لا يا رسول الله. قال: لا عليك، إذا حضر جذاذ نخلكم فأذنى، [٨٤]. فجذناه و استوفى كل غريم ما كان يطلب تمرا و فاء، و بقى لنا ما كنا نجد و أكثر. فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: ارفعوه و لا تكيلوا، فرفعنا و أكلنا منه زمانا [٨٥]. و يحدثنا أنس بن مالك فيقول: كنت مع النبى صلى الله عليه و آله - و عليه برد غليظ الحاشيه - فجذاه أعرابى بردائه جذبه شديد حتى أثرت البرد فى صفحه عاتقه، ثم قال: يا محمد، احمل لى على بعيرين هذين من مال الله الذى عندك، فإنك لا - تحمل لى من مالك، و لا مال أيبك! فسكت النبى صلى الله عليه و آله، ثم قال: المال مال الله، و أنا عبده، أو يقاد منك يا أعرابى ما فعلت بى؟ قال: لا، قال: لم؟ قال: لانك لا تكافئ السيئه بالسيئه، فضحك النبى صلى الله عليه و آله، ثم أمر أن يحمل له على

بعير شعير، و على الآخر تمر [٨٦]. أقول: القود ليس بسيئه، و إنما حسنه من الناحيه الاجتماعيه. و كان جلسا فى المسجد إذ جاءت جاريه لبعض الأنصار، فأخذت بطرف ثوبه! [صفحه ٩٢] فقام لها النبي فلم تقل شيئا! و لم يقل لها النبي شيئا، حتى فعلت ذلك ثلاث مرات، فقام لها النبي فى الرابعه و هى خلفه، فأخذت هديه من ثوبه ثم رجعت. فقال لها الأنصار: فعل الله بك و فعل! حبست رسول الله ثلاث مرات لا تقولين شيئا، و هو لا يقول لك شيئا! ما كانت حاجتك إليه؟ قالت: إن لنا مريضا، فأرسلنى أهلى لأخذ هديه من ثوب رسول الله يستشفى بها، فلما أردت أخذها رأنى؛ و استحيت أن أخذها و هو يرانى، و أكره أن أستأمره فى أخذها، فأخذتها [٨٧]. أبو رافع: نزل برسول الله ضيف، فبعثنى إلى يهودى و أمرنى أن أقول له: إن رسول الله يقول: بعنى كذا و كذا من الدقيق، أسلفنى إلى هلال رجب، فقال: و الله لا أبيع و لا أسلفه إلا برهن! فأتيت رسول الله فأخبرته...، فقال صلى الله عليه و آله: «و الله لو باعنى و أسلفنى لقضيت، و إنى لأمين فى السماء و أمين فى الأرض، اذهب بدرعى الحديدى إليه». و دعاه قوم من أهل المدينه إلى طعام صنعوه له و لأصحاب له خمسه، فأجاب دعوتهم، فلما كان فى بعض الطريق أدركهم سادس فماشاهم، فلما دنوا من بيت القوم قال للرجل السادس: إن القوم لم يدعوك، فاجلس حتى نذكر لهم مكانك و نستأذنهم بك. [٨٨]. كعب بن مالك: كان رسول الله صلى الله عليه و آله إذا سره الأمر استنار وجهه كأنه دائرة القمر [٨٩]. ابن عمر: كان

رسول الله صلى الله عليه وآله...، وإذا غضب خسف لونه و اسود [٩٠]. [صفحة ٩٣] أبو ذر الغفاري: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يجلس بين ظهراني أصحابه [٩١]، فيجيء الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل؟... [٩٢]. أنس بن مالك: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعود المريض، ويتبع الجنازة، و يجيب دعوه المملوك، و يركب الحمار. و كان يوم خبير و يوم قريظه و النضير على حمار مخطوم بحبل من ليف تحته إكاف من ليف. [٩٣]. و قال: لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وآله، و كانوا إذا رأوه لم يقوموا إليه؛ لما يعرفون من كراهيته... [٩٤]. و قال: مر رسول الله صلى الله عليه وآله على صبيان فسلم عليهم و هو مغذ. [٩٥]. أسماء بنت يزيد: إن النبي مر بنسوه فسلم عليهن. [٩٦]. ابن مسعود: أتى النبي رجل يكلمه فأرعد! فقال: «هون عليك فلست بملك، إنما أنا ابن امرأة تأكل القد.» [٩٧]. أبو سعيد الخدري: كان رسول الله حيا لا يسأل شيئا إلا أعطاه، و كان أشد حياء [صفحة ٩٤] من العذراء في خدرها، و كان إذا كره شيئا عرفناه في وجهه. [٩٨]. جابر: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا خرج مشى أصحابه أمامه و تركوا ظهره للملائكة [٩٩]. و روى: أنه إذا كان راكبا لم يدع أحدا يمشى معه حتى يحمله معه، فإن أبي قال: تقدم أمامي و أدركني في المكان الذي تريد [١٠٠]. الامام علي بن أبي طالب صلى الله عليه وآله: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا رأى ما

يحب قال: الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات» [١٠١]. و كان رسول الله صلى الله عليه و آله أجود الناس كفا، و أشرح الناس صدرا، و أصدق الناس لهجه، و أوفاهم ذمه، و ألينهم عريكة، و أكرمهم عشيره، و من رآه بديهه هابه، و من خالطه فعرفه أحبه، لم أر مثله قبله و لا- بعده... [١٠٢]. و ما صافح رسول الله صلى الله عليه و آله أحدا قط فينزع يديه حتى يكون هو الذى ينتزع [١٠٣]. و ما فاوضه أحد فى حاجه أو حديث فانصرف حتى يكون الرجل ينصرف. و ما نازعه الحديث حتى يكون هو الذى يسكت. و ما رثى مقدما رجله بين يدي جليس قط. و لا عرض له قط أمر ان إلا أخذ بأشدهما. و ما انتصر لنفسه من مظلمه حتى تنتهك محارم الله فيكون غضبه لله تعالى. و ما أكل متكئا قط حتى فارق الدنيا. و ما سئل عن شىء قط فقال: لا. [صفحه ٩٥] و لا رد سائلا- حاجه إلا بها أو بميسور من القول. و كان يعرف بالريح الطيب إذا أقبل. و كان إذا أكل مع القوم أول من يبدأ، و آخر من يرفع يده. و كان إذا أكل مما يليه، فإذا كان الرطب و التمر جالت يده. و إذا شرب شرب ثلاثه أنفاس، و كان يمص الماء مصا، و لا- يعبه عبا. و كان يمينه لطعامه و شرابه و أخذه و إعطائه، و كان شماله لما سوى ذلك. و إذا تكلم رثى كالنور يخرج من بينى ثناياه. و كان لا يكلم أحدا بشىء يكرهه. و كان نظره اللحظ بعينه...» [١٠٤]. أنس بن مالك: كان محمد صلى الله عليه و آله يبدأ من لقيه بالسلام. و يبدأ أصحابه بالمصافحه. لم ير

قط ماداً رجليه بين اصحابه. يكرم من يدخل عليه. وربما بسط له ثوبه، و يؤثره بالوساده التي تحته، و يعزم بالجلوس عليه إن أبى. و كان يدعو أصحابه بأحب أسمائهم تكرمه لهم. و لا يقطع على أحد حديثه. و كان يقيم لحظاته بنى أصحابه. و لا يجلس إليه أحد و هو يصلى إلا خفف صلاته و سأله عن حاجته، و إذا فزع عاد إلى صلاته. و كان أكثر الناس تبسماً. [١٠٥]. و دخل رجل المسجد و هو جالس وحده، فزحزح له، فقال الرجل: فى المكان سعه يا رسول الله، فقال صلى الله عليه و آله: «إن حق المسلم على المسلم إذا رآه يريد الجلوس إليه أن يتزحزح له» [١٠٦]. و كان محمد صلى الله عليه و آله قد بلغ فى الشجاعه أقصاها، كما يحدثنا الامام على بن أبى طالب عليه السلام: كنا إذا حمى البأس و احمرت الحديق اتقينا برسول الله، فما يكون أحد [صفحة ٩٦] أقرب إلى العدو منه. و لقد رأيتنى يوم بدر و نحن نلوذ بالنبى و هو أقربنا إلى العدو، و كان من أشد الناس يومئذ [١٠٧]. [١٠٨]. أنس بن مالك: فزع أهل المدينة ليله فانطلق الناس قبل العدو، فتلقاهم رسول الله و قد سبقهم و هو يقول: لم تراعوا؟ و هو على فرس لأبى طلحه و فى عنقه السيف، فجعل يقول: لم تراعوا. وجدناه بحرا، و هو على فرس لأبى طلحه و فى عنقه السيف، فجعل يقول: لم تراعوا. وجدناه بحرا، و إنه البحر [١٠٩]. الامام الصادق عليه السلام: «أن رسول الله وعد رجلاً إلى الصخره، فقال: أنا لك هاهنا حتى تأتى، فاشتدت عليه لاشمس، فقال له أصحابه: يا رسول

الله، لو أنك تحولت إلى الظل، قال صلى الله عليه وآله: وعدته إلى هاهنا...» [١١٠]. أمير المؤمنين عليه السلام: «كان فراش رسول الله عباءه، و كانت مرفعته [١١١]. آدم حشوها ليف...» [١١٢]. [صفحة ٩٧]

زهد لامثيل له

إشارة

(و لا- تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهره الحيوه الدنيا لفتنتهم فيه و رزق ربك خير و أبقى) [١١٣]. مد عينيه إلى شىء: طمح ببصره إليه. الزهره: النور الذى يروق عند الرؤيه. الفتنه: الاختبار. تشير الآيه الكريمة إلى أمرين: سلبى، و إيجابى. أولهما: سراب لا يصلح لأن يطمح إليه البصر، و هو زهره الحياه الدنيا. و الثانى: واقعى يستحق لأن يطمح إليه البصر، و هو الرزق الربوبى، إنه خير و أبقى. و الطموح إلى زهره الحياه الدنيا هو بمعنى النظر إليها كهدف، و السعى نحوها كغايه، و هى لا تليق بذلك، إذ لا بقاء لها، بل تصلح أن ننظر إليها كوسيله. و الذى يليق أن ينظر إليه كهدف هو رزق الله حسب تعبير القرآن، و هو الذى يجب أن يكون غايه للمؤمن، و ذلك هو الزهد. و قد صعب فهم الزهد على كثيرين، مع أنه [صفحة ٩٨] لا صعوبه فيه، فإن الزاهد ينظر إلى متع الدنيا كوسيله، و الطامح ينظر إليها كهدف. قال محمد صلى الله عليه وآله: «مالى و الدنيا؟ و ما أنا و الدنيا؟ إنما مثلى و مثلها كمثل راكب رفعت له شجره فى يوم صائف [١١٤]، فقال [١١٥] تحتها ثم راح و تركها» [١١٦]. إنه صلى الله عليه وآله يقيل تحت الشجره و لا يتركها ليقى تحت أشعه الشمس، و لكن القيلولة تحت الشجره ليست له بغايه، بل هى لتجديد القوى و القدره على الاستمرار

فى السىر. و بذلك يعرف مدى الفرق بين المادىة و الروحىة فى تعاليم محمد صلى الله عليه و آله، فإن قوما زعموا: أن الأعمال تنقسم إليها، و أنه لا صلة لأحد القسمين بالآخر، و أن للمادىة من الأعمال موضعا، و للروحىة منها موضعا آخر. و اعتبروا مثل الأكل و الشرب و النكاح و التجاره و الحكم و أمثال ذلك أعمالا مادىة، و يقابلها أعمال روحىة: كالعباده و الايثار و التضحيه و مكافحه الرغبات الطبيعىة و أمثالها مما هى تلبىة لميول سامىة و لغايات قدسىة. و الحقيقه أن هذا التقسيم خطأ، و أنه لا ينطبق على تعاليم محمد صلى الله عليه و آله. إنه يرى العمل الواحد ماديا كما يرى نفس ذلك العمل روحيا. و إن الميزان الصحىح عنده لمعرفة المادىة و الروحىة من الأعمال هو باعث العمل و غايته. فكل عمل أتى به الانسان لوجه الله فهو عمل روحى و إن كان من القسم الأول. فما أكثر الأعمال الاجتماعىة أو الادارىة أو التجارىة التى تصدر من الانسان لغايات سامىة، فهى أعمال روحىة و عبادات قدسىة. و ما أكثر الأعمال العبادىة: كالصوم و الصلاه و الاحسان و التضحيه و الايثار التى تصدر من الانسان لغايه غير الله، فهى أعمال مادىة و إن زعم من زعم أنها أعمال روحىة. [صفحہ ۹۹] اذا كانت الغايه من عمل الانسان نفسه فهو عمل مادى و إذا كانت الغايه له هو الله دون سواه فهو عمل روحى. و قد أخطأ من زعم أن التمتع بالمتع و لذائذ الدنيا لا يكون إلا ماديا، بل المتع إن كانت غايتها هى النفس فهى مادىة، و إن كانت هى لغايه أسمى فهى روحىة. فقد يكون ترك المتع للوصول إلى

متعته اخرى، و هي الجاه و المنزله عند الناس، فيكون ترك الدنيا للدنيا، و في هذه الحاله تكون المتعته هي الهدف، و ليس بزهد، و إنما هي الرياء و طلب الدنيا. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من أبصر إلى الدنيا أعمته، و من أبصر بها بصرتة» [١١٧]. إن الناظر إلى الدنيا كهدف عاجز عن رؤيه ما وراء الدنيا و عن رؤيه حقيقه هذه الحياه، فإن الدنيا بمنزله مرآه بين يدي الانسان، فإن الناظر بالمرآه يشاهد صورته، و لكن الناظر إليها لا يشاهد صورته إلى الدنيا. و الناظر إلى الدنيا كمرآه يشاهد المعالي و المثل و العلوم و الأخلاق، فإن المرآه إنما تساعد البصر على الابصار و البصر. إن الدنيا حالها حال المنظر، من نظر إليها بصرتة، إذ تنكشف له الأشياء و يراها كما هي، و من نظر إليها أعمته، إذ يحرم من رؤيه الأشياء و لا ينكشف له أى شىء. و قال عليه السلام فى تفسير الزهد: «ليس الزهد أن لا تملك شيئاً، بل الزهد أن لا يملكك شىء» [١١٨]. إذا ملكت شيئاً كان لك، و إذا ملكك شىء كنت له و تصبح عبده. إذا كنت مالكا لشىء فإنك تستطيع أن تفارقه، و إذا كنت مملوكا لشىء فأنت لا تستطيع أن تفارقه. [صفحه ١٠٠] إن النظر إلى متع الدنيا كهدف هو أن تلقى بزمام نفسك إليها لتصير الدنيا مالكة لك، و تخرج نفسك عن الحريه إلى العبوديه... و ذلك إذا جعلت غايتك زهره هذه الحياه و نظرت إليها كهدف. إن الراغب بالدنيا فاقد لنفسه فى السراء و الضراء؛ لانه واثق بما فى يده، و ليس واثقا بنفسه، و كيف يكون حاله إذا فقد ما فى يده؟! فهو فى السراء غير ذاته فى الضراء، فالفاقد

غير الواجد. و الزاهد بالدنيا يكون أغنى منه؛ لأنه واثق بنفسه، و لا يفقد إنسان نفسه، فهو واجد لنفسه عند السراء و الضراء و الشده و الرخاء. إنه أكبر من الدنيا و أعظم. و إن متع الحياه أحقر من أن تكون غايه مرموقه لهذه النفس العظيمه، فهو نفسه فى الایجاد و فى الفقدان. كان محمد صلى الله عليه و آله محمدا حين قام بأداء رسالته و حيدا فريدا. و كان محمد صلى الله عليه و آله محمدا عندما نجح فى دعوته و رأى الناس يدخلون فى دينه أفواجا، فهو عند هجرته من مكه خائفا يترقب، و هو هو عند عودته إلى مكه.

عام الفتح

هو محمد صلى الله عليه و آله عند دعوته مثل عمار و أبى ذر. و هو محمد صلى الله عليه و آله عند دعوته مثل كسرى و قيصر، و لم يفارق محمد صلى الله عليه و آله نفسه أبدا، و كان حاكم زمانه و دنياه، و لم يكن محكوما لزمانه و لدنياه. دخل يوم فتح مكه دار بنت عمه أم هانى و هو جائع - و فتح مكه فتح الفتوح و مفتاح جزيره العرب - فقال لام هانى: هل عندك من طعام نأكله؟ فقالت: ليس عندى إلا كسره يابسه، و إنى لاستحيى أن أقدمها إليك، و ليس عندى من الادم إلا شىء من خل، فقال لها: هلمى بها. و لما جاءت بها كسرها فى ماء و ملح و صب عليها الخل و أكل، ثم حمد الله و قال: نعم الادم الخل يا أم هانى، لا- يفقر بيت فيه خل. [صفحه ١٠١] و كان مع أصحابه فى حفر الخندق إذ جاءت ابنته فاطمه عليهما السلام و معها كسيره من خبز

فدفعتها إليه، فقال: ما هذه الكسيره؟ قالت: خبزته قرصا للحسن والحسين و جئت منه بهذه الكسيره. فقال صلى الله عليه وآله: يا فاطمه، أما إنه أول طعام دخل جوف أبيك منذ ثلاث [١١٩]. و مرت عليه امرأه بدويه [١٢٠] و هو يأكل و جالس على الحضيض، فقالت: يا محمد، و الله إنك لتأكل أكل العبد و تجلس جلوسه! فقال لها: و يحكك أى عبد أعبد منى؟! قالت: فناولنى لقمه من طعامك، فناولها، فقالت: لا والله إلا التى فى فمك، فأخرج رسول الله اللقمه من فمه فناولها، فأكلته، فما أصابها داء حتى فارقت الدنيا روحها [١٢١]. بينا أمير المؤمنين عليه السلام فى الرحبه فى نفر من أصحابه إذ اهدى إليه طست خوان فالزوج فقال لأصحابه: مدوا أيديكم، فمدوا أيديهم، و مديده ثم قبضها، فقالوا: يا أمير المؤمنين، أمرتنا أن نمد أيدينا فمددناها و مددت يدك ثم قبضتها؟! فقال: إني ذكرت رسول الله لم يأكله، فكرهت أكله [١٢٢]. و سئل الامام الصادق عليه السلام: هل صح حديث يروى عن أبيك أنه قال: ما شبع رسول الله صلى الله عليه وآله من خبز برقط؟ فقال: «ما أكل رسول الله صلى الله عليه وآله خبز برقط، و لا شبع من خبز شعير قط» [١٢٣]. الامام الباقر عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «خمس لست بتاركهن حتى الممات: لباس الصوف، و ركوبى الحمار موكفا، و أكلى مع العبيد، و خصفى النعل بيدي، و [صفحه ١٠٢] تسليمى على الصبيان؛ ليكون سنه من بعدى» [١٢٤]. ابن عباس (رض): كان رسول الله صلى الله عليه وآله يجلس على الأرض، و يأكل على الأرض، و يعتقل الشاه، و يجيب دعوه المملوك على

خبز الشعير [١٢٥]. الامام الصادق عليه السلام: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله قد بلى ثوبه، فحمل إليه اثني عشر درهما، فقال: يا علي خذ هذه الدراهم فاشتر لي ثوبا ألبسه، فذهب علي إلى السوق واشترى له قميصا باثني عشر درهما، وجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فنظر إليه فقال: يا علي، غير هذا أحب إلى أترى يقلنا؟ فقال: لا أدري، فقال: أنظر، فجاء علي به إلى صاحبه، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قد كره هذا يريد ثوبا دونه فأقلنا فيه، فأقاله ورد عليه الدراهم، وجاء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله. فمشيا معا إلى السوق لبيتاعا قميصا، فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى جاريه قاعده على الطريق تبكي، فقال لها: ما شأنك؟ فقالت: يا رسول الله، إن أهل بيتي أعطوني أربعة دراهم لأشترى لهم بها حاجه فضاعت فلا أجسر أن أرجع إليهم، فأعطاها رسول الله أربعة دراهم، وقال: ارجعي إلى أهلِكَ. ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله إلى السوق فاشترى قميصا بأربعة دراهم ولبسها وحمد الله، وخرج فرأى رجلا عريانا يقول: من كساني الله من ثياب الجنة، فخلع رسول الله قميصه الذي اشتراه و كساه السائل، ثم اشترى بالاربعة الباقية قميصا آخر، فلبسه وحمد الله، ورجع إلى منزله وإذا الجاريه قاعده على الطريق، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: مالك لا تأتين أهلِكَ؟ قالت: يا رسول الله، أنى أبطأت عليهم فأخاف أن يضربوني! فقال لها رسول الله: مري بين يدي و دليني على أهلِكَ،

فجاء رسول الله صلى الله عليه و اله حتى وقف على باب دارهم، و قال: السلام عليكم يا أهل الدار، فلم يجيبوه! فأعاد السلام فلم يجيبوه! فعاد السلام، فقالوا: السلام عليك يا رسول الله و رحمه الله [صفحة ١٠٣] و بركاته، فقال لهم: مالكم تركتم إجابتى فى أول السلام و الثانى؟! قالوا: يا رسول الله، سمعنا سلامك فأحبينا أن نستكثر منه، فقال رسول الله: إن هذه الجارية أبطأت عليكم فلا تؤاخذوها، فقالوا: هى حره لممشاك، فقال رسول الله: الحمد لله، ما رأيت اثنى عشر درهما أعظم بركه من هذه! كسا الله بها عريانين، و أعتق بها نسمة [١٢٦]. أقول: ذلك كان من بركته صلى الله عليه و آله، و القصة تكشف عن وحده ثوبه صلى الله عليه و آله، و عن خلقه العظيم، و مكارم كبرى له، كما يكشف عن جهل أهل الدار. الامام الصادق عليه السلام: «أن رسول الله صلى الله عليه و آله إذا رئى فى الليله الظلماء رئى له نور كأنه شقه قمر» [١٢٧]. و نزل عليه جبرائيل فقال: إن الله جل جلاله يقرئك السلام و يقول لك: هذه بطحاء مكه يكون لك رضاضه ذهباً؟ فنظر النبى صلى الله عليه و آله إلى السماء ثلاثا، قال: «لا يا رب، و لكن أشبع يوماً فأحمدك، و أجوع يوماً فأسألك» [١٢٨]. و قال ربه فى كتابه الكريم: (يا أيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياه الدنيا و زينتها فتعالين امتعن و اسرحكن سراحا جميلا - و إن كنتن تردن الله و رسوله و الدار الاخره فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما) [١٢٩]. يحدث المفسرون: أن أزواج النبى صلى الله عليه و آله سأله شيئا

من عرض الدنيا، و طلبن منه زياده فى النفقه، و آذينه لغيره بعضهن على بعض، فألى رسول الله صلى الله عليه و آله منهن شهرا، فنزلت آيه التخيير، و كن يومئذ تسعا: أم سلمه، و أم حبيبه، و سوده، و عائشه، و [صفحه ١٠٤] حفصه من قريش و صفيه بنت حبي الخيبريه، و ميمونه بنت حارث الهلاليه، و زينب بن جحش الأسديه، و جويريه بنت الحارث المصطلقيه [١٣٠]. و روى الواحدى: بالاسناد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه و آله جالسا مع حفصه، فتشاجرا، فقال لها: هل لك أن أجعل بينى و بينك رجلا؟ قالت: نعم، فأرسل إلى عمر، فلما أن دخل عليها قال لها: تكلمى، فقالت: يا رسول الله: تكلم و لا- تقل إلا- حقا! فرفع عمر يده فوجأ وجهها، ثم رفع يده فوجأ وجهها، فقال له النبي صلى الله عليه و سلم: كف، فقال عمر: يا عدوه الله، النبي لا يقول إلا حقا، و الذى بعثه بالحق لولا مجلسه ما رفعت يدي حتى تموتى. فقام النبي صلى الله عليه و آله فصعد إلى غرفه فمكث فيها شهرا لا- يقرب من نسائه، يتغدى و يتعشى فيها، فأنزل الله تعالى الآيه... [١٣١]. ما أجمل فعل عمر! و ما أصوب قوله! فإن من أهان رسول الله يستحق القتل، و لكن العفو من شيم الكرام، و ست أدري أن حصن بن حذاقه - و ذاك الذى هو زوج حفصه السابق و هو هو - هل كان أفضل من محمد صلى الله عليه و آله؟! ثم إن جميع نساء النبي صلى الله عليه و آله بعد نزول الآيات اخترته، و أول

من قامت بهذا الاختيار أم سلمة المخزومية ثم تبعنها الاخريات [١٣٢]. و لننظر إلى عيش محمد صلى الله عليه و آله الداخلى، فإن الآيه الكريمة تشير إلى أنه لم يكن عيشا رغدا هنيئا. الامام الصادق عليه السلام: أن رجلا من الأنصار أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه و آله صاعا من رطب، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله للخادم [١٣٣] التى جاءت به: ادخلى فانظرى هل تجدين فى البيت قصعه أو طبقا فتأتينى به؟ فدخلت، ثم خرجت فقالت: ما أصبت قصعه [صفحه ١٠٥] و لا طبقا، فكنس ثوبه مكانا من الأرض، ثم قال: ضعيه هاهنا على الحضيض، ثم قال: و الذى نفسى بيده لو كانت لدنيا تعدل عند الله جناح بعوضه ما أعطى كافرا و لا منافقا منها شيئا [١٣٤]. الامام الباقر عليه السلام: إن المساكين كانوا يبيتون فى المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله، فأفطر النبى معهم ذات ليله عند المنبر فى برمه [١٣٥] فأكل منها ثلاثون رجلا، ثم ردت إلى أزواجه شبعتهن [١٣٦]. عائشه: كانت تأتى علينا أربعون ليله و ما توقد فى بيت رسول الله نار و لا مصباح، قيل لها: فيم كنتم تعيشون؟ قالت: بالأسودين؛ التمر و الماء [١٣٧]. عائشه: ما زالت الدنيا علينا عسره كدره حتى قبض النبى محمد صلى الله عليه و آله، فلما قبض صبت علينا صبا! [١٣٨]. فكان عيش محمد صلى الله عليه و آله عيش الآخره، كما روى عنه: «اللهم إن العيش عيش الآخره». فكان عيش نساءه فى حياته هو عيش الآخره كما تفيد الآيه كريمة، و كان عيشهن بعد وفاته عيش الدنيا، إذ صبت عليهن صبا. ابن عباس: توفى رسول الله صلى

الله عليه وآله و درعه مرهونه عند رجل من اليهود على ثلاثين صاعا من شعير أخذها رزقا لعياله [١٣٩]. و مما يلفت النظر في الآيه الكريمة: [صفحه ١٠٦] ١- العدول في قوله: (قل لأزواجك) عن قوله: «قل لأهلك»، فلا بد له من سبب، فلم يعبر القرآن عن زوجات النبي بأهله، بل عبر عنهم: إما بالأزواج، و بنساء النبي. ٢- العدول في قوله: (أعد للمحسنات منكن) عن قوله: «لكن»، لا بد له من سبب لكون الخطاب في صدر الآيه لجميعهن. ٣- المقابله الواقعه بين إرادته الحياه الدنيا و بين إرادته الله و رسوله و الدار الآخره تفيد أن طلب الدنيا كهدف لا يجتمع مع طلب الآخره و إرادته الله و رسوله. و قد تبلور من تفسير الزهد بأن الزهد ليس هو الابتعاد عن اللذائذ و الطيبات من الرزق كما يتوهمه بض الناس، فإن ذلك أشبه شىء بالرياء، و الحال أن الطيبات للطيبين، بل الزهد هو أن لا تكون الطيبات و المال و الثروه و الجاه و المنزل هدفا، فالزاهد زاهد و هو ثرى و غنى، و الزاهد زاهد و هو متمتع بمتع الدنيا، و الزاهد زاهد و هو يأكل المآكل الشهيه، و يلبس الملابس الفاخره، و يتقمص بالجاه و المنزله، فلم يكن محمد صلى الله عليه و آله يبتعد عن هذه الامور و ينفر منها، و إنما يقبح جعل هذه الامور هدفا و غايه للانسان، و هو أكبر من هذه الامور و ينفر منها، و إنما يقبح جعل هذه الامور هدفا و غايه للانسان، و هو أكبر من هذه الامور بكثير، فلا يجوز أن يكون الحقير غايه للعظيم الكبير، فقد كان تهدى إليه الهدايا و يقبلها. و من الطبيعي

أن الهدية كثيرا ما تكون ثمينة، سيما الهدايا التي تهدي إلى العظماء و الأنبياء. أنس بن مالك اهدى لرسول الله صلى الله عليه و آله طير مشوى، فقال: اللهم آتني بأحب خلقك إليك يأكل معي، فجاء على فصدق الباب، فقلت: من ذا؟ فقال: أنا على فقلت: إن النبي صلى الله عليه و آله على حاجه، حتى فعل ذلك ثلاثا، فضرب الباب برجله فدخل، فقال النبي صلى الله عليه و آله: ما حبسك؟ قال: قد جئت ثلاث مرات، فقال النبي صلى الله عليه و آله: يا أنس، ما حملك على ذلك؟ قلت: كنت احب أن يكون رجلا من قومي [١٤٠]. [صفحة ١٠٧] فلم يأب رسول الله صلى الله عليه و آله عن أكل الطير المشوى، و أنه دعا أن يأكل معه أحب الخلق إلى الله، فإنه الذى يصلح أن يأكل الطيب من الرزق. كما أن عليا لم يأب عن أكل الطير و هو أزهد الزاهدين بعد النبي صلى الله عليه و آله. و إن هذا الخلق من النبي صلى الله عليه و آله كان يعرفه كل واحد، و إلا لم يكن يهدى إليه مثله. لننظر إلى فعل أنس و إلى عذره الذى ذكر لما فعل. أما ما فعله أنس فلم يكن محببا لله و لرسوله بلا شك، و إلا لما استنطقه النبي صلى الله عليه و آله، و لما سأله عن سبب ما فعل، فكأنه لم يكن مع على على حال. و أما عذره فهو مشتمل على عقدين: سلبى و إيجابى. أما السلبى فهو أن لا يكون على أحب الخلق إلى الله. و أما الايجابى فهو أن يكون أحب الخلق رجل من قومه. فهل كان يتوقع أن

يكون أمر تعيين أحب الخلق إلى الله بيده لا بيد الله؟! [صفحة ١٠٩]

عباده رائعه

(طه - ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) [١٤١]. يحدثنا أرباب التفسير و السير: أن محمدا صلى الله عليه و آله قام عشر سنين يعبد ربه على قدميه حتى تورمتا و اصفر وجهه. و كان يقوم الليل أجمع، حتى نزل قوله تعالى: (طه - ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) [١٤٢]. و كان يصلى الليل كله، و يعلق صدره بحبل حتى لا يغلبه النوم، فأمره ربه سبحانه أن يخفف على نفسه، و ذكر: أنه ما أنزل عليه الوحي ليتعب كل هذا التعب، فهو عبد الله و رسوله. تشترك العباده مع العبوديه فى المبني و المعنى، فإن كليهما مشتقان من العبد. و تفترق عنها فى ثلاثه أشياء. الأول: من جانب المولى: أن العباده هى العبوديه لله دون سواه، و الواجب فيها أن يكون العمل محبوبا لديه تعالى، و يعرف ذلك بإرشاد منه تعالى بواسطة رسله و [صفحة ١١٠] أنبيائه؛ و لذلك قال الفقهاء: إن العبادات توفيقه. ليس لأحد أن يخترع من نفس عباده يعبد بها الله، أو يزيد شرطا فيها أو جزءا، أو يسقط عنها شرطا أو جزءا، و إلا- فإنها ليست بعباده. الثانى: من جانب الغايه: أن الغايه من العباده و ثوابها راجعه إلى العباده، لا إلى المعبود، فإنه غنى عنها، فإذا أجمعت البشريه كافه على عباده الله فلا يزيده، ذلك شيئا، و إذا يعبد أحد على وجه الأرض فلا ينقصه ذلك شيئا. إن ثمرات عبادات الخلائق كلها ترجع إلى أنفسهم إذا كانت خالصه لوجه الله وحده، لأن الشرك فى العباده مفسد للعباده ذاتها. الثالث: اعتبار الاختيار: إن الشرط فى حصول العباده و صحتها أن يكون صدورها من

العبد باختياره و رضاه، و التي لا تصدر برضى العبد ليست بعباده، فلا إكراه في الدين. و أن هناك فرقا بين عمل الانسان و بين عمل الاله، و العباده مطلوبه من عبدالله كإنسان لا- كإله. ليست للعباده صورته خاصه، فهي لا تختص بالصلاه و الزكاه، بل كل عمل خير يصدر من الانسان تقربا للمولى هو عباده. و إن المولى يتيح للانسان أن يعبدته في جميع أفعاله و أحواله، في قيامه و قعوده، و في مشيه و وقوفه، و في كلامه و سكوته، و في راحته و تعبته. شرف الله محمدا صلى الله عليه و آله بوسام العبد، فقال تعالى: (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى...) [١٤٣]، كما وصف خليفته في مواضع شتى من كتابه بالعباد. و لكن محمدا صلى الله عليه و آله قام بعبوديته الحقيقيه دون الخلق. و إن العبوديه هي ميزه الأنبياء و الأولياء على البشر، الذين قل أن يوجد فيهم من يقوم بهذا الواجب. قال الله تعالى: (و قليل من عبادى الشكور) [١٤٤] إن العباده حمد لله، و الحمد أفضل [صفحه ١١١] أنواع الشكر. أمير المؤمنين: كان رسول الله صلى الله عليه و آله: إذا قام إلى الصلاه سمع لصدره و جوفه أزيز كأزيز المرجل على الأثافي [١٤٥] من شدة البكاء. و قد آمنه الله - عزوجل - من عقابه، فأراد أن يتخشع لربه ببكائه. و لقد كان يبكى حتى يغشى عليه، فقيل له: يا رسول الله أليس - عزوجل - غفر لك ما تقدم من ذنبك و ما تأخر؟! قال: «بلى، أفلا أكون عبدا شكورا؟!» [١٤٦]. أبوذر الغفارى: قام رسول الله صلى الله عليه و آله ليلته يردد قوله

تعالى: (إن تعذبهم فإنهم عبادك و إن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) [١٤٧] [١٤٨]. ابن مسعود: قال لى رسول الله صلى الله عليه و آله: اقرأ على، ففتحت سورة النساء، فلما بلغت: (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد...) [١٤٩] رأيت عينيه تذرفان من الدمع، فقال: «حسبك الآن...» [١٥٠]. أم سلمة: كانت الليله ليلتى، فاستيقظت من نومى فلم أجد النبى صلى الله عليه و آله فى فراشى، فدخلنى ما يدخل ببال المرأه التى تكون لها ضره، فقامت أطلبه فى جوانب البيت، حتى انتهيت إليه و هن فى جانب من البيت قائم رافع يديه يبكى، و هو يقول: «يا إلهى، لا- تأخذ منى ما أعطيتنى من النعم، و لا- تجعلنى محلا- لشماته الأعداء و الحساد، و لا تبتلنى بالنقم التى أنقذتني منها، و لا تكلنى إلى نفسى طرفه عين...» و لما سمعت بهذه الدعوات أخذتني الرعه كالأنكل [١٥١]. [صفحه ١١٢] و ذهب الى زاويه و بدأت بالبكاء و النحيب، حتى ارتفع صوتى و قرع سمع زوجى الكريم، فأتانى و سألتنى: لماذا تبكين؟ فأجبتة: كيف لا أبكى و أنت بالمنزله التى لك عند الله، غفر الله ما تقدم من ذنبك و ما تأخر، و تسأله أن لا يشمت بك عدوا و أن لا يردك بسوء استنقذك منه أبدا، و أن لا ينزع منك صالحا أعطاك أبدا، و لا يكلك إلى نفسك طرفه عين، فويل لمثلئى؟! فقال صلى الله عليه و آله: و ما يؤمننى؟ و إنما و كل الله يونس بن متى إلى نفسه طرفه عين و كان منه ما كان [١٥٢]. و دخل عليه عمر بن الخطاب و هو موقور شديد المرض، فقال عمر:

يا رسول الله، ما أشد و عكك أو حماك! فقال صلى الله عليه و آله: ما معنى ذلك أن قرأت الليله ثلاثين سوره فيهن السبع الطوال. فقال عمر: يا رسول الله، غفر الله لك ما تقدم من ذنبك و ما تأخر و أنت تجتهد هذا الاجتهاد! فقال: يا عمر، أفلا أكون عبدا شكورا؟! [١٥٣]. كان هؤلاء الذين يعجبون بعبادات النبي صلى الله عليه و آله يزعمون أن العباده إنما تفيد لغفران الذنوب، فلذلك كانوا يقولون له: و قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك و ما تأخر، و هم غافلون أن العبادات تقرب العبد إلى المولى و تزيد في كماله، فكل قرب حصل للعبد يكون فوقه قرب، إذ لا- نهايه في علو مقام البارى، و إن النفس الانسانيه قابله للترقى وللتكامل قبولا- غير متناه، إذن لا- نهايه للعباده، قال تعالى مخاطبا نبيه: (و من الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) [١٥٤]. و لما كانت درجات الكمال غير متناهيه، و الانسان قابل لصعودها، و محمد صلى الله عليه و آله هو الانسان الكامل فهو غير متوقف عند درجه، بل هو صاعد دائما، فإنه دائما في نوع [صفحه ١١٣] من عباده الله، ففي كل ساعه يصعد درجه و يتلبس بكمال فوق الكمال الحاصل، فإن الصعود لبس فوق لبس، و ليس بخلع و لبس. و قد تبين بذلك: أن المقام المحمود ذو درجات غير متناهيه، فكل درجه تحصل للسالك الصاعد هي مقام محمود. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن قوما عبدوا الله خوفا من ناره فتلك عباده العبيد، و إن قوما عبدوا الله طمعا فتلك عباده التجار. و إن قوما عبدوا الله لانهم وجدوه أهلا

للعباده فتلك عباده الأحرار» [١٥٥]. و عباده الأنبياء و الأولياء من القسم الثالث من أقسام العباده... لان هذا القسم لا يحصل إلا لمن عرف الله بمقدار استطاعته، و هذه المعرفه تختص بهؤلاء دون غيرهم. فالأنبياء و الأولياء هم أحرار البشريه دون غيرهم. و تبلور بذلك أن للحريه درجات كما للمعرفه درجات. [صفحه ١١٥]

عصمه حصينه

اشاره

(و لئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين) [١٥٦]. (و لئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولي و لاواق) [١٥٧]. (و لو لا فضل الله عليك و رحمته لهمت طائفه منهم أن يضلوك و ما يضلون إلا أنفسهم و ما يضرونك من شىء و أنزل الله عليك الكتاب و الحكمه و علمك ما لم تكن تعلم و كان فضل الله عليك عظيما) [١٥٨]. (لقد كان لكم فى رسول الله أسوه حسنه لمن كان يرجو الله و اليوم الآخر و ذكر الله كثيرا) [١٥٩].

العصمه

إن العصمه: هى صيانه النفس عن الخطأ و الاثم حال القدره على ارتكاب الاثم، و [صفحه ١١٦] إنها من مقوله العلم، إذ ليست هى إلا- انكشاف حقائق الامور. فلننظر إلى الآيات: تحدثنا الكريمه الاولى و هى تخاطب محمدا صلى الله عليه و آله: أنه لم يتبع أهواءهم بسبب العلم الذى جاءه، و ذلك العلم هو الذى عصمه عن متابعتهم، فهو معصوم عن الذنب و الزلل، و عن الخطأ و الاثم. و كذلك تحدثنا الآيه الثانيه. كما أن الآيه الثالثه تحدثنا: بأن فضل الله و رحمته على محمد صلى الله عليه و آله قد عصمه، و أنه تعالى أنزل عليه الكتاب و الحكمه و علمه ما لم يكن يعلم، و ذلك من فضل الله العظيم عليه، فقد وقاه الله من الذنوب و الخطيئات بالعلم الذى علمه إياه، و لم يكن يعلم، و هذا العلم يحرسه و يصعمه عن التفكير فى الاثم، فضلا عن الدنو منه. إن محمدا صلى الله عليه و آله معصوم بشهاده القرآن، لا زله له أبدا، كما صدق القرآن به

بقوله: (و ما يضرونك من شىء)، فهو إذن فى حصن حصين و جنه واقيه. و قد جعل الله محمدا صلى الله عليه و آله فى الكريمة الرابعه اسوه لكافه البشرىه المؤمنه، و ذلك أيضا بمثابه إخبار عن عصمته من الذنب و من الخطأ و الزلل، و من مساوى الأخلاق، و عن عصمته فى أفكاره و أقواله و أفعاله، و إلا لزم أن يجعل الله الخطأ أو الذنب أو الزلل أو سوء الأخلاق اسوه! تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. و تشهد أيضا لعصمه محمد صلى الله عليه و آله آيه التطهير [١٦٠]، تلك التى حكم فيها بذهاب الرجس عن أهل البيت عليهما السلام و منهم محمد صلى الله عليه و آله، فهم مطهرون عن كل رجس بتطهير الله لهم. إنهم معصومون لا يفكرون فى ذنب، و الذنب فعل نفسى، و رجس روحى، ليس فيه لله رضى و قد طهرهم الله عنه. و قد تبلور بذلك أن صفه العصمه تفترق عن صفه العدالة، بأن صفه العصمه من مقوله العلم الذى يجب أن يؤخذ من المعلم، و أن العدالة صفه نفسيه تمنع صاحبها عن [صفحه ١١٧] الدنو إلى الاثم، لا- عن التفكير فيه. و يتاح الوصول إلى العدالة بالمجاهده و إتعب النفس، ولكن العصمه عطيه إلهيه، و منحه ربويه، و هى العلم بقيم الطاعات، و بمفاسد المعاصى، و بمصالح الأحكام الفرديه و الاجتماعيه، و بمنافع الأفعال و مضارها للفرد و للمجتمع. و إن العدالة ملكه قدسيه لصون صاحبها عن صدور فعل يوجب سخط الله تعالى. و كان محمد صلى الله عليه و آله فى أعلى درجات العدالة و أشرفها، و هو مع ذلك معصوم، عصمه الله من الزلل و آمنه من الخطأ. و

مما يجدر بالذكر: أن ملكه العصمه لا تجعل المعصوم عاجزا عن ارتكاب الاثم، فإنها العلم دون سواه، والعالم يستطيع الجرى على خلاف علمه، لأن دور العلم هو الارشاد، وأن المسترشد مخير في الارشاد بعلمه، وليس بمجبر على العمل برشاده. إن محمدا صلى الله عليه وآله كبشر قادر على الدنو من الآثام، ولكنه كمعصوم لا يفكر في ذلك؛ من أجل علمه بحقائق الذنوب. كما أن العاقل لا يفكر في تقييل فم الحيه، أو إلقاء نفسه من شاهق، أو إحراق جسمه بالنار، وإن لم يكن عاجزا عن إحدى هاتيك الامور. نعم، إذا حصلت للعلم مكانه في قلب العالم و صدق بعلمه و أذعن إليه فإنه لا يجرى على خلافه. إن المعصوم مصون عن الخطأ و الزلل، إذ الخطأ ميزه العلوم البشريه و يختص بها. و أما العلوم الالهيه فلا يتطرق إليها الخطأ، إذ العلم الالهى: هو العلم بواقعات الاشياء و حقائقها، إذ الواقعات و الحقائق منكشفه لدى بارئها، فإن الصانع خبير غايه خبره بكيفيه صنع مصنوعه، و لعل قوله تعالى: (و كان فضل الله عليك عظيما) يشير إلى جميع ذلك. و بذلك تبين افتراق ثاب بين العصمه و العداله، فإن العادل يخطأ، إنه إنسان، و الإنسان معرض للخطأ و النسيان، و لكن المعصوم لا يخطأ، إنه المتعلم بتعليم إلهى، و مثله لا يخطأ، و قوله تعالى: (و كان فضل الله عليك عظيما) يفيد اختصاص هذا العلم بالمعصوم، و إنه شخص معين، و إن غيره لا تجعل له هذه الفضيله، بخلاف [صفحه ١١٨] العداله فإن كل مؤمن له قابليه حصول هذه الفضيله، و بذلك تبين اشتراط صفه العصمه فى ولى الأمر الذى نصبه الله و ليا للبشريه و أمر

بإطاعته فى قوله تعالى: (أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الأمر منكم) [١٦١] و إلا لزم أن تكون إطاعه المخطى واجبه من قبله تعالى!! أضف إلى ذلك: أن ولى الأمر لو لم يكن معصوما للزم من هذه الآية وجوب إطاعه الضدين، فإن الله و الرسول يأمران بالصواب، و ولى الأمر غير المعصوم قد يأمر بالخطأ، و ذلك خلاف ما به أمر الله و رسوله. و نحب أن نجيب هنا عن سؤال قد خلد ببال كثيرين، و هو: أن محمدا صلى الله عليه و آله لو كان معصوما لكان بريئا من الذنب، فما معنى قوله تعالى: (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك و ما تأخر). فالجواب: أن ذلك من قبيل البطاقة البيضاء التى يعطيها الرجل إلى أوثق الناس لديه، و أعزهم عليه، و أحبهم إليه، ثقة به، و قد أعطى الله ذلك لأوثق الخلق لديه، و أعزهم عليه، و أحبهم إليه ثقة من الله برسوله الكريم. و أيضا: يكون ذلك من قبيل إعطاء زمام الحكم إلى أحد الناس من جانب السلطه التشريعيه إذا اقتضت الظروف ذلك؛ ليكون ميسوط اليد فى إنجاز وظيفته. أو إعطاء الصك الأبيض الذى يوقعه صاحبه إلى حبيب له ليكتب فيه أى مبلغ أراد. و إن الآية (و الله أعلم) هى بمثابة صك أبيض موقع بتوقيع الله تعالى، أعطاه الله محمدا صلى الله عليه و آله دلالة منه على عظمه مكانته عنده و ثقته تعالى به. و يشهد لذلك: مجىء فعل الغفران بصيغه المضارع، لا بصيغه الماضى الداله على وقوع الغفران. كما يشهد له أيضا قوله تعالى: (و ما تأخر) على الاطلاق من دون ذكر قيد، و قوله تعالى عقيب هذه الآية: (و يتم نعمته عليك). و

هذه المنزله هي إتمام النعمه عليه. وقد وصل محمد صلى الله عليه وآله إلى هذا المقام عند ربه و بلغ تلك المنزله بعنايه [صفحه ١١٩] من ربه و بأطاعه لربه، و القرآن مليء من أنباء ذلك.

نظره إلى الآيات

ان الآيه الاولى ذ على حد التعبير المنطقي - مشتمله على قضيه شرطيه و على قياس استثنائي، فقولته تعالى: (و لئن اتبعت) هو المقدم للقضيه، و أن التالي لها هو قوله تعالى: (إنك إذا لمن الظالمين). كما أن تالي القضيه في الكريمه الثانيه قوله تعالى: (مالك من الله من ولي و لا-واق). و هذه هي صورته القياس: إن اتبعت أهواءهم من بعدما جاءك من العلم فإنك تكون من الظالمين، و لم يكن لك من جانب الله ولايه و لا وقايه. و أما الاستثناء فقد حذف ثقته بمعرفه كل واحد، و إظهار لهذه المعرفه و ادعاء لها، و هو قولنا: «و لكنك لست من الظالمين». و يستحيل أن يكون محمد صلى الله عليه وآله منهم، و قد قال الله تعالى: (لا ينال عهدى الظالمين)... [١٦٢] و محمد صلى الله عليه وآله أشرف من نال هذا العهد و أفضل. و أما الاستثناء في الكريمه الثانيه فهو قولنا: «و لكن ولايه الله عليك و وقايته لك ثابتة و مستمره أبدية»، و تصبح النتيجة هي قولنا: «إنك لم تتبع أهواءهم بسبب ما جاءك من العلم، و لكن من الله ولايه و وقايه». و أما الآيه الثالثه فالقياس المنطقي أيضا موجود فيها، و قوله تعالى: (و ما يضلون إلا أنفسهم و ما يضرونك من شيء) قام مقام الاستثناء، و هو الحاكم بنفى التالي للقضيه، و ينتج نفي المقدم للقضيه، و نفي

المنفى إثبات. فتدل الآيه على ثبوت فضل الله و رحمته على محمد صلى الله عليه و آله كما قال تعالى: (و كان فضل الله عليك عظيما). ثم إن قوله تعالى: (و علمك ما لم تكن تعلم) يؤكد على أن الله -عز وجل - هو المعلم لمحمد صلى الله عليه و آله، فهو تلميذ ربه، و قدوه للخلق، و هل يصلح غيره لمثل هذه القدوة؟ [صفحه ١٢٠] و أما الآيه الرابعه و هى قوله عزوجل: (لقد كان لكم فى رسول الله أسوه حسنه) (الآيه) يؤكد على أن الله قد جعل محمدا صلى الله عليه و آله اسوه للمؤمنين، و رحمه بهم، و فضلا منه عليهم، فيكون محمد صلى الله عليه و آله اسوه للبشرية كافه؛ لأن المؤمن اسوه للكافر. و من الواضح أن التأسى بالرسول ينفع المتأسى بدلاله اللام فى قوله تعالى: (لكم) و نعت الاسوه بالحسنه، و هل ينتفع الرسول إذا تأسى به أحد؟ و هل يفيد القصر تقديم الجار و المجرور و هو قوله: (لكم فى رسول الله) و قد قام مقام خبر «كان»؟ و إن قوله جل جلاله: (لمن كان يرجوا الله و اليوم الآخر) تفسير للمؤمن و هو من آمن بالمبدأ و المعاد، فإنه الذى يتبع الرسول، و من لا يتبع الرسول فليس بمؤمن بالمبدأ و المعاد. [صفحه ١٢١]

اهل بيت الوحي

اشاره

(إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا) [١٦٣] قال الراغب فى المفردات: إذا قيل: أراد الله فمعناه: حكم. و قال: الرجس الشىء القذر... [١٦٤]. و تفسيره للاراده ينطبق على الاراده التشريعيه. و تفسيره للرجس ينطبق على القذاره المعنويه، بشهادة إطلاق الرجس فى القرآن الكريم على الخمر و الميسر و

الأنصاب والأزلام. وقال ابن عباس: الرجس عمل الشيطان. [١٦٥] وقد أخذه من الكريمة الأمره بالاجتناب للخمر والميسر، و يرجع التفسيران إلى أمر واحد؛ لأن الأفعال القدره الصادره من البشر كلها من عمل الشيطان.

اهل البيت

البيت عند العرب: هو ما يلتجأ إليه، ولهذا سموا الأنساب بيوتا إذن يكون للبيت [صفحه ١٢٢] أنواع، ويعرف النوع منها بما يضاف إليه البيت، ويقع كثيرا مضافا إليه كلمه «أهل»، وهو محلى بلام العهد القائم مقام المضاف إليه للبيت. فإذا كان البيت مضافا إلى اسم ذات كرجل فيكون المقصود منه أهل بيت الرجل، ولكن هذا المعنى لا يصلح لما ورد في الآيه، فإن المخاطب فيها هو النبي الكريم صلى الله عليه وآله. وإذا كان مضافا إلى اسم معنى فيكون المراد: اتصاف أهل البيت بتلك الصفه، ولعله المقصود، فيجب أن نبحت عن تلك الصفه. فنقول: إن تلك الصفه يجب أن لا يشترك فيها غير المقصودين في الآيه، فإن النبي صلى الله عليه وآله منهم، وإن الجملة واقعه موقع السبب للأمر بنساء النبي بإطاعته، وإليك قوله تعالى: (و أظعن الله و رسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا). فقد وقع في الآيه الكريمة التفات من الخطاب لنساء النبي إلى الخطاب بذات النبي صلى الله عليه وآله بذكر السبب؛ لوجوب إطاعه النساء له، وهو: أن أوامره و نواهيه كأوامر الله و نواهيه، ليس فيها خطأ و لازلل؛ لأجل ذهاب الرجس عنهم و طهارتهم عنه، و تلك هى العصمه. فالصفه المقدره فى الكلام هى الوحى، فيكون المقصود من أهل البيت الذى وقع عطفًا تفسيريًا لضمير الخطاب المذكور المجرور

بحرف «من» هو أهل بيت الوحي صلى الله عليه وآله، فإنهم المطهرون المعصومون الذين لا يفكرون في الذنب، ذاك الذى هو فعل نفس من عمل الشيطان، و لا- يكون فى رجس نفس لله رضى. وقوله تعالى: (و يطهركم تطهيرا) عطف تفسيرى لما أراه تعالى من ذهاب الرجس عنهم، و هو تأكيد لما سبق، و المفعول المطلق يفيد التأكيد و ينادى به. إن محمدا صلى الله عليه وآله من أهل البيت بتصريح من ربه، و هو سيدهم و عمادهم، و هل هناك اناس آخرون يدخلون فى أهل بيت الوحي كما يشهد بذلك ضمير خطاب الجمع مرتين؟ قد عرفنا أن محمدا صلى الله عليه وآله من أهل البيت بتصريح من الله تعالى، و أن معرفه غيره من [صفحه ١٢٣] أهل البيت إنما يكون بتصريح محمد صلى الله عليه وآله نفسه. و لنصغ إليه ليعرفنا بهم و يسرد لنا أسماءهم: قال صلى الله عليه وآله: «نزلت هذه الآية فى و فى على و حسن و حسين و فاطمه»، ثم قرأ صلى الله عليه وآله الآية [١٦٦]. و روى مسلم فى صحيحه [١٦٧] و الحاكم فى مستدرکه [١٦٨] و البيهقى فى سننه الكبرى [١٦٩] بأسانيدهم، عن عائشه قالت: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله و آله غداه و عليه مرط مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن على فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمه فأدخلها، ثم جاء على فأدخله، ثم قال: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا). خاطب الله رسوله بأهل البيت، و خاطب الرسول هؤلاء بأهل البيت. و جاء فى صحيح الترمذى [١٧٠] و مسند أحمد [١٧١] و مسند

الطيالسى [١٧٢] و مستدرك الصحيحين [١٧٣] عن أنس بن مالك قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يمر بباب فاطمه
سته أشهر، كلما خرج إلى صلاه الفجر يقول: الصلاه يا أهل البيت (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم
تطهيرا). قال الحاكم فى المستدرك: وهذا حديث صحيح على شرط مسلم، و [صفحه ١٢٤] لم يخرجاه [١٧٤]. و من الجدير
بالذكر أن الله تعالى قد حكم فى كتابه فى السیده «مریم ابنه عمران ام عيسى عليه السلام أنها تشارك أهل البيت فى منقبه
التطهير من الله و العصمه، قال الله تعالى: (و إذ قالت الملائكه يا مریم إن الله اصطفاك و طهرک و اصطفاك على نساء العالمين)
[١٧٥]. [صفحه ١٢٥]

وحى النبوه

اشاره

(قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا و لا يشرك بعباده ربه
أحدا) [١٧٦]. (قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك ياذن الله مصدقا لما بين يديه و هدى و بشرى للمؤمنين). [١٧٧].
(و إنه لتنزيل رب العالمين - نزل به الروح الأمين - على قلبك لتكون من المنذرين - بلسان عربى مبين) [١٧٨]. (... و لا تعجل
بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه و قل رب زدنى علما) [١٧٩]. (و ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب
أو يرسل رسولا- فيوحى بإذنه ما يشاء إنه على حكيم) [١٨٠]. (و إذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت
بقرآن غير هذا أو بدله [صفحه ١٢٦] قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء

نفسى إن أتبع إلا ما يوحى إلى إنى أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم) [١٨١].

الوحى

الوحى: الكلام الخفى، و يقصد من الخفاء: أن لا يسمعه غير المخاطب، و قد يطلق على كل كلام قصد به إفهام المخاطب على السر بله عن غيره، و التخصيص له به دون من سواه.

الوحى فى القرآن

ان الوحى فى القرآن يشير إلى معان: ١- وحى النبوه: و هو المراد من كلمه الوحى عند الاطلاق، قال الله تعالى: (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده و أوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط و عيسى و أيوب و يونس و هارون و سليمان و آتينا داود زبوراً) [١٨٢]. و يكثر استعمال الوحى فى القرآن فى هذا المعنى. ٢- الإلهام: قال تعالى: (و أوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم و لا تخافى و لا تحزنى إنا رادوه إليك و جاعلوه من المرسلين) [١٨٣]. و قد لا يتنبه الملمهم إلى الوحى فى الوحى الالهامى، و لكن المفاد من الآيه الكريمة: أن ام موسى كانت متنبهه إلى عمليه الوحى و الإلهام لها، و أنه أمر افيض عليها من جانب ربها، و ذلك يدل على فضيله اختصت بها ام موسى. [صفحه ١٢٧] ٣- الأمر: قال تعالى: (و إذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى و برسولى قالوا آمنا و اشهد بأننا مسلمون) [١٨٤]. ٤- الاشاره: قال تعالى: (فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة و عشيا) [١٨٥]. ٥- التقدير: قال تعالى: (و أوحى فى كل سماء أمرها...) [١٨٦]. ٦- الغريزه: قال تعالى: (و أوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا و من الشجر و مما يعرشون) [١٨٧].

قل إنما أنا بشر مثلكم

الكلام ها هنا مؤكد بأشد التأكيد، و يرشدنا إلى مجانسه الرسول و المرسل إليه، و إلى نزاهه محمد صلى الله عليه و آله من نزع العنصريه و طهارته من أنواع العصبية، و أنه جاء لآحياء الانسانيه و إلغاء جميع مظاهر

التزعات و العصبية، فهو بشر يحب ما يحب البشر، و ينفر مما ينفر منه البشر. يرضى بما يرضون، و يغضب لما يغضبون. و هل ما حدث به بعض الرواه من: أنه لم يكن له ظل عندما كان يمشى تحت الشمس و أمثال هذه الحكايات مخالف مفاذ هذه الكريمه؟!

يوحى إلى

يشير إلى أن الوحي من ميزات النبي صلى الله عليه و آله و طابعه الخاص، و به يمتاز عن غيره من البشر كما يشير أن محمدا صلى الله عليه و آله بشر كأى بشر، و لكن الفرق أنه يوحى إليه، و أن الوحي صله خاصه بين الرسول و ربه الذى أرسله. [صفحه ١٢٨]

نزله على قلبك

القلب فى لسان القرآن: كناية عما به يفهم الانسان، فهو كوسيله داخلية للوصول إلى الحقائق، قال تعالى: (لهم قلوب لا يفقهون بها...) [١٨٨] و يشير ذلك إلى أن قلب محمد صلى الله عليه و آله كان هو مهبط القرآن، و قد نزل الوحي القرآنى على قلب محمد صلى الله عليه و سلم. و القرآن من مقوله اللفظ، فهل كان سمعه الشريف بمنزله الباب لتزول الوحي على قلبه، أم كان قلبه المقدس منزلا للوحي بلا واسطه السمع، أم أن كلا الأمرين قد كأنا؟ هذا هو المختار، و سيأتيكم البيان.

ما كان لبشر أن يكلمه الله

تشير هذه الكريمه إلى أن للوحي صنفين: صنفا بواسطه رسول، و صنفا بلا واسطه، بل ينزل مباشرة، كما تفيد أن كلام الرب مع عباده على ثلاثه أنحاء: ١- الوحي بلا واسطه. ٢- الوحي بواسطه الرسول. ٣- التكلم من وراء حجاب، و يقصد منه: كلام لا يرى المتكلم به، و لم يوصف فى القرآن بالوحي، النحو الثالث من الكلام الربانى، و لعله من جهه كونه مسموعا لغير المخاطب، فيخرجه ذلك عن الخفاء. و قد كلم الله بعده محمدا صلى الله عليه و آله بالنعوين الأولين. و أما التكلم معه من وراء الحجاب فلم أعر على دلالة قرآنيه عليه، و إن كان قد ثبت لموسى كليم الله عليه السلام بنص من القرآن كما فى قصه النار.

ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه

يستفاد منها: أن القرآن قد نزل على محمد صلى الله عليه و آله بنوعين: قرآنا و فرقانا. [صفحه ١٢٩] و إن نزوله الفرقانى كان بواسطه رسول هو جبرائيل، و وصفه الله بالروح الأمين، بشهاده الايه الكريمه السابقه و أما نزوله القرآنى فهل كان بواسطه رسول، أو كان بلا واسطه؟ و متى كان وقت نزوله كذلك؟ فالآيه الكريمه ساكته عن الجواب عن هذه الأسئلة. و لكن قوله تعالى: (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن...) [١٨٩] و قوله تعالى: (إنا أنزلناه فى ليله القدر) [١٩٠] و غيرها من الآيات تفيد أن القرآن انزل دفعه على محمد صلى الله عليه و آله فى ليله القدر، و هى من لياالى شهر رمضان. و فعل - أنزل - و الاتيان باسم القرآن يشهدان بذلك، و بذلك، و لكن محمدا صلى الله عليه و آله لم يكن مأذونا من قبل ربه فى قراءته للناس من قبل أن يوحى إليه و حيا ثانيا، بشهاده قوله تعالى:

(و لا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه...) [١٩١] وقوله تعالى: (و قرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث و نزلناه تنزيلا) [١٩٢]. وقوله تعالى: (اقرأ باسم ربك الذى خلق) [١٩٣] فإنها اولى الآيات التى نزلت عليه صلى الله عليه و آله عند النزول الفرقانى؛ و ذل سماح بقراءته للناس. و قد تبين لنا مما تقدم: أن القرآن باعتبار نزوله دفعه فى المره الاولى سمي قرآنا، و باعتبار نزوله فى المره الثانيه مفرقا و منجما سمي فرقانا، تلك المره التى اذن فيها لمحمد صلى الله عليه و آله فى قراءته للناس، و لعل مبتدأ نزول القرآن منجما فى المره الثانيه هو اليوم الذى بعث فيه محمد صلى الله عليه و آله بالرساله و صار نذيرا، و هو اليوم السابع و العشرون من شهر رجب (سنه ٦٠٩ ميلاديه و ١٣ سنه) قبل الهجره. [صفحه ١٣٠] قال تعالى: (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) [١٩٤]. فالقرآن كان لمحمد صلى الله عليه وسلم دون سواه، ولكن الفرقان كان له ولغيره.

الايمان بالوحى

ان الوحى أمر ينزل من جانب الله تعالى لينفذه الموحى إليه، إن كان أمرا تنفيذيا فإيمان الموحى إليه بوحيه و ثقته به لازمه من لوازم الوحى، و خاصه من خواصه، و إلا- لزم فوت الغرض من الايحاء، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. و استعمالات الوحى فى القرآن تشهد بأن كل من اوحى إليه كان مؤمنا بوحيه و واثقا به، و لا يشك فى صحته، و ينفذه من غير تردد، فلا وحى إلا بوثوق. و أشرف أقسام الوحى و أفضلها: وحى النبوه، و هو أيضا محصن بالووثوق. فكل نبى مؤمن بوحيه أشد الايمان، يشهد

بذلك قوله تعالى: (نزل على قلبك بإذن الله). إن الوحي على قلب محمد صلى الله عليه وآله يجعل الوحي كجزء من ذاته المقدسه، جزءا نفسيا، كما أن مجيء الروح الأمين بالوحي و وصفه بصفه الأمانه يزيل كل شك عنه. إن الخيانه من الروح الأمين فى رساله إلهيه مستحيله، و إلا لم يكن بروح و لا بأمين، و هل يبعث الله بوحيه من يخون فيه؟! و مما يجدر بالذكر أن قوله تعالى: (و لا تعجل بالقرآن) يفيد أن النبى صلى الله عليه وآله كان عارفا بالقرآن و يستسيغ التعجيل به من قبل أن يقضى إليه الوحي الثانى، فإن المعرفه بالقرآن قبل أن ينزل عليه منجما كانت حاصله بالوحي الأول، فكان مؤمنا به غاية الايمان، و صدقه ربه. و سئل الامام الصادق عليه السلام: كيف لم يخف رسول الله فى ما يأتيه من قبل الله أن يكون ذلك مما ينزع به الشيطان؟ قال: إن الله إذا اتخذ عبدا رسولا أنزل عليه السكينه [صفحه ١٣١] الوقار، فكان يأتيه من قبل الله مثل الذى يراه بعينه [١٩٥]. و لعل السائل ممن لا يرون نهايه قدره الحق لأن يجعل الله وحيه لرسوله بديهيا، أو كان ممن يرون سعه قدره الشيطان، مع أن الأمر ليس كذلك، فإن قدرته محدوده، و لا سبيل له على عباد الله المخلصين، بشهاده القرآن، فضلا عن أن يكون له سلطه على ما بين نبى الله و ربه، سيما أفضل الأنبياء و خاتم النبيين صلى الله عليه وآله، فإنه يستحيل عليه أن يدخل بين الله و حبيبه. ثم إن قول الامام عليه السلام فكان يأتيه الوحي من قبل الله مثل الذى يراه بعينه. يفيد أنه إذا خاف الرسول فيما

يأتيه من الوحي أن يكون من قبل الشيطان أمر يرجع إلى نقص في الموحى، و تعالى الله عن ذلك، فقد يتوهم أنه تعالى لم يستطع أن ينزل الوحي على نبيه بنحو يزيل به الشك عنه، و لذا فلا يصح هذا القول أبدا، و إنما كان ينزل الوحي على النبي صلى الله عليه و آله مثل الذي يراه بعينه، و ذلك أقصى الجلاء و الظهور.

تقسيم

الوحي و حيان: وحي الألفاظ، و وحي المعاني. و الأول: ما نزل على النبي صلى الله عليه و آله بلفظه، فلا خيره له في تغيير الألفاظ كوحى القرآن. و الثاني: معان ساميه و حقائق راقيه كانت تنزل على النبي صلى الله عليه و سلم فيرشد إليها الناس بألفاظه هو، مثل الأحكام و السنن و الفرائض و الحكم و التعاليم الأخلاقية و الاجتماعية و السياسية، و غيرها من المثل (ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) [١٩٦]. [صفحة ١٣٢] و مما يجب التنبيه إليه: أنني لم أعر في القرآن على شاهد لتسميه ما يلقي النوم من الرؤيا الصادقه و حيا، بل الشاهد على خلافه موجود، فإن قوله تعالى: (و ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا و حيا)... الآية تفيد أن الموحى إليه في كل من قسمي الوحي يكون يقظا و اعيا و ليس بنائم، و لا ثقه في ما يلقي في الرؤيا إلا أن يصدقه الوحي، كما حصل لمحمد صلى الله عليه و آله و حكاه القرآن في سورة الفتح بقوله: (لقد صدق الله رسوله الرؤيا) [١٩٧]. و كما حصل لابراهيم الخليل عليه السلام في الأمر بذبح إسماعيل ابنه، قال الله تعالى: (و ناديتاه أن يا ابراهيم - قد صدقت الرؤيا...) [١٩٨].

اسطوره و خرافه

يحكى ابن هشام في السيره: قالت خديجه لرسول الله صلى الله عليه و آله: أي ابن عم، أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك؟ قال: نعم قالت إذا جاءك فأخبرني به. فجاءه جبرائيل كما كان يصنع، فقال رسول الله لخديجه هذا جبرائيل قد جاءني. قالت: قم يا ابن عم فاجلس على فخذي اليسرى، فجلس عليها، قالت: هل تراه؟ قال: نعم؟ قالت: فتحول، فاجلس

على فخذى اليمنى، فتحول رسول الله صلى الله عليه وآله فجلس على فخذها اليمنى، فقالت: هل تراه؟ قال: نعم، قالت: فتحول فاجلس فى حجرى، فتحول رسول الله صلى الله عليه وآله فجلس فى حجرها، قالت: هل تراه؟ قال: نعم، فحسرت و ألقى خمارها و رسول الله صلى الله عليه وآله فى حجرها، ثم قالت له: هل تراه؟ قال: لا. قالت: يا ابن عم، أثبت و أبشر فوالله إنه لملك، و ما هذا بشيطان! [١٩٩]. [صفحة ١٣٣] و هذه القصة من المختلقات و الموضوعات على لسان خديجه (رضى الله عنها). و هناك شواهد كثيرة تشهد على ذلك. منها: أن حكم حجاب النساء لم يكن قد نزل فى ذلك الوقت. و منها: أن خديجه كانت عارفة بالحكم الذى ينزل بعد سنين. و منها: أن وجوب ستر المرأة إنما يكون من البشر، لا من الملك، و لا من الشيطان. و منها: أن الخمار إنما يكون ساترا عن البشر، لا عن الملك. و منها: أن الملك لا يفرق بين المرأة الحاسره و بين غيرها من النساء، إنه منزه عن الشهوه و الغضب. و منها: أنه لم يعرف الفرق بين فخذى خديجه اليسرى و اليمنى. و منها: أن اختفاء الملك لا يكشف عن ذهابه، و لا عن غض بصره عن خديجه الحاسره. و منها: أن الملك ليس بجسم عنصرى ليكون محددًا بالمكان، و يكون له ذهاب و إياب كما يكون لبشر، أو يكون له حضور و غياب. و منها: أنه لا سبب لتقدم سبق الطلب بالجلوس على اليسرى قبل الجلوس على اليمنى. و منها: أن القصة تنبى عن أن خديجه لم تكن آمنت بالنبى صلى الله عليه و سلم إلى تلك الآونه، مع تواتر الأخبار بأنها آمنت فور رجوع النبى

صلى الله عليه وآله إلى دارها بعد بعثته. ومنها: أن النبي صلى الله عليه وآله لم يكن واثقا بنبوته إلى تلك الآونة، فطمأنته خديجه، فقالت: أثبت وأبشر فوالله إنه لملك، وما هذا الشيطان. وما هذا إلا كف بين فضلا عن استحالته. وإليك أسطوره اخرى، وهى مختلقه و موضوعه على لسان محمد صلى الله عليه وسلم نفسه، يحدث بها ابن إسحاق فى السيره: جاءنى جبرائيل وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب. [صفحه ١٣٤] فقال: اقرأ، قلت: ما اقرأ، قال: فغطنى به حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلنى، فقال: اقرأ، قلت: ماذا اقرأ؟ فغطنى به حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلنى، فقال: اقرأ، فقلت: ماذا اقرأ؟ ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لى بمثل ما صنع بى، فقال: (إقرأ باسم ربك) الآية، فقرأتها... [٢٠٠]. فكيف يأمر جبرائيل حبيب الله بقراءه ما لم يتعلمه ولا يستطيع قراءته؟! أم كيف يسمح لجبرائيل بإيذاء حبيب الله حتى يظن أنه الموت؟ و لو كان جبرائيل قد جاء لتعليمه فكيف يطلب منه القراءه قبل التعليم؟! و كيف سمح محمد صلى الله عليه وآله بنفسه بأن ينام على نمط من أبريسم و هو الزاهد فى الدنيا؟! [صفحه ٣٥]

رساله عالميه

اشاره

(قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا إله هو يحيى و يميت فأمنوا بالله و رسوله النبى الامى الذين يؤمن بالله و كلماته و اتبعوه لعلكم تهتدون) [٢٠١]. (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) [٢٠٢]. (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم

آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة و إن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) [٢٠٣]. (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا و يزكيكم و يعلمكم الكتاب و الحكمة و يعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) [٢٠٤].

يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا

الخطاب عام و يتناول جميع الناس في أي صقع و مكان، و أي عصر و زمان، و أي [صفحة ١٣٦] شكل و لون، و أي صنف و جنس، ممن كان موجودا عند نزول الآية و صالحا للمخاطبه، أو يوجد بعد ذلك، بل و حتى لو كان هناك بشر يعيشون في الكرات السماويه، مثل هؤلاء البشر الذين يعيشون في الأرض، في الخلق و الخلق، فإنه يجب عليهم اتباع محمد صلى الله عليه و آله بأمر من الله رب السماوات و الأرض إذا بلغتهم دعوته، فقد أرسله الله برسالة عالميه. تلك ميزه محمد صلى الله عليه و آله على سائر الأنبياء، فإنه لم يبعث أحدهم إلى كل البشر حتى لو كانت رسالته عالميه في عصره، بل نسخت رسالته بعد حين، و إني لم أعر على مثل هذا الخطاب لغير محمد صلى الله عليه و آله من الأنبياء في القرآن الكريم، و لا في كتبهم المنسوبة إليهم و التي هي في أيدينا إلا إبراهيم عليه السلام، بل لم نعرف أن رسالتهم عالميه في عصر بأن يكون الدين الحق واحدا في جميع أرجاء العالم. إذ يحتمل أن يكون الدين الحق دينين من اعتنق كلا منهما فقد نجا، فمحمد صلى الله عليه و آله رسول عالمي جاء برسالة عالميه بنص كتاب الله العزيز الحكيم. ثم إن الآية الكريمة تشتمل على عده من صفات الله المختصه به. منها: أن له مك السماوات و الأرض، ملكيه حقيقه لا اعتباريه. و

منها: أنه واحد لا إله إلا هو، فلا شريك له. ومنها: أنه يحيى ويميت. وهذه الصفات تختص بذاته المقدسه، ولا يوصف بها أحد من خلقه، بل يستحيل أن يوصف أحد بإحدى هذه الصفات، كما بين في محله. كما أن الآيه تشمل على ميزه يختص بها النبي صلى الله عليه وآله، وهى كونه اميا لكونه يؤمن بالله و كلمته. ثم إن الآيه تشتمل على الأمر بالايمن بالله و رسوله، و ذلك أمر قلبى، و هو الذى به يصير المؤمن مؤمنا و يخرج عن الكفر و يدخل فى الإسلام، و فى ختامها أمر باتباعه، و ذلك فعل خارجى. و إن الإيمن و الاتباع إذا اجتماعا ينتجان الهدايه. [صفحه ١٣٧]

على عبده

وصف الله سبحانه و تعالى محمدا صلى الله عليه و آله و هو رسوله ب«عبده»، و ذلك و سام إلهى أعطاه الله لرسوله دون سواه، و هو الذى استحقه وحده، فهو صلى الله عليه و آله عبد ربه لا-بعد نفسه، بل هو مالك نفسه، و من يكن عبدا لربه فهو مالك لنفسه. و قد أضاف عبوديته إلى أفضل ما ينتسب إليه عبد و أشرفه، و هو ذات اليد المتعاليه. و إن محمدا أهل لذلك، فتنزل الفرقان عليه و جعله للعالمين نذيرا. إذ هو لا ينطق عن الهوى، و غيره من البشر ينطق عن الهوى، فهو عبد لنفسه، إلا من أنقذته الرساله المحمديه بشمول الرحمه الإلهيه. ثم إن وصف محمد صلى الله عليه و آله بالنذير أو بالمنذر إلى البشريه التى كانت فى طريق الهلاك والخسران لولا الايمن بمحمد صلى الله عليه وسلم و اتباعه. و مما يجدر بالذكر: أن وصف محمد صلى الله عليه و آله

بكونه عبدا لربه، و بأنه للعالمين نذيرا لكونه بشرا بصريح القرآن يشير إلى أنه صلى الله عليه و سلم بعيد عن الاختصاص بشعب أو جنس أو بلد، و منزه عن نزعه العنصريه، و برىء من القوميه، بل هو فوق العربيه و العجميه و القوميه و العنصريه. و من وصف محمدا صلى الله عليه و آله بأنه عربى فقد فارق كتاب الله و لم يقتد به، إنه الانسان الذى ليس هو عربى و لا بعجمى و لا برومى و لا- بزنجى، إنه إنسان كالانسان العربى، و كالانسان العجمى، و كالانسان الزنجى، و كالانسان الرومى. و بالرغم من وصف القرآن محمدا صلى الله عليه و آله بأوصاف شتى عالميه فإنه لم يصفه بوصف العربيه أبدا. لقد نسب القرآن محمدا صلى الله عليه و آله إلى ذات البارئ المقدسه، قال: عبده، حتى أنه لم يصفه بسيد البشر، فضلا عن أن يقول: سيد العرب، بل قال: (قل إنما أنا بشر مثلكم). إن محمدا بشر، بعث لانقاذ البشر، و شريعته شريعه بشريه، و ليست بشريه قوميه كشرعيه اليهود، و إنما هى شريعه عالميه، لا- شرقيه و لا- غريبه. و من البديهي أن الرسولين موسى و عيسى عليهما السلام كانا من أبناء إسرائيل، و لكن [صفحه ١٣٨] القرآن لم يصف أحدهما بالاسرائيلى، كما لم يصف نوحا بالسريانى، بل لم يصف القرآن جميع الأنبياء الذين أورد أسماءهم و تحدث عنهم بوصف يشير إلى انتسابهم إلى شعب أو قطر أو بلد...، لأن هؤلاء القديسين أجل و أشرف من أن يحددهم شعب، أو يحيط بهم بلد، إنهم بشر جاؤا ليخلقوا من حيوان رشيق القدر إنسانا؛ لأنه هو الكائن الذى له هذه القابليه بين أنواع الحيوان. و ليس بين

هؤلاء العظماء و بين شعوبهم و بلادهم آيه صله إلهيه و إن كانت الصله الطبيعيه موجوده بينهم. فالواجب هو أن تنسب الشعوب إليهم عوضا عن انتسابهم إليها، فيقال للعربي: محمدى، و يقال للاسرائيلى: موسى أو يسوعى. لقد كان موسى و عيسى عليهما السلام أفضل عند الله من إسرائيل. كما أن محمدا صلى الله عليه و آله أفضل عند الله من العروبه و العرب و من عدنان و قحطان. و من طرائف الكلام: أن قوله تعالى (للعالمين) و قوله تعالى: (مثلكم) و قوله تعالى: منكم يشير إلى جهاد القرآن للقوميه و مكافحته للعنصريه، و قد خاطب العرب كبشر لا كأمة عربيه. و فى قوله تعالى: (لقد من الله على المؤمنين) إيماء إلى ذلك، إذ لم يقل: لقد من الله على الأمة العربيه إذ بعث فيهم رسولا. من أنفسهم، كما لم يقل: رسولا عربيا مبعوثا برسالة عربيه. كما أن القرآن لم يصف محمدا صلى الله عليه و آله بالقرشيه، و لا بالهاشميه، و كل ذلك مكافحه للقوميه و القبليه و إلغاء لها.

لقد من الله

المن: إعطاء النعمه. و إن النعمه التى منحها الله لعباده المؤمنين هى بعث الرسول بالاسلام، قال تعالى: (واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا) [٢٠٥]، يشير إلى إلغاء أصناف القوميات و العنصريات [صفحه ١٣٩] بألطف تعبير. بعث الله محمدا صلى الله عليه و آله رسولا للبشر كافه، يتلو عليهم آيات ربه، و يكمل عقولهم، و يزيد فى معارفهم، و يزيكهم، و يهذب أخلاقهم، و يطهر نفوسهم من النحس و الرجس، و يعلمهم الكتاب و الحكمة، و يصلح أعمالهم، و يوجههم إلى المثل و القيم، و يرشدهم إلى حياه سعيده أبدية، و إلى

سعادته الدارين: الدنيا والآخرة. ولقد جعلت النعمة - التي من الله بها - الأعداء إخوة، والأذلاء أعزّه، والجهال علماء، والقساة رحماء، والسفهاء عقلاء، والفقراء أغنياء، والبخلاء كرماء، والخونة أوفياء، والضعفاء أقوياء والظالمين هداة. وهل هناك نعمة أعظم من هذه النعمة وأفضل؟ ولو لا بعث الرسل من جانب الرب الرحيم لما عرف البشر حياه سعيدة، ولكانت البشريه فى طريقها إلى الانقراض و الفناء، إذ لم يكن يوجد فى البشر إلا- من يفسد، و من يفسك الدماء، و من يهتك الأعراض، و من يغضب الأموال. إن العقل البشرى يميز الحسن و القبيح، و إن الضمير الانسانى يحب العدل و الاحسان، و يكره الظلم و الخيانه، و لكنها عاجزان عن إسعاد البشريه، فإنهما مقهوران لقوتى الشهوه و الغضب المسيطرين على البشر، الحاكمين بما يشتهيان. و قد بعث الله النبيين لمساعدته العقل، و لتسديد الضمير، فاستطاعوا منع سيطره الظلم على جميع البشر، و أنقذوا الكثيرين من المظلومين و المضطهدين. و سيأتى يوم تملأ- فيه الارض قسطا و عدلا، حتى لا- يرى على صفحاتها نقطه سوداء من يائس و محروم، و مضطهد و مظلوم. إن العدل العالمى مطلوب لكل البشر، و غايه مرموقه له، فالطباع البشريه تطلبه، فيجب أن يكون لها تحقق فى يوم بلاشك، إذ الطبيعه لا تخطى فى متطلباتها.

على المؤمنين

كان بعث الرسول من قبل الله نعمه على البشريه عامه، و على المؤمنين خاصه، فالمؤمن - كإنسان - قد انتفع من تلك النعمه، و إن الانسان - كمؤمن - انتفع منها خاصه و [صفحه ١٤٠] صار إنسانا بكل ما لهذه الكلمه من معنى. لقد انتفع المؤمن من تلك النعمه

مرتين، و انتفاعه فى المره الثانيه أعظم و أكبر من الاولى. انتفع فى المره الاولى و هو غير شاعر بانتفاعه؛ لان البشرى لم تشعر بمدى نعمه بعث الرسل من قبل ربها، و لكن المؤمن شعر بتلك النعمه فى المره الثانيه، فشكرها و قدرها. فإن المؤمن شكرها فى المره الاولى بصفته البشرى، و شكرها فى الثانيه بصفته الايمانى.

من أنفسهم

و لقد جرت سنه الله فى رسله و أنبيائه على أن يكونوا من جنس المرسل إليهم، فإن كان المبعوث إليهم بشرا فالرسول الذى بعث إليهم بشرا، قال تعالى: (و ما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا - قل لو كان فى الأرض ملائكه يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) [٢٠٦]. و للتجانس أثر عميق فى النفوس، إن المجنس مندفع إلى مجانسه، و مرتبط به، و إن الدافع القوى للتلاحم فيما بين البشر هو التجانس، فإن معه التانس و التجانس، هذا هو الدافع إلى الصداقه و الداعى إلى المحبه. و إن تجانس الرسول مع المرسل إليهم يزيل كثيرا من الصعوبات و العوائق عن طريق رسالته، و يذلل له الصعاب فى سبيل دعوته، و كلما ازداد التجانس ازداد الاقتراب و التلاحم، فإن الانسان منجذب إلى أنيسه و مندفع نحو جلسه، متأثر به فى الأخلاق و الأفكار و لو كان دونه فى الفضل و الشرف. إن الطلاب فى معاهدهم و جامعاتهم يتأثر بعضهم ببعض، و يحصل لهم إيمان بكثير من الآراء و المبادئ بالتلقى من أترابهم و زملائهم، و هم غير شاعرين ذلك، و غير ناظرين إلى صحه تلك المبادئ و الأفكار. و الاندفاع إلى المجانس صفه طبيعىه لكل إنسان. كما أن الذى

يجعل المجتمع مجتمعا هو تجانس أعضائه، فإذا لم يكن بينهم [صفحة ١٤١] تجانس فلا مجتمع. كما أن بقاء المجتمع إنما هو بقاء التجانس بين أفرادها، فإذا زال عنهم ذلك انفصمت عراه، واندثرت معالمه. وإذا لم يكن المبعوث إلى البشر بشرا فلا تصير كلمته نافذة، و لم يتح له أن يغدو اسوه للمجتمع البشري، إذ المغايره بين الرسول والمرسل إليهم عقبه كؤود في سبيل رسالته، و سد محكم بينه و بين مقصده. فداعيه القوم يجب أن يكون منهم و فيهم، و إلا لا تنجح دعوته، و لا تريح تجارتها؛ لأن المجانسه بينه و بين من يدعوه تمنعه عن الاعتذار بأنه لا يستطيع القيام بما دعى إليه، أو غير قادر عليه، و ذلك أقوى الاعتذارات للنفوس التي لا تحب استجابته دعوه الحق، و ترفض اعتناق الايمان إذا لم يتح لها تكذيب الداعيه و إنكار دعوته، فيتعللون بهذه العله. إن كثيرا من المجرمين يحبون أن لا- يروا أنفسهم مذنبين و هم مجرمون! و لذا يفتشون عن عذر لارتكابهم للجريمه يقنعون به أنفسهم، و يعتذرون به لغيرهم. و مغايره الداعيه لهم بحسب الجنس من أقوى الأعدار لأمثال هولاء. و من الجدير بالذكر: أن أحد أسباب شيوع التصوف بين المسلمين هو هذه النزعه، إذ التصوف يحكم على المجرم بالبراءه، و يبيح له ارتكاب الجريمه، و يفتح له أبواب جديده، و يعلمه العذر، و يقول له: لا- تثريب عليك من هذا الاثم إذا طبت نفسا، أو قضيت في حلقه الذكر زمنا، أو خصصت ساعه من يومك بورد أو ذكر أ دعاء. و قد أباح الشيعيون لأنفسهم كل إثم، زعما منهم أن ذلك يقرب ساعه الثوره! و ابتدع بعض القساوسه ظاهره اشتراء

الذنوب من المذنبين لاتمام بناء كنيسه قد عجزوا عن تمام بنائها و جرى الباكون على أثره. و لست أدري بأى ثمن يبيعون ذنبيهم العظيم، و هو إباحه الجرائم و الآثام. كان محمد صلى الله عليه و آله بشرا، و لم يكن من الملائكه حتى لا يتاح له نهى البشر عن اتباع هواه و عن انهماكه فى اللذات، و لو كان ملكا من الملائكه لم تنجح دعوته إلى المثل و القيم، و إلى كفاح الأنانيه و جهاد النفس. إنه بشر يفرح كما يفرحون، و يجوع كما يجوعون، و يعطش كما يعطشون، و يشبع و يرتوى كما يشبعون و يرتوون. له أهل و بلد، و قريب و عشير، كما لهم أهل و بلد و قريب و عشير. إنه بشر مطيع لله، و مجاهد [صفحه ١٤٢] فى سبيله يضحى بنفسه، و بأحبائه و أعزائه، لا يرى لنفسه ميزه، و لا يطلب إثره. أنه بشر يرشد البشريه إلى المكارم و القيم و يهديها إلى الانسانيه.

عالميه الرساله

ان البحث السابق عن تجانس الرسول و المرسل إليهم يطرح علينا سؤالا، و هو: أن محمدا صلى الله عليه و آله هل هو رسول إلى غير البشر أيضا إذا كان هناك من يعقل؟ و هو سؤال لا يمكن الجواب عنه إلا بعد بحث عميق حول هذا الموضوع. فنقول: إن العقل يحكم بأن قوام الدعوه و شرط إرسال الرسول هو كون المدعو و المرسل إليه قابلا لقبول الدعوه، و متمكنا من العمل بها، و لا يستحسن العقل دعوه من لم تكن فيه هذه القابليه، و إن الكائن الحى الذى لا يتعقل الدعوه، أو يتعقل الدعوه، أو يتعقلها و لكنه لا يستطيع العمل بها فلا يرسل

إليه رسول. فالتكاليف الالهيه موضوعه عن غير العقلاء و سواء أكانوا من البشر أم من غير البشر، و لذا رفع قلم التكليف عن الصبى و عن المجنون [٢٠٧] و هما بشران. و ينحصر العقلاء من غير البشر فى طائفتين: الملائكه و الجن حصرا استقرائيا، و لو كان ثمة أحياء عقلاء غيرهما فإن معرفتنا لم تتوصل إليهم. و هل تستطيع الطائفتان - الملائكه و الجن - العمل بالاحكام الالهيه و لهما القدره على إطاعتها ليتحقق شرط بعث الرسول إليهما؟ هل يجوز العقل توجيه الخطاب إليهما حتى فى صورته كون الرسول من جنسهما؟ سؤال ربما يجد الجواب عنه فيما يلى:

الملائكه

ان الشرع - سواء أكان إلهيا أم بشريا - إنما يصلح لعاقل مختار يكون له شهوه [صفحه ١٤٣] غضب، فغير العاقل لا يصلح لشرع و لا لقانون، كأنه لا يفهم، و كذا غير المختار، فإن العاقل غير المختار غير قادر على تنفيذ الشرع و على إجراء القانون، فلا مسؤوليه عليه أمام القانون. و أما العاقل المختار الذى ليس له شهوه و غضب فلا يحتاج إلى قانون؛ لأن عقله يرشده فلا يرتكب جريمه و لا يقترب سيئه، فإن تشريع القانون إنما هو لمنع العقلاء المختارين عن الاقتراب من السيئات و ارتكاب الجرائم بسبب إحدى الغريزتين، فلو كانت الملائكه من العقلاء غير المختارين أو من الصنف الذى ليس لهم الشهوه و الغضب فلا يرسل إليهم رسول. يفيدنا قوله تعالى: (قل لو كان فى الأرض ملائكه يمشون مطمئين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) إن الملائكه لا يقدرّون على العصيان؛ لكونهم فاقدين لصفه المشى، فهم ليسوا بمختارين فى أفعالهم، فإن المشى من الافعال التى تصدر بالاراده، و ليس هو من أفعال الغريزه

ليصدر بلا قصد ولا إرادته، كحركه كف الأشل، فالله الحكيم لم يبعث إلى الملائكة رسولا، ولن.

الجن

ان معرفتنا عن الجن محصوره بما يخبرنا به القرآن كمعرفتنا عن الملائكة، فإنه حتى الآن لم يحصل للبشر طريق لمعرفة الجن يركن إليها غير القرآن. يقص علينا القرآن أن الجن مخلوقون أحياء مثل الانس، وأنهم مخلوقون من النار كما خلق الانسان من التراب، وكانت خلقه الجن قبل خلقه الانسان وأن الجن و الانس كفرسى رهان، وأن للجن عالما كعالم الانسان. قال تعالى: (خلق الانسان من صلصال كالفخار - و خلق الجان من مارج من نار) [٢٠٨]. (و الجان خلقناه من قبل من نار السموم) [٢٠٩]. [صفحة ١٤٤] قد جعلت النار فى الكريمة الاولى منكره، فهى نار خاصه تفسرها الكريمة الثانية و المارج بحسب اللغة: الصافى. و المارج من النار: هى ما كانت شعلتها ذات لهب شديد، و هى التى لا تشاب [٢١٠] بغيرها. فالمارج من النار: هو النار المصفاه، فالمقصود - والله العالم - هو الطاقه الصرفيه التى لا تشوبها الماده. و السموم: الريح الحاره... و حراره السموم و ناره هى النار المصفاه. فهذا هو أصل الجن، فقد خلق من الطاقه كما خلق الانسان من الماده. و إن الكريمة الثانية تحدثنا: عن أن الجان خلق قبل الانسان. إن الطاقه خلقت قبل الماده، و الماده الأرضيه قد تبدلت من الطاقه، و إن الحركه و الخفه من اللوازم الذاتيه للنار. فالجان خفيف سريع، و ذلك من ميزات الطاقه، و لكن الانسان ليس بخفيف و لا بسريع و لا بلطيف. و بهذا المعنى نقول: إن الجان ليس بمادى و إن كان ماديا بالمعنى الذى يقصده الفلاسفه. و قد أفادت الآيه:

أن الجان محدود بالزمان، فهو مخلوق زمانى إذ كان زمان خلخته قبل زمان خلق الانسان. الجن مخلوق عاقل قد خوطب الجن فى القرآن بخطابات، منها قوله تعالى: (يا معشر الجن و الانس إن استطعتم أن تنقذوا من أقطا السموات و الأرض فانقذوا) [٢١١]. و الخطاب يدل على أن المخاطب عاقل، و إلا لما صحت مخاطبته له. و لعل تقديم اسم الجن على الانس فى الخطاب لكونه أسرع فى الحركة من الانس، و أقوى منه فى السير. [صفحه ١٤٥] كما أن الآيه تفيدنا: أن الجان مخلوق يحتاج إلى المكان، و أن الوسط الذى يعيش فيه الانسان هو نفس الوسط يعيش فيه الجان، فالجنسان محدودان بالمكان، و أن الجن مكانى مثل الانس. ثم إن قوله تعالى: (و إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه) [٢١٢]. يفيدنا: أن الجن مخلوقون عاقلون، و أنهم كانوا مخلوقين عند خلقه آدم، و أن إبليس كان من الجن و لكن لم يكن جميع الملائكة منهم. و لم نعرف من القرآن نوعيه سجود الملائكة هذا. الجن يحس و يلمسقال الله تعالى حكاية عنه: (و أنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا و شهابا) [٢١٣]. إيجاد الجن الحرس: إما بالرؤيه، أو بالمس، أو بحس ثالث. كما أن إيجاد الشهب برؤيه لها، أو بحس حرارتها. يستمعون و يتكلمون، و يعرفون اللغه العربيه و لغه التوراهقال تعالى: (و إذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى و لوا إلى قومهم منذرين - قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى...) [٢١٤]. كان النفر من الجن يعرفون موسى عليه السلام، و قد آمنوا به، و كانوا

يستعمون القرآن و [صفحہ ۱۴۶] يفهمونه، فكانوا عارفين بلغه العرب. كما أن لهم ذهابا و إيابا كما للانس. و هل كان لسان هذا النفر عربيا، أو لسان جميع الجن، أم أنهم مجموعه أقوام مختلفه و لهم لغات متعدده، و لكنهم يعرفون اللغات الانسيه عامه، أو اللغه العربيه خاصه؟ حيث أخبروا قومهم بأنهم سمعوا كتابا انزل من بعد موسى عليه السلام، كما كانوا يعرفون التوراه. يقوم و يقعدقال تعالى حكاية عنهم: (و أنا كنا نقعد مقاعد للسمع) [۲۱۵]. و من يستطيع القعود فهو قادر على القيام، إذ لا يكون القعود إلا من قيام. و قوله تعالى: (فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين) يفيد أن للجن محلا يحلون فيه و يأوون إليه، و يخرجون منه، و يرجعون إليه. للجن ذكور و إناثقال تعالى: (و أنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) [۲۱۶]. وإذا كان هناك رجال من الجن فيكون منهم نساء، كما يكون للانس رجال و نساء. للجن متعه جنسيهقال تعالى: (فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم و لا- جان) [۲۱۷]. و من استطاع طمث قاصرات الطرف فله متعه جنسيه. كما أن وجود الرجال فيهم و النساء يفيد ذلك؛ لان طباع كل واحد من الرجل و المرأه لا يخلو من المتعه الجنسيه. [صفحہ ۱۴۷] الجن مخلوق مقتدرقال تعالى: (و حشر لسليمان جنوده من الجن و الانس) [۲۱۸]. (قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) [۲۱۹]. (و من الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه) [۲۲۰]. تفيد الكريمه الثانيه: أن أقوىاء الجن قادرون على ما لا يقدر عليه أقوىاء الانس. سبق الجن في الحضاره على الانسقال تعالى: (يعلمون له ما

يشاء من محاريب و تماثيل و جفان كالجواب و قدور راسيات... [٢٢١]. و الضمير المجرور راجع إلى سليمان، و الضمير في قوله (يعملون) راجع إلى الجن، فكانوا يصنعون لسليمان ما كان الانس في عهده عاجزين عن القيام بمثله من صنع محاريب و تماثيل و جفان كالجواب و قدور راسيات. للجن صداقه و عداوه قال تعالى: (و كذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس و الجن..) [٢٢٢]. موصوف بالصداقه لغيره بلا شك. و هل قوله تعالى: (لكل نبي) يفيد وجود أنبياء من الجن للجن؟ هذا ما استفدناه من إنباءات القرآن بحسب خلقه هذا المخلوق المستور [صفحه ١٤٨] عن أبصارنا المسلمي ب (الجن). و هل يتغذون و يأكلون و يشربون؟ و ما هي ماكلهم و مشاربهم؟ لست أدري، و من الواجب الاصغاء إلى إنباءات القرآن عن هذا المخلوق من حيث الدين و الشرع. الجن موظف لعباده الله قال تعالى: (و ما خلقت الجن و الانس إلا يعبدون) [٢٢٣]. تتقوم العباد بالمعرفه، و لا- عابد إلا و له معرفه بمعبوده. كما لا عباده إلا بالقصد و النيه، و تستحيل العباده من دون قصد و نيه، و تصح العباد ممن هو قادر على فعلها و تركها، فيختار فعلها و يأتي بها. من الجن من يذنب قال تعالى: (فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس و لا جان) [٢٢٤]. الذنب أمر قبيح يستنكره العقل، و هو طغيان على المولى، و تمرد على أوامره و نواهيه، و الطاغى المتمرد يحاسب و يحاكم و يعاقب، و لكن المحاكمه هذه لا تحتاج إلى استنطاق هذا الطاغى المتمرد؛ لوضوح الأمر بكثرة الشهود عليه من يده و رجله و لسانه و جميع جوارحه، و غيرها ممن يحف به من ملك و

غيره (و الله من ورائهم محيط) [٢٢٥]. الذنب أمر قبيح يستنكره العقل، و هو طغيان على المولى، و تمرد على أوامره و نواهيه، و الطاغى المتمرد يحاسب و يحاكم و يعاقب، و لكن المحاكمه هذه لا تحتاج إلى استنطاق هذا الطاغى المتمرد؛ لوضوح الأمر بكثره الشهود عليه من يده و رجله و لسانه و جميع جوارحه، و غيرها ممن يحف به من ملك و غيره (و الله من ورائهم محيط) [٢٢٦]. للجن أنبياء من أنفسهمقال تعالى: (يا معشر الجن و الانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى و [صفحه ١٤٩] يندرونكم لقاء يومكم هذا...) [٢٢٧]. تفيد الآيه الكريمه أن للجن أنبياء و رسلا من أنفسهم كانوا يدعون إلى الايمان بالمبدأ و المعاد، و إلى الاعتقاد بالحشر و النشر. هل كان محمد صلى الله عليه و آله نذيرا للجن أيضا؟ لم أعر على دعوه من محمد صلى الله عليه و آله للجن إلى الاسلام و إن كان المستفاد من قوله تعالى: (ليكون للعالمين نذيرا) أنه كان نذيرا للجن بناء على شمول العالمين لهم. و أما قوله تعالى: (و إذا صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين - قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى إلى الحق و إلى طريق مستقيم - يا قومنا أجيئوا داعى الله و آمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم و يجركم من عذاب أليم) [٢٢٨]. فلا تدل على أن محمدا مبعوث للجن أيضا، و إن دلت على إيمان الجن به لكونه نبيا مبعوثا من جانب الله يهدى إلى الحق و إلى صراط مستقيم. من الجن

مسلمون و كفارقال تعالى: (و أنا منا المسلمون و منا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا) [٢٢٩]. و للمطيع منهم ثواب، و للقاسط منهم عقاب، قال الله تعالى: (و أما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا - و أن لو استقاموا على الطريقه لأسقيناهم ماء غدقا) [٢٣٠]. [صفحه ١٥٠] و قال تعالى: (و لقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن و الانس..) [٢٣١]. للجن حشر و نشرقال تعالى: (و يوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس...) [٢٣٢].

النداءات القرآنيه

يجد الباحث فى النداءات الالهيه الوارده فى القرآن أنها طرا موجهه إلى الانس، فأما التى صرح بها المنادى بلفظ «الناس» فهى واضحه الدلاله. و أما التى لم يصرح فيها بذلك كقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا...) فإن المتبادر منها أن المخاطب بها هو الانسان، و يشهد على ذلك ما بعد هذا الخطاب من الآيات. فنحن لم نعثر على دلاله فى القرآن على إلزام الجن بفرائضنا الاسلاميه. فقد تبلور من جميع ذلك: أن الجن كالانس أحياء عقلاء مخلوقون من الطاقه، و أن الانس مخلوقون من الماده، و أن الحركه من طباع الجن، و السكون يعرض لهم بسبب خارج عن طباعهم، كما أن السكون من طباع الانس، و تحركهم بحاجه إلى محرك من غير طباعهم. و إن الجن أحياء مختارون، و قادرون على التكلم و الاستماع، و يعرفون اللغه العربيه، و ينتقلون ذهابا و إيابا، و إن للجن ذكورا و إناثا، و يتمتعون بالغريزه الجنسيه. كما أنهم يتوالدون و يتناسلون، و يوصفون بالعداوه و الصداقه، و لقد كان منهم [صفحه ١٥١] - يوما - أفاد مهمتهم خدمه أفراد من البشر، و أنهم موظفون لعباده الله، و لكن كيفيه

عبادتهم مجهوله عندنا، و لا- ثمره لهذه المعرفه سوى إقناع غريزه حب الاستطلاع. إن القرآن ساكت عن التحدث عن نوع تكاليفهم: من الصلاه و الصوم و الزكاه و غيرها، و لا- بد أن يكون لهم عقود و توقيعات و تبادل و معاملات. فإن المكلفين بأحكام الاسلام - حسب النداءات القرآنيه - هم الانس دون سواهم، و لا يستفاد من تلك النداءات اشتراك غير الانس معهم فى الفرائض و السنن. نعم، يستفاد من القرآن: أن الجان مكلفون بمبادئ ثلاثه: التوحيد، و النبوه، و المعاد، فهم مشتركون فى هذه الناحيه الاعتقديه مع الانس. [صفحه ١٥٣]

عود على بدء

يتلوا عليهم آياته

تشير كلمه «يتلو» إلى أن محمدا صلى الله عليه و آله كان حاكيا لكلام ربه بلفظه، و لم ينقله بالمعنى. فقد أمره تعالى أن يبلغ نص آيات كتابه بقوله تعالى: (اقرأ..) و يقرأها للناس ليسمعوها و يفقهوها و يعقلوها. إن الخطوه الأولى من رساله محمد صلى الله عليه و آله العالميه: هى تلاوه الآيات، و هى إعلام الناس برسالته من قبل الله تعالى. فإن لكل نبي معجزه، و معجزه محمد صلى الله عليه و آله الخالده هى القرآن، و تلاوته هى الاعلام بها. إن المعجزه آيه من آيات الله، فقد عبر عنها القرآن بالايه، و إن البشر أعجز من أن يأتوا بمثلها؛ لأنها فعل إلهى و البشر ضعفاء و لا يقدرّون إلا على فعل بشرى، بل كل مخلوق عاجز عن إتيان فعل خالقه، سيما الذى تحدى غيره بذلك الفعل. و إذا أتى النبي بآيه من آيات ربه اغلق باب ادعاء النبوه على الكذابين الذى يدعون النبوه. و لو لا معجزات الأنبياء لما عرف النبي من المتنبئى فالمعجزه فرض على كل نبي، و المعجزه التى جاء

بها نبينا محمد صلى الله عليه و آله ذات ميزه خاصه تمتاز عن جميع الآيات التي جاء بها جميع الأنبياء السابقين. إنها معجزه عالميه باقيه ما بقى الدهر. إنها معجزه لا يحدها مكان، و لا يحيط بها [صفحه ١٥٤] زمان، مشهوره فى كل عهد و عصر، و موجوده فى كل صقع و مصر. و إن المعجزات التي جاء بها الأنبياء قد كانت محدده بحدود مكانيه و زمانيه لم يشاهدها من لم يحض فى بلدها، و لم يرها من تأخر زمانه عن زمان وقوعها. فقد كان انقلاب عصا موسى عليه السلام حيه تسعى فى مصر، و كان إحياء عيسى للموتى فى فلسطين، شاهدهما اناس معدودون و حدثوا بها الآخرين. و من لم يكن فى عهد موسى عليه السلام ساكنا فى مصر حرم من رؤيه الحيه، و من لم يكن فى عهد عيسى عليه السلام قاطنا فى فلسطين حرم من مشاهده إحياء الموتى. و مثلهما من لم يكن فى زمان موسى و زمان عيسى عليهما السلام من المتوطنين بمصر و من القاطنين فى فلسطين. و لكن معجزه محمد صلى الله عليه و آله موجوده فى كل عهد و زمان، و فى كل صقع و مكان، ماثله أمام كل نسل و جيل. و إن محمدا يتلو آيات ربه فى كل مكان و زمان على كل أحد فى كل يوم. إنه رسول إلى الناس كافة و نبي البشره بأجمعها. و جاء فعل «يتلوا» بلفظ المضارع جامعا للدالتين من الجملتين: الاسميه و الفعليه، تدل الاولى على الدوام و الاستمرار، و تفيد الثانيه التجدد و الحدوث. فكانت رساله محمد صلى الله عليه و آله رساله أبدية، و كان كتابه حيا ناطقا سرمديا. فمحمد صلى الله عليه و آله خاتم النبيين

و لا نبى بعده. إن محمدا صلى الله عليه و آله بتلاوته للآيات يدعو إلى المثل و القيم، و إلى مبادئ محكمه و مفاهيم سديده و اصول أصيله، يرشد البشريه إلى الايمان بالمبدأ و المعاد، و يهديهم إلى الحكمة و العدل و الرشاد، و تلاوته للآيات إصلاح فكرى و توجيه علمى للبشريه لتسلك طريق الحق و تتكفب الباطل.

و يزكيهم

تزكيه النفوس هى الخطوه الثانيه من خطى محمد صلى الله عليه و آله التى بعثه الله بها؛ و ذلك لأن الغايه من إرسال الرسل من جانب الله تعالى: هى أن يخلقوا من البشر إنسانا، إذ البشريه حلقه متوسطه بين الانسانيه و الحيوانيه، فإن الأنبياء يدعون البشر إلى التقدم نحو الانسانيه؛ لأنهم هم التقدميون دون سواهم. إنهم يرفضون التراجع بكل ما لهذه [صفحه ١٥٥] الكلمه من معنى، و التراجع هو التأخر و الرجوع إلى الحيوانيه. إن الوصول إلى الانسانيه يتحقق بقطع مراحل ثلاث: مرحله تطهير القلوب، و مرحله تطهير الأعراق، و مرحله تطهير الأفعال. و نقصد من تطهير القلوب: إبعاد العقائد الفاسده، و تخطئه الآراء الخاطئه، مثل إنكار وجود البارئ، و الاعتقاد بالشرك، و الايمان بخرافات و بدع دخلت فى الدين و لم تكن منه، و أمثالها مما لا يصدقه العقل، و قامت البراهين على فساده. و قد دخلت أمثال هذه الأباطيل فى آراء البشر و معتقداتهم عندما لم يجدوا مبدأ صحيحا، فآمنوا بالباطل و اتخذوه مذهبا؛ و ذلك: إما لأن الوسط الذى نشأوا فيه لم يسمح لهم بالتعرف على مبدأ حق، و إما لأنهم ورثوا الباطل عن آبائهم و امهاتهم، أو تعلموه من معلم، أو اتخذوه من جليس، فدعتهم الأنانيه و عبادتهم لأنفسهم أن يتعصبوا لذلك الباطل الذى

جعلوه صنما لأنفسهم. و تطهير القلب: هو إزاله ذلك عن النفس و كسر تلك الاصنام. إن التعصب أمر طبيعي في الجملة، و هو من النزعات النفسيه، و ينجم عن حب الذات، و إذا صار شديدا فهو يعمى و يعم، و يجعل سدودا و حواجز تمنع من تلمس الواقع، و لو لا التعصب في البشر لكان العالم البشرى كله مشرقا بالرشاد و المثل و القيم، و لا يوجد فيه حائر عن الحق. إن العقل لا يستحسن التعصب، و الدين لا يحبذه، و الضمير الانساني يطرده، و مأساه البشريه منه. إن التعصب من معوقات الدين، و هو صاد عن المثل بين يدى الحقيقه، و كثيرا ما يشته الأمر فيرى التعصب تدينا، و الحال أن التعصب شيطاني، و لكن التدين رحمانى. و نقصد بالتعصب: عقد القلب على الايمان بأمر و لو حقا، لأنه اتخذه مذهباً، و نقصد بالتدين، عقد القلب على الايمان بالحق؛ لأنه حق. إن المتعصب عليه الاصغاء إلى كلمه تهديه إلى فساد مذهبه، فقد جعل في اذنيه وقرا، و أرخى أمام عينيه سترا، و إذا أصغى إلى تلك الكلمه فإنه يصعب عليه [صفحه ١٥٦] التصديق بها، و يجهد في الفحص عما يبطلها، و يتشبه بكل اكذوبه و اسطوره لوضعها مكان التفكير في صحتها و البحث عن واقعها و قبولها عند وضوح صحتها. إن المتدين باحث، و لكن المتعصب يسعى في حفظ الوضع الموجود. و التعصب يجعل صاحبه مؤمنا بالمتناقضات، مثل الايمان بوحده الأقانيم الثلاثه و هى ثلاثه و يقول: إن الثلاثه تساوى الواحد، و الواحد يساوى الثلاثه. و مثل الايمان بزلات الأنبياء، مع الايمان بعداله صحابه النبي صلى الله عليه و آله فصاحب النبي عادل؛ لأنه صاحبه، و لكن النبي نفسه

يزل و يخطى. و مثل سلب حق الاضراب عن العامل فى الدول الاشتراكيه، تلك التى قامت لصالح العمال، مع أن حق الاضراب حق طبيعى لكل عامل. إن المتعصب يؤمن بمبدأ يحبه، ثم يفحص عن الدليل ليثبت به صحه ما آمن به، و لكن المتدين يفحص عن الدليل أولاً، ثم يؤمن بما دل عليه، فهو رجل محايد بالنسبه إلى كل مبدأ قبل أن يؤمن به. و إذا قرع سمعه كلام من يشكك فى مذهبه فإنه يصغى إليه و يفكر فيه، فإن وجده حقاً يؤمن به و يترك مذهبه، و إن وجده باطلا تركه إلى أهله و يتعد عنه. و إن المتدين لا صلح له بمبدأ، و لا قرابه و بين مذهبه، فهو طالب للحق، و إذا عرف أن ما اعتقده باطلا يفر منه و لا يستقر عليه. إن المتعصب يتشبث بكل وسيله لصحه ما أخذه مذهبا لنفسه، و يرى أن الهدف يبرر الوسيله الآثمه، فإذا ضعف عن إثبات ما ذهب إليه يتشبث بالكذب و التروير، و يطرق باب الشتائم و البهتان على خصمه، و قد ييسط يده إلى السلاح، فإن جميع الحروب الدينيه الواقعه فى التاريخ البشرى إنما نجمت عن التعصب، فإن تلك الحروب: إما أنها وقعت بين متعصب و متعصب، و إما بين متعصب و متدين، بهجوم الأول على الثانى، و دفاع الثانى عن نفسه و عن مذهبه. فالتعصب أحد أسباب الحروب فى العالم.

تطهير الأعراق

ونقصد من تطهير الأعراق: تزكيه النفس، و تهذيب الذات من الرذائل، و تحليلها [صفحه ١٥٧] بالمثل الأخلاقيه و القيم الروحيه. إن صفه «البشرية» طبيعه مزدوجه من نقص و كمال. و نقصد من النقص: جانب حيوانيته، و من الكمال: قابليته لأن يصير إنسانا.

فالبشريه و جهان: وجه إلى القمه، و وجه إلى الحضيض. و بذلك كان لها الفضل على كافة أنواع الحيوان التي لا وجه لها إلى القمه. فالبشر فوق الحيوان و دون الانسان. و من ميزات الحيوان: السعى إلى ما يشتهي، و بذل الجهد في الوصول إلى هذه الغايه، و لا يقدر على خلاف ذلك. و من ميزات البشر: القدره على التخلي عما يشتهي، فإنه قادر على مكافحه نفسه، و ليس الحيوان بقادر على هذا الكفاح. إنه أضعف من ذلك و دون هذه المرتبه. و البشريه التي تسعى وراء ما تشتهي و في سبيل تحقيق هواها فإنها هي حيوان مستقيم القامه في صورته الانسان، و الانسان الذي استطاع أن يكافح هواه و يجاهد نفسه فإنما هو إنسان في صورته بشر، إذ الانسان أشرف من أن يكون له صورته جسمانيه، و الوجه الحضيضى للانسان هو شهوته و غضبه، و حياه الحيوان تقوم بها، و الوجه العلوى للانسان هو عقله و نبه، و حياه البشر تكون بهما، فإذا سعى الانسان إلى جهه الحضيض و ذهب وراء شهوته و غضبه و استخدم عقله للوصول إلى مآربه الشهويه أو الغضبيه فقد تنزل عن مرتبه البشريه إلى الحيوانيه، و هذا هو التراجع الواقعى. و إذا تسلق و سعى إلى جهه القمه فقد تعالى عن البشريه إلى الانسانيه، و يصير أشرف و أفضل من الملائكه. إنه مجاهد، و ليست الملائكه من المجاهدين. إن بعثه الرسل عامه، و رساله محمد صلى الله عليه و آله خاصه، ما هي إلا تقويه و مساعدته للبشريه لتصعد إلى الانسانيه؛ لأن العقل و النبيل البشريين و حدهما يعجزان عن مباراه شهوه الانسان و غضبه من دون مساعد و معاون. و نواه

الانسانيه مزروعه في أرض البشريه، و هي تطلب النمو، و نموها ليس إلا بالتحلى بمكارم الأخلاق، و ذلك هو التوجيه الخلقى و تزكيه النفوس. قال محمد صلى الله عليه و آله: «بعث لاتمم مكارم الأخلاق» [٢٣٣] و تتميم مكارم الأخلاق هو تزكيه [صفحه ١٥٨] الذات، و خلق الانسان من البشر، و إنبات الانسانيه في الأرض البشريه. و تجدر الاشاره إلى بعض إرشادات محمد صلى الله عليه و آله إلى المكارم و القيم: قال صلى الله عليه و آله: «عليكم بمكارم الأخلاق فإن الله عزوجل بعثني بها، و إن من مكارم الأخلاق أن يعفو الرجل عن من ظلمه، و يعطى من حرمه، و يصل من قطعه و أن يعود من لا يعود» [٢٣٤]. و قال صلى الله عليه و آله: «أقربكم غدا معى الموقوف أصدقكم للحديث و آداكم للأمانه، و أوفاكم بالعهد، و أحسنكم خلقا، و أقربكم من الناس» [٢٣٥]. و قال صلى الله عليه و آله: «ألا اخبركم بأشبهكم بى أخلاقا؟» قالوا: بلى يا رسول الله، فقال: «أحسنكم أخلاقا، و أعظمكم حلما، و أبركم بقرابته، و أشدكم إنصافا من نفسه فى الغضب و الرضا» [٢٣٦]. و قال صلى الله عليه و آله: «الاسلام عريان، لباسه التقوى، و شعاره الهدى، و دثاره الحياء. و ملاكه الوروع، و كماله الدين، و ثمرته العمل الصالح، و لكل شىء أساس و أساس الاسلام حينا أهل البيت» [٢٣٧]. و قال صلى الله عليه و آله: «من يضمن لى أربعاً بأربع أبيات فى الجنة: أنفق و لا تخف فقرا، و أنصف للناس من نفسك، و أفش السلام فى العالم، و اترك المرء و إن كنت محقا» [٢٣٨]. و قال صلى الله عليه و آله:

«طوبى لمن طاب خلقه، و طهرت سجيته، و صلحت سريره، و حسنت علانيته، و أنفق الفضل من ماله، و أمسك الفضل من كلامه، و أنصف الناس [صفحة ١٥٩] من نفسه» [٢٣٩]. و قال صلى الله عليه و آله: «سر سنه صل رحمك، سر سنتين بر والديك، سر ميلا عد مريضا، سر ثلاثه أميال أغث ملهوفاً، و عليك بالاستغفار فإنه المنجاه» [٢٤٠]. و قال صلى الله عليه و آله: «السابقون إلى ظل العرش طوبى لهم، قيل: يا رسول الله، و من هم؟ قال صلى الله عليه و آله: الذين يقبلون الحق إذا سمعوه، و يبذلونه إذا سألوه، و يحكمون للناس كحكمهم لأنفسهم، هم السابقون إلى ظل العرش» [٢٤١]. و قال صلى الله عليه و آله: «سيد الأعمال ثلاثه: إنصاف الناس من نفسك، و مواساه الأخ في الله، و ذكر الله على كل حال» [٢٤٢]. و قال صلى الله عليه و آله: «استتمام المعروف أفضل من ابتدائه». [٢٤٣]. و قال صلى الله عليه و آله: «من أتى إليكم معروفا فكافوه، فإن لم تجدوا فاثنوا، فإن الثناء جزاء» [٢٤٤]. و قال صلى الله عليه و آله «إياك و الكذب، فإن الكذب يسود الوجه، ثم يكتب عند الله كذاباً، و إن الصدق يبيض الوجه و يكتب عند الله صادقا، و اعلم أن الصدق مبارك و الكذب مشؤوم» [٢٤٥]. و قال صلى الله عليه و آله: «لا تنظروا إلى كثرة صلاتهم و صومهم و كثرة الحج و طنطنتهم بالليل، [صفحة ١٦٠] و لكن انظروا إلى صدق الحديث و أداء الأمانه» [٢٤٦]. و قال صلى الله عليه و آله: «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه» [٢٤٧]. و قال صلى الله

عليه وآله: «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم» [٢٤٨]. وفسره الامام على بن أبي طالب عليه السلام - وهو أقرب الناس إليه - بقوله: «سعوهم بطلاقه الوجه و حسن اللقاء». [٢٤٩]. وواعد صلى الله عليه وآله رجلا إلى صخره فقال: «أنا هاهنا حتى تأتي، فاشتدت عليه الشمس، فقال أصحابه: يا رسول الله، لو أنك تحولت إلى الظل؟ قال صلى الله عليه وآله: «قد وعدته إلى هاهنا...» [٢٥٠]. وقال صلى الله عليه وآله «إن أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم أخلاقا» [٢٥١]. وسئل الامام الصادق عليه السلام عن تفسير حسن الخلق؟ فقال: «تلين بجانبك، و تطيب كلامك، و تلقى أخا لك ببشر حسن». [٢٥٢]. و أقبل محمد صلى الله عليه وآله يوما إلى الجعرانه، فقسم فيها الأموال، و جعل الناس يسألونه حتى ألجأوه إلى شجره، فأخذت برده و خدشت ظهره، حتى جلوه عنها و هم يسألونه! فقال صلى الله عليه وآله: «أيها الناس، لو كان عندي عدد شجر تهامه نعمما لقسمته بينكم، ثم ما ألفتيموني جبانا و لا بخيلا» [٢٥٣]. و من توجيهاته صلى الله عليه وآله في الزجر عن الزدائل: [صفحة ١٦١] «أنا أديب الله، و على أديبي، أمرني ربي بالسخاء و البر، و نهاني عن البخل و الجفاء، و ما من شيء أبغض إلى الله - عزوجل - من البخل و سوء الخلق، و إنه ليفسد العمل كما يفسد الطين العسل» [٢٥٤]. و قال صلى الله عليه وآله: «ألا إن شرار امتي الذين يكرمون مخافه شرهم، ألا و من أكرمه الناس اتقاء شره فليس مني» [٢٥٥]. و قال صلى الله عليه وآله:

«شر الناس المثلث»، قيل، يا رسول الله، و ما المثلث؟ قال: الذى يسعى بأخيه إلى السلطان: فيهلك نفسه، و يهلك أخاه، و يهلك السلطان». [٢٥٦]. «و أتاه رحل فقال: يا رسول الله، أنا فلان بن فلان حتى عد تسعه! فقال صلى الله عليه و آله: «أما إنك عاشرهم فى النار» [٢٥٧]. و كانت له ناقة لا تسبق، فسابق أعرابى بناقته فسبقتها، فاكتأب لذلك المسلمون! فقال صلى الله عليه و آله «إنها ترفعت، فحق على الله أن لا يرتفع شىء إلا وضعه الله» [٢٥٨]. و قال صلى الله عليه و آله يوم احد: «من يأخذ هذا السيف بحقه؟» فقال عمر: أنا، فأعرض عنه، فقام الزبير فأعرض عنه، فقال أبودجانه: أنا يا رسول الله آخذه بحقه، فدفعه إليه، و لما أعطاه السيف مشى بين الصفيين و اختال فى مشيه! فقال صلى الله عليه و آله: «إن هذه المشيه يبغضها الله تعالى إلا فى مثل هذا الموطن» [٢٥٩]. و قال صلى الله عليه و آله: «إياكم و استشعار الطمع فإنه يشوب القلب لشده الحرص، و يختم [صفحة ١٦٢] على القلب بطابع حب الدنيا، و هو مفتاح كل معصيه، و رأس كل خطيئه، و سبب أحباط كل حسنه» [٢٦٠]. و لما صحب المغيره بن شعبه قوما فى الجاهليه و قتلهم و أخذ أموالهم جاء إليه و أسلم، فقال النبى صلى الله عليه و آله: أما الاسلام فقد قبلنا. و أما المال فإنه مال غدر لا- حاجه لنا فيه» [٢٦١]. و قال صلى الله عليه و آله: «من ساء خلقه عذب نفسه» [٢٦٢]. و اخير بوفاه سعد بن معاذ، و هو سيد الأوس، و من كبار صحابته المجاهدين. فقام

صلى الله عليه وآله و أمر بغلسه، فلما حنط و كفن و حمل سريره تبعه النبي صلى الله عليه وآله، و كان يأخذ يمينه السرير مره و يسره السرير مره، حتى انتهى به إلى القبر، فنزل في قبره حتى لحده، و سوى عليه اللبن، و جعل يقول: ناولني ترابا رطبا يسد به من ما بين اللبن، فلما فرغ و حثا عليه التراب و سوى قبره قال صلى الله عليه وآله: «إني لأعلم أنه سيلى و يصل إليه البلى، و لكن الله يحب عبدا إذا عمل عملا أن يحكمه، فلما أن سوى التربه عليه قالت ام سعد من جانب: هنيئا لك الجنة يا سعد! فقال النبي صلى الله عليه وآله: «يا ام سعد، لا تجرى على ربك فإن سعدا قد أصابته ضمه! فقال الناس: يا رسول الله، صنعت مع سعد ما لم تصنعه على أحد ثم قلت: قد أصابته ضمه؟! قال صلى الله عليه وآله: «نعم، كان في خلقه مع أهله سوء!» [٢٦٣]. أقول: كل واحد من هذه الارشادات و التوجيهات يجدر بالتفسير و الشرح، و لكننا أعرضنا عنه خوف الاطاله. و أما تطهير الأفعال فهو العمل بالشرع المبين للواجب و الحرام، و إن «حلال محمد صلى الله عليه وآله حلال إلى يوم القيامة و حرامه حرام إلى [صفحه ١٦٣] يوم القيامة» [٢٦٤].

الكتاب و الحكمة

قد فسر الكتاب بالقرآن، كما فسرت الحكمة بالسنة، و النفس لا ترتضى بهذا التفسير، لاستلزامه التكرار، و المقام لا يقتضيه، فقد اشير إليه قبل ذلك بقوله تعالى (يتلوا عليهم آياته...) و تفسير الحكمة بالسنة يحتاج إلى شاهد، و هو مفقود. و لعل تفسير الكتاب بالأحكام الثابته

الاسلاميه تلك التي لا تتغير و لا تتبدل أولى و أقرب. و يشهد لذلك: قوله تعالى: (إن الصلوه كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) [٢٦٥]. و قوله تعالى: (و كتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس و العين بالعين...) [٢٦٦] و قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى...). [٢٦٧]. و قوله تعالى: (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم...) [٢٦٨]. قال تعالى: (و لقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله و من يشكر فإنما يشكر لنفسه و من كفر فإن الله غنى حميد) [٢٦٩]. تفيد الآية الكريمة: أن الشكر لله من أفراد الحكمة، و إليك بعض ما وصف في القرآن بالحكمه في سوره الاسراء: (و لا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك و لا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر إنه كان بعباده خبيرا [صفحه ١٦٤ بصيرا - و لا- تقتلوا أولادكم خشيه إملاق نحن نرزقهم و إياكم إن قتلهم كان خطأ كبيرا - و لا تقربوا الزنى إنه كان فاحشه و ساء سيلا - و لا- تقتلوا النفس التي حرم الله إلا- بالحق و من قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا - و لا- تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده و أوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا - و أوفوا الكيل إذا كلتم و زنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير و أحسن تأويلا - و لا- تقف ما ليس لك به علم إن السمع و البصر و الفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا - و لا تمش في الأرض مرحا

إنك لن تخرق الأرض و لن تبلغ الجبال طولا- - كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها - ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة و لا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا) [٢٧٠]. هذه هي الحكم العشر، و قد وصفها القرآن بالحكمه. و الحكمه هي معرفه الحسنات و السيئات الفرديه و الاجتماعيه، و ما يضر البشر و ينفعهم فردا و مجتمعا. و تعليم الحكمه هو الارشاد إليها. و الحكمه هي قاعده أساسيه لبناء حياه سعيده للبشر. و تعلم الحكمه يزيد في عقل البشر و في معرفتهم، و يقرب لهم النجاح و الفوز، و ذلك أحد الأهداف لرساله محمد صلى الله عليه و آله. إن محمدا صلى الله عليه و آله في تعاليمه لم يكتف في العقائد بالتوجيه الخلقى و حسب، بل قدم نظاما عاماغ للحياه يشمل صلاه الفرد بالآخرين و بالدوله، كما يشمل تنظيمات إداريه دوليه، و تشريعات قضائيه فضلا عن الأحوال الشخصيه. فهذه هي الخطوه الرابعه من خطا محمد صلى الله عليه و آله، تلك التي بعثه الله من أجل القيام بها، فكانت الخطوه الاولى هي تعليم العقائد، و يشير إليها قوله تعالى: (يتلوا عليهم آياته...) و كانت الخطوه الثانيه هي التوجيه الخلقى، و يشير إليها قوله تعالى: (و يزيكهم...). و كانت الخطوه الثالثه هي إزاله قانون الغاب عن المجتمع البشرى، و السعى في إقامه العدل الاجتماعى، و قيام الناس بالقسط، و يشير لها قوله تعالى: (يعلمهم الكتاب...). [صفحه ١٦٥] و ما أجدد الاشاره إلى بعض الحكم الصادره عن محمد صلى الله عليه و آله تعليما للبشر: قال محمد صلى الله عليه و آله: «إذا كان امرؤكم خياركم، و

أغنياؤكم سمحاءكم، و أمركم شورى بينكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها. و إذا كان امراؤكم شراركم، و أغنياؤكم بخلاءكم، و امورككم إلى نساءكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها» [٢٧١] و ذلك إرشاد إلى السعى فى تشكيل حكم الأفاضل. و قال صلى الله عليه و آله: «من أقر بالذل طائعا فليس منا أهل البيت» [٢٧٢]. و قال صلى الله عليه و آله: «إذا ساد القوم فاسقهم، و كان زعيم القوم أذلهم، و أكرم الرجل الفاسق فلينتظر البلاء» [٢٧٣]. و قال صلى الله عليه و آله: «لن يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأه» [٢٧٤]. و قال صلى الله عليه و آله: «من لم يهتم بأمر المؤمنين فليس منهم» [٢٧٥]. و قال صلى الله عليه و آله: «ليس الشديد بالصرعه، إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الضغب» [٢٧٦]. و قال صلى الله عليه و آله: «من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح» [٢٧٧]. و قال صلى الله عليه و آله: «قيدوا العلم بالكتاب». [٢٧٨]. و قال صلى الله عليه و آله: «إذا تطيرات فامض، و إذا ظننت فلا تقض، و إذا حسدت [صفحة ١٦٦] فلا تبغ». [٢٧٩]. و قال صلى الله عليه و آله: «العلم خليل المؤمن، و الحلم و زيره، و العقل دليله، و العمل قائده، و الرفق والده، و البر أخوه، و الصبر أمير جنوده» [٢٨٠]. و قال صلى الله عليه و آله: «قال عيسى بن مريم ليحيى بن زكريا: إذا قيل فيك ما فيك فاعلم أنه ذنب تركته فاستغفر الله منه، و إن قيل فيك ما ليس فيك فاعلم أنه حسنه لك لم تتعب فيها» [٢٨١]. و قال صلى

الله عليه وآله: «للمرائي ثلاث علامات: ينشط إذا كان عند الناس، و يكسل إذا كان وحده، و يحب أن يحمد في جميع الامور» [٢٨٢]. و قال صلى الله عليه وآله: «قله طلب الحوائج من الناس هو الغنى الحاضر، و كثره الحوائج إلى الناس مذله، و هو الفقر الحاضر» [٢٨٣]. و قال صلى الله عليه وآله: «كلمه حكمه يسمعها المؤمن خير من عبادته سنه» [٢٨٤]. و قال صلى الله عليه وآله: «كلموا الناس بما يعرفون، و دعوا ما ينكرون، أتريدون أن يكذب الله و رسوله؟» [٢٨٥]. و قال صلى الله عليه وآله «إنا معاشر الأنبياء امرنا أن ننزل الناس منازلهم، و نكلم الناس قدر عقولهم» [٢٨٦]. و قال صلى الله عليه وآله: «ما أخلص عبد الله - عزوجل - أربعين صباحا إلا جرت ينابيع الحكمة [صفحه ١٦٧] من قلبه على لسانه» [٢٨٧]. و قال صلى الله عليه وآله: «العباده سبعون جزءا أفضلها جزءا طلب الحلال» [٢٨٨]. و اشتدت حال رجل من أصحابه، فقالت له امرأته: لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله و من أسألته، فجاء الرجل إلى النبي صلى الله عليه وآله، فلما رآه النبي قال صلى الله عليه وآله: «من سألتنا أعطينا، و من استغنى أغناه الله»، فقال الرجل: ما يعنى غيرى، فرجع إلى امرأته فأعلمها، فقالت: إن رسول الله بشر فأعلمه، فأتاه الرجل، فلما رآه رسول الله قال صلى الله عليه وآله: «من سألتنا أعطينا و من استغنى أغناه الله، حتى فرجعل الرجل ذلك ثلاثا، ثم ذهب الرجل فاستعار معولا، و أتى الجبل، فصعد فقطع حطبا، و جاء به فباعه بنصف من

دقيق، فرجع به و أكله، ثم ذهب من الغد، فجاء بأكثر من ذلك فباعه، و لم يزل يعمل و يجمع حتى اشترى معمولاً ثم جمع حتى اشترى بكرين، ثم أثرى حتى أيسر، فجاء إلى النبي صلى الله عليه و آله فأعلمه كيف جاء يسأله و كيف سمع النبي، فقال النبي صلى الله عليه و آله قلت لك: «من سألنا أعطينا، و من استغنى أغناه الله» [٢٨٩]. و دخل صلى الله عليه و آله المسجد ذات يوم فإذا بجماعه قد طافوا برجل، فقال صلى الله عليه و آله: ما هذا؟ قالوا: العلامة، قال صلى الله عليه و سلم: و ما العلامة؟ قالوا: أعلم بأنساب العرب و وقائعها، و أيام الجاهليه، و بالأشعار العربيه، فقال النبي صلى الله عليه و آله: «ذاك علم لا يضر من جهله، و لا- ينفع من علمه». [٢٩٠]. [صفحة ١٦٨] ثم إن قوله تعالى: (و يعلمكم الكتاب و الحكمة و يعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) [٢٩١] يفيد أن محمدا صلى الله عليه و آله نصبه ربه معلما للبشرية أيضا، يعلمها بأقواله و بأفعاله، فأصبحت سنته السنيه شرعا، و قوله و فعله اسوه للناس. و يفترق التعليم عن تلاوه الآيات: بأن النبي صلى الله عليه و آله عند التعليم مختار فى انتخاب الألفاظ التى يستعملها، و لكن لا خيار له فى انتخابها عند تلاوه الآيات؛ لان ألفاظها صادرة من قبل الله تعالى.

و يعلمكم ما لم تكونوا تعلمون

و المقصود من العلم الذى لا يعرفه البشر - والله العالم - هو العلم الذى لا يتمكن البشر من الوصول إليه بحسب طبيعتهم البشريه، و هو الذى يضرهم جهله، و ينفعهم علمه، مثل معرفه الله حق المعرفه بقدر الطاقه البشريه،

و معرفه صفاته الجلاليه و الجماليه، و معرفه ملائكته و أنبيائه، و معرفه إبليس و جنوده، و معرفه الجنه و نعيمها، و النار و جحيمها، و القبر و القيامة، و الحشر و النشر، و الصراط و الميزان، و ثواب الأعمال و عقبال الأعمال، مما تعلمه البشر عن طريق الأنبياء.... و هذه هي الخطوه الخامسة من خطا محمد صلى الله عليه و آله، تلك التي أرسله الله لأجلها، و هي القواعد الخمسه لبناء صرح الانسانيه فى العالم.

و إن كانوا من قبل لفي ضلال مبين

كانت البشريه قبل ظهور محمد صلى الله عليه و آله فى ضلال، و أى ضلال؟! و قلما كان يومئذ من يهتدى للحق و يمشى على صراط مستقيم. فقد اعتنق المسيحيه قليل من الناس، و كثير منهم خرجوا عن المسيحيه البيضاء بأسباب البدع التي حدثت فى ذلك الدين القيم؛ و ذلك حين كثر أرباب البدع بعد عيسى عليه السلام. [صفحه ١٦٩] و أخرجوا كثيرا من قومه من الرشاد إلى الضلال، و من النور إلى الظلمات، و أدخلوا فى تلك الشريعه مبادئ باطله، و عقائد فاسده، كما ينبى بذلك كتاب الله الكريم: (لقد كفر الذين إن الله هو المسيح ابن مريم...) [٢٩٢]. (و قالت اليهود عزيز ابن الله و قالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون - اتخذوا أحبارهم و رهبانهم أربابا من دون الله و المسيح ابن مريم...) [٢٩٣]. (يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم و لا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله و كلمته ألقاها إلى مريم و روح منه فآمنوا بالله و رسله و لا تقولوا ثلاثه...) [٢٩٤]. اغنتم المبتدعون

فرصه بحدوث فتره فى بعثه الأنبياء، فأتوا بما أتوا، و أدخلوا فى الدين ما رأوا، و لم يبق مما أتى به المسيح سوى الاسم. يحدثنا أمير المؤمنين عليه السلام عن ذلك الزمان بقوله: «أرسله على حين فتره من الرسل، و طول هجعه من الامم، و اعتزام من الفتن، و انتشار من الامور و تلظ من الحروب، و الدنيا كاسفه النور، ظاهره الغرور، على حين اصفرار من ورقها، و إياس من ثمرها، و إغوار من مائها. قد درست منار الهدى، و ظهرت أعلام الردى، فهى متجهمه لأهلها، عابسه فى وجه طالبها، ثمرها الفتنه، و طعامها الجيفه، و شعاعها الخوف، و دشارها السيف» [٢٩٥] هذه قصه حياه البشر عامه يومئذ. و أما حياه العرب خاصه فكانت أشقى حياه و أتعس عيش، تهيم فى الضلال، و تسير إلى البوار، تعبد الأصنام و ترجو الخير من الأوثان، غلبت عليهم الجاهليه الجهلاء، و خيمت عليهم الهمجيه السوداء، فكانت الامه العربيه تشرف على الهلاك، [صفحه ١٧٠] لولا- أن أنقذها الله برسوله المكرم صلى الله عليه و آله. و بذلك حدثت ابنته فاطمه سيده نساء العالمين عليه السلام فى خطبتها التى ألقته على المهاجرين و الأنصار فى مسجد أبيها بعد وفاته، فقالت: «كنتم على شفا حفرة من النار، مذقه الشارب، و نهزه الطامع، و قبسه العجلان، و موطى الأقدام، تشربون الطرق، و تققتون الورق، أذله خاسئين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم فأنقذكم الله تبارك و تعالى بمحمد صلى الله عليه و سلم بعد اللتيا و التى، و بعد أن منى بهم الرجال، و ذؤبان العرب، و مرده أهل الكتاب...» [٢٩٦]. كان محمد صلى الله عليه و آله: رايه الهدى، و ظهوره كان احتجاج الانسانيه على الحيوانيه السائده فى

المجتمع البشرى، وقد عبر عنه القرآن بالضلال المبين. إن ظهور محمد صلى الله عليه وآله خير للعالم كله، و سعادته للبشرية بأجمعها، فلا يختص بمن آمن به أو بالعرب و إنه لخطوه تقدميه للبشرية إلى الأمام، و نهوض منها إلى العلوم و المعارف، و سلوك إلى طريق الهداية. قد دعا محمد صلى الله عليه وآله إلى العلم و العدل، و إلى تفضيل العلماء على غيرهم، و لم يعرف البشر منذ أقلتهم الأرض داعيه يدعو إلى العلم و العدل قبل محمد صلى الله عليه وآله، و إنه فاز فى دعوته، و قد حصل بفضلته منزله عليا للعلماء فى الجامعه البشريه ليس لها نظير، و بدأ بفضلته أناس يسعون فى طلب العلم منذ عصره إلى زماننا و إلى العصور المتأخره عن عصرنا، و ذلك بفضل دعوه محمد صلى الله عليه وآله إلى العلم، فالعلماء الذين ظهوروا بفضل محمد صلى الله عليه وآله لم يكن لهم نظراء قبله، كما نرى ظهور اناس على المسرح البشرى ينادون بالعدل، و جعل قسم منهم ذلك و سيله إلى الجلوس على أريكه الحكم. فرساله محمد صلى الله عليه وآله كانت منقذه للبشرية كافه، اذ هى عالميه. [صفحه ١٧١]

معجزه خالده

اشاره

(و أن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسوره من مثله و ادعوا شهداء كم من دون الله إن كنتم صادقين) [٢٩٧]. (قل لئن اجتمعت الانس و الجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا) [٢٩٨]. إن المخاطب فى قوله تعالى: (و إن كنتم) هو كل من يصلح للمخاطبه، و هو كل من يعقل و يفهم، فيكون متحدا فى الافاده

مع قوله تعالى: (قل لئن اجتمعت الانس و الجن)، و كل واحده من الآيتين الكريمتين قد بلغت في التحدى منتهاه.

الاعجاز

النبي: إما أن يكون نبيا لنفسه كما تبين أن محمدا صلى الله عليه و آله كان نبيا لنفسه قبل بعثته، و لا حاجة لمثله إلى المعجزه. و إما أن يكون نبيا لنفسه و لغيره، و هو الرسول. فالرسول سفير ممثل من جانب الله إلى خلقه، و من الواجب على كل سفير أن يكون معه شاهد [صفحة ١٧٢] صدق لسفارته لكي تكون سفارته موثوقه، و حتى لا يتيسر لكل أحد دعوى السفاره، و أن شاهد الصدق هو ورق الاعتماد الموقع بتوقيع من جاء السفير من قبله. إذن يجب أن تكون أوراق الاعتماد للأنبياء المرسلين موقعه بتوقيع الله تعالى. و التوقيع الالهى إعطاء الله رسوله قدره على فعل يعجز عنه البشر، و قد يصدر ذلك الفعل منه تعالى بشكل مباشر. و تلك الوثيقه التى تكون مع سفراء الله إلى الخلق تسمى بالآيه على حد التعبير القرآنى، كما تسمى بالبينه، و تسمى فى لسان المسلمين بالمعجزه، إذ لا يستطيع أحد من الناس أو جميعهم الاتيان بمثلها، فإذا كان البشر قادرين على الاتيان بمثلها لم تكن معجزه، و لم تكن شاهد صدق لدعى النبي، بل تكون اختراعا بشريا، و المخترع ليس بنبي و لا برسول من الله تعالى. إن البشر كافه - أفرادا و مجتمعات - لا بد و أن يعجزوا عن الاتيان بمثل المعجزه، حتى و إن وصل الرقى البشرى إلى حد يبنى ناطحات السحاب فى كوكب المريخ. إن البشر يعجزون عن مثل جعل النار بردا و سلاما على إبراهيم عليه السلام فى آن واحد، أو عن مثل عصا موسى عليه السلام، أو عن

إحياء الموتى الذى كان بيد عيسى عليه السلام.و إذا افترض استطاعه البشر لذلك بطاقه ذريه أو بما هو أقوى منها أن يطفى نارا ملأت أرضا واسعه فهذا حدث طبيعى، و أين ذلك من صيروره النار بردا بلا وسيله طبيعیه؟و يصعب على العقل البشرى أن يصدق أن عصا خشبيه تتحول حيه تسعى بمجرد أن تلقى على الأرض، فضلا عن استطاعه شخص أن يأتي بمثلها.و إذا افترض بلوغ رقى الطلب إلى حد إحياء الموتى فذلك حدث طبيعى، إذ يكون ذلك بمساعده الأدوية و العقاقير، و كم من البون الشاسع بين ذلك و بين توجيه الأمر بالقيام إلى ميت فيحيا و يقوم؟و مما يلفت النظر: أن كثيرا من معجزات الأنبياء كانت على خلاف شرائع الطبيعه و سننها، فإننا نجد مع ذلك أنها قد تكون على طبيعتها و جاريه على سننها، و لكن مع ذلك لا يقدر البشر على الاتيان بمثلها، و هذه أعظم المعجزات بلاشك، و هى القرآن دون سواه. [صفحه ١٧٣] إن القرآن منسجم مع سنن الطبيعه، و مع ذلك فإن البشر يعجزون عن الاتيان بمثله. إنه مؤلف من الألفاظ والكلمات و الحروف، و هذا أسهل شىء فى تناول البشر.ثم إن أساطين الفن قالوا: إن شرط المعجزه هو التحدى، و يقصدون من التحدى، أن يصرح النبى بمطالبته بمثلها، و لكننا نقول: إن هذا التصريح غير لازم، فإن إتيان رسول بمعجزه تشهد برسالته هو تحد واقعى و لو لم يطالب النبى بالاتيان بمثلها من الآخرين. كما لم ينقل التحدى عن موسى عليه السلام و عن عيسى عليه السلام، و لكن القرآن أصر بالتحدى غير مره؛ و لعله لأجل أن القرآن لما كان مطابقا لسنن الكون فقد تخيل مكان الاتيان بمقله،

فأعلن بالتحدي إعلاما يبطلان هذا الخيال الفاسد، و كل واحده من الآيتين اللتين صدرنا بهما البحث تشتمل على نوع من التحدي مغاير للآخر.

معجزات محمد

و هل كان لمحمد صلى الله عليه و آله معجزه واحده، أو كان له معجزات شتى؟ قال العلامة ابن شهر آشوب: (كان للنبي صلى الله عليه و آله من المعجزات ما لم يكن لغيره من الأنبياء، ثم ذكر: أن له أربعة آلاف و أربعمائه و أربعين معجزه، ذكرت منها ثلاثه آلاف، و تنوع تلك المعجزات إلى أربعة أنواع: ما كان قبله، و بعد ميلاده، و بعد بعثته، و بعد وفاته) [٢٩٩]. و نحن نضيف إليها نوعا خامسا: و هو ما حدث في ساعه ميلاده. و لكن لى فيما ذكر من العدد المذكور تأمل، و من أراد الاطلاع على ما حفظ من معجزاته و دون فعليه بكتابين: مدينه المعاجز للسيد البحرانى، و المجلد السادس من بحار الأنوار للمجلسى، فإنهما أجمع ما عرفت مما كتب فى إحصاء عدد معجزات رسول الله صلى الله عليه و آله، و نحن نكتفى بالبحث حول إعجاز القرآن، فإن الله هو الذى تحداهم، سألهم أن يأتوا بمثله، و جعله الله آيه صدق لرساله رسوله فيما يبلغه عنه. [صفحه ١٧٤]

اعجاز القرآن

و فى القرآن وجوده كثيره من الاعجاز، و البحث عنها يطو و تختلف وجوهه، و قد أفردوا فى ذل كتباً و أسفاراً. إن القرآن ليس بمعجزه واحده، و إنما هو معجزات و آيات. و كفى بإحداها لتكون شاهد صدق لدعوه النبي الكريم صلى الله عليه و آله، و أن محمدا صلى الله عليه و آله مبعوث من الله العزيز الحكيم. منها: أن القرآن جاء موافقا لسنن الكون و شرائع الطبائع، و لم تخرق به ميزه من ميزاتها، و لم تنقص به سنه من سننها. إن القرآن ليس بنار تحرق، و لا بنور يضىء، و

لا بشجره تنطق، ولا بحجاره تمشى، تلك هي ميزه القرآن عن معجزات سائر الأنبياء، و عن بقيه معجزات محمد صلى الله عليه و آله. و القرآن ظاهره كونه نزل لقوانين الطبيعه و سننها. إنه تركيب كلام من الأحرف لا غير، و مع لذلك فقد عجزت البشريه عن أن تأتي بمثله. فما أعظم هذا القرآن! و ما أروع هذه الآيه! و منها: أن القرآن معجزه خالده تبقى و لا تفنى، و الخلود ميزه اخرى للقرآن. إن معاجز الأنبياء لم تكن باقيه لترى و تشاهد في غير زمان حدوثها، و القرآن خالد باق، و إعجازه خالد باق كذلك، تشاهده جميع الأجيال القادمه، كما شاهده من كان حاضرا في عصر نزوله. و إن الأجيال القادمه تعجز عن صنع مثله، كما عجز الجيل المعاصر لنزوله عن الاتيان بمثله، و الجيل القادم غنى عن سماع إعجاز القرآن عن سبقه، بل هو يلتمسه بنفسه، و لكن معجزات سائر الأنبياء لم تكن كذلك، لم يحضرها الجيل القادم، بل اكتفى بالسماع عن حضرها. و منها: أن القرآن لا يحدد بمكان، إنه لجميع الأمكنه، يشاهده و يلمس إعجازه من لم يكن حاضرا في موضع نزوله. فالغائب عنه و الحاضر على حد سواء، و ليس للحاضر ميزه على الغائب فيه و لو احتاج إلى أن يحدثه عنه. إن الغائب يرى بعينه ما يقصد الحاضر أن يوقظ به اذنه، و القرآن حاضر دائما لا يغيب عن أحد. [صفحه ١٧٥] و معجزات بقيه الأنبياء محدده بمكان خاص، قد شاهده اناس معدودون، و حدثوا بها الآخرين، إذ لم تشاهد في غير محل وقوعها. و معجزه محمد صلى الله عليه و آله موجوده في كل صقع ماثله أمام كل واحد، فهو رسو

الله للناس كافه فى أى زمان و فى أى مكان، و ما ذلك إلا لان غير الكلام من أفاعيل الانسان لا يصلح لأن يشاهد فى جميع الأزمنه و الأمنكه. و منها: أن القرآن حى و له روح و حياه، يرشد و يهدى و يوجه، فهو معجزه ناقه، و آيه تدعو إلى إنقاذ البشريه من الجهل إلى العلم، و من الضلال إلى الرشاد، و من الشقاء إلى السعاده (إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم)، [٣٠٠] يعطى الحياه، و يوقظ النائم و يشحنه بطاقه الوعى و التفكير. إنه معجزه إصلاحيه يكمل العقول و يزكى النفوس، معجزه حيه مدى القرون و الاعصار، ناطق فى جميع الأحقاب و الأزمان، حاضره لدى جميع الامم و الأجيال. قيل: إن رجلا من الانجليز ترجم القرآن بلغته، و لم يكمل ترجمته حتى آمن به، هداه القرآن إلى الحق و اعتنق الاسلام. و حياه القرآن حياه خالده، و حياه ناطقه، إنه حى فوق الأحياء، و ناطق فوق الناطقين، حى لا يموت، و ناطق لا يتعب. إنه داع و هاد، يمدح المؤمن، و يذم الفاسق، يدافع عن المظلوم، و يؤنب الظالم. حكى ابن الأثير فى تأريخه: أن الخليفه الاموى الوليد بن عبد الملك فتح المصحف فجاءت الآيه (و استفتحوا و خاب كل جبار عنيد)، [٣٠١] فألقى المصحف و رماه بالسهام، و قال: تهددنى بجبار عنيد فها أنذاك جبار عنيد اذا ما جئت ربك يوم حشر فقل: يا رب مزقنى الوليد [٣٠٢]. [صفحه ١٧٦] أما معجزات سائر الأنبياء فكانت أحداثا كونيه صامته خاليه من هذه الميزه، لم تنطق، و لم ترشد، و لم تهد و لم توجه و لم تنقذ و لم تكمل و لم تزك. قال «كربن» المستشرق

الشهير: لو لم يكن شق القمر، و لا- المعراج، و لا- الخلق العظيم، و لا- القرآن مع ما فيه من المثل لكفى بهذه الآيه (فبشر عباد - الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه...) [٣٠٣] أن أو من بمحمد و بكونه رسول الله تعالى. لقد جل القرآن عن المثل، إنه صدر عن لا مثل له، فهو كلام ليس له مثل قد صدر عن ليس كمثله شىء. و منها: أن القرآن قد صنع من عناصر هي أسهل شىء للبشر، و هي الحروف، و هل هناك شىء أسهل على البشر من صياغه الحروف؟ و لكن مع ذلك لم يستطع بشر أن يأتي بمثل القرآن. و من الواضح أن صياغه الحروف مما يتاح لكل أحد حتى الصغار و الأطفال، فكيف بالأقوياء و الكبار و الأدباء و العلماء و الكتاب، و لكنهم لم يستطيعوا مع ذلك أن يأتوا بمثله، و لن يستطيعوا أبدا. و منها: أن معرفه هذه الظاهره و اختيارها بين مثيلاتها من ظواهر اخرى، لتكون عنصر للاعجاز هو فى حد ذاته معجزه اخرى لشخص النبى محمد صلى الله عليه و آله، الرجل الامى الذى عاش فى عصر من أبرز مميزات الاميه، و من أدق خصائصه الجهل بكل ما لهذه الكلمه من معنى؛ و ذلك لأن معرفه هذه الميزه فى عنصر اللفظ يحتاج إلى رقى علمى، و بحث عميق، و فحص كامل فى الظواهر الكونيه، و لا- يمكن ذلك إلا للصفوه من أساتذه الجامعات و العلماء الكبار، الذنى نشأوا فى عصر إزدهار العلم، و ترعرعوا فى المعاهد الكبرى و الجوامع العليا. و إذ كان يستحيل معرفه هذه الظاهره و اختيارها على رجل امى نشأ من معهد [صفحه ١٧٧] الاميه فى عصر جاهلى فلا يكون ذلك

إلا بفضل من ربه الذي بعثه و أرسله. و منها: أن تكرار قراءة القرآن و إعاده النظر فيه بدون كلل أو ملل - و أن ذلك يأتي دائما بشىء جديد - فهو مثل المسك كلما كررته يتضوع. نعم، إن المواظب على قراءة القرآن يجده دائما جديدا غضا، كما أن المواظب على دراسته القرآن يستفيد منه - كلما أعاد النظر فيه - علما جديدا، أو فكريا جديدا لم يكن يعرفه. تلك هي ميزه القرآن عن جميع ما كتب و قرئ من محاسن الكتب، و تأثير الخطب و الشعر و الأدب. فعلم القرآن و معارفه لا تنتهي، و ذلك من ميزات القرآن، فلقد صدر من مبدأ لا متناه من جميع الجهات. و منها: ذلك الأثر الذي يبقى منه فى قلوب الناس و عقولهم و أذواقهم عند استماعه على تتابع القرون و اختلاف الأجيال. فمن يقرأ القرآن أو يستمع إليه يعرف ذلك، و من لا يقر بذلك يكذب على نفسه. نعم، إن من يقرأ القرآن يخشع له قلبه، و يرضى منه عقله، فإذا نفسه تعارضه فإنها لاماره بالسوء، إنه يناقض ضميره، و يعادى وجدانه، إنه يظهر الرفض و يضمير الاستجابة. ذكر فى السيره الحلبيه أن الوليد بن المغيرة - و كان المقدم فى قريش بلاغه و فصاحه، و كان يقال له: ريحانه قريش - جاء محمدا صلى الله عليه و آله و قال له: اقرأ على، فقرا: (إن الله يأمر بالعدل و الاحسان و إيتاء ذى القربى و ينهى عن الفحشاء و المنكر و البغى يعظكم لعلكم تذكرون). [٣٠٤]. قال له: أعده، فأعاد ذلك، قال: والله إن له لحلاوه، و إن عليه لطلاوه، و إن أعلاه لمثمر، و إن أسفله لمعذب، و ما

يقول هذه بشر: وإنه ليعلو ولا يعلى عليه. قال ذلك الوليد و لم يسلم، و بقى على الشرك حتى هلك. لقد اختلفت قلوب و ألسنه هؤلاء، قلوبهم تخشع، و ألسنتهم تنكر، و وجوههم تعرض، (و جحدوا بها و استيقنتها [صفحہ ۱۷۸] أنفسهم...) [۳۰۵]. و منها: براعه ألفاظه، و عذوبه كلماته، و الحبث عن ذلك يطول و يكثر و قصارى ما يقال هنا: إن القرآن كلام لم يسمع مثله قبل أن يتلوه النبي إنه ليس بعشر؛ إذ لم يجر فى الأوزان و القوافى و الخيال على ما جرى عليه الشعر، ثم هو لم يشارك الشعر الذى ألفه العرب فى قليل أو كثير من موضوعاته و معانيه. إنه لا- يصف الأطلال و الربوع، و لا- يصف لواعج الفراق و الحنين إلى الأ-حبه، و لا- يصف الابل فى أسفاها، و لا- يغرق فى ما كان الشعراء يغرقون فيه من تشبيهات للصحراء و البادية و الرياض و الأشجار و القنص و الصيد و السهم و القوس و السيف. لا يعرض لشيء من هذا كله. و ليس فيه غزل، و لا فخر و لا مدح و لا ذم، و لا هجاء و لا رثاء، و لا يصف الحرب و ما يكون فيها من الكر و الفر. ثم إن القرآن لا يسجع سجع الكهان فى ألفاظه، و لا يلقى ما يلقونه من المعانى، كما لا يشبه خطب الخطباء، و لا كتابات الكتاب، و لا قصائد الشعراء، بل القرآن أشبه شىء بالكلام بين الناس. إنه يتكلم معهم و يحدثهم بما ينفعهم و يضرهم و يرشدهم، و يقص عليهم أحسن القصص، و يهديهم سواء السبيل. القرآن جميل فى لفظه، جميل فى معناه، لا

يبالغ، ولا يغلو، ولا يعدو الحق، ويراعى طريق الصدق، يتبرأ عن الكذب، وذلك نقص في جمال الشعر والأدب، حتى قيل عن الشعر: أعذبه أكذبه، ولكن الصدق في الكلام، والقول بالحق، قد زاد في لفظ القرآن ومعناه جمالا فوق جمال، وبراؤه فوق براعه، وهل يقدر أحد على ذلك؟ ومن لطائف القرآن مكرراته. إن في كل منها نوعا من الجمال والبراعه، وإن تكراره للقصص - مع اختلاف في التعبير - من أجمل روائع الأدب، وأبرع ما أتت به العرب. ومن لطائفه: أن أحاديث القرآن لا تختص بفن من الفنون، ولا يقسم من أقسام [صفحة ١٧٩] المعاني والألفاظ. إنه يقرع كل باب ويبدع فيه، ويدخل في كل فن يوفيه حقه ولا يفقده الجمال والبراعه، وأنت لا تستطيع أن تجد ذلك الذي يجيد في كل فن ويأتي بالجمال في كل باب. والقرآن جميل عند بيان الأحكام، جميل عند حكاية القصص، جميل عند الحث على المكارم، جميل عند الزجر عن السماوى، جميل عند ذكر الجنة ودرجاتها، جميل عند ذكر النار ودرجاتها، جميل عند التخويف، جميل عند التعجيز، جميل عند تفضيل العلماء، وعند تكريم الأتقياء، وعند تعظيم المجاهدين. ومما جاء به القرآن ولم يسبقه إليه أحد، ولم يخرج به عن طور كلام العرب نظام الآيه والسوره؛ وذلك من عظم الاعجاز. إنه مشتمل على آيات وسور، فقد يذكر المعنى تاما في آيه واحده، وقد يسرده في آيات. وإن السوره في القرآن ليست هي كفصل من فصول كتاب يختص

بموضوع خاص، بل قد تكون كذلك. وقد يتكلم في سورة واحده عن مواضيع شتى و امور مختلفه، كما أن فيه سورا طوالا، و فيه سورا قصارا. و ذلك وجه من وجوه إعجاز القرآن، لا سبيل إلى الجدل و المراء فيه. فقد جادل فيه العرب من قبل و قصدوا معارضته في عصر نزوله فلم يفلحوا، و لم يبلغوا شيئا، و الحال أن أعداءه كانوا متهاكبين في عداثه و الاتيان بمثله. و لم يتقصر القرآن بالتحدي على عصر نزوله فحسب، بل نادى و طلب الاتيان بمثله في جميع القرون و الأعصار، و لم يكن العرب الذين عاصروه و شاهدوا نزوله عاجزين عن أن يأتوا بمثل قليل مما جاء به القرآن، بل كل من جاء بعدهم من أديب و بليغ، و من شاعر و كاتب من أعدائه من الزنادقه و الكفار قد عجز عن يأتي بمثله أيضا، و لسوف يعجزون و إلى الأبد. روى: أن ابن أبي العوجاء و أبا شاعر الديصاني و عبدالملك البصرى و ابن المقفع - و كلهم من الزنادقه - اجتمعوا عند بيت الله الحرام يستهزئون بالحاج و يطعنون بالقرآن! [صفحة ١٨٠] فقال ابن أبي العوجاء: تعالوا ننقض كل واحد منا ربع القرآن، و ميعادنا من قابل في هذا الموضوع نجتمع فيه و قد نقضنا القرآن كله، فإن في نقض القرآن إبطال نبوه محمد، و في إبطال نبوته إبطال الاسلام و إثبات ما نحن فيه، فاتفقوا على ذلك و افترقوا، فلما كان من قابل اجتمعوا عند بيت الله الحرام. فقال ابن أبي العوجاء: أما أنا فمفكر منذ افترقنا في هذه الآية (فلما استياسوا منه خلصوا نجيا...) [٣٠٦] فلم أقدر أن أضم إليها في فصاحتها و جميع

معانيها شيئاً، فشغلتنى هذه الآيه عن التفكير فى ما سواها. فقال عبدالمطلب: و أنا منذ فارقتكم مفكر فى هذه الآيه (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً و لو اجتمعوا له و إن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب و المطلوب). [٣٠٧] و لم أقدر على الاتيان بمثلها. فقال أبو شاكر: و أنا منذ فارقتكم مفكر فى هذه الآيه (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا). [٣٠٨] لم أقدر على الاتيان بمثلها. فقال ابن المقفع: يا قوم، إن هذا القرآن ليس من جنس كلام البشر، و أنا منذ فارقتكم مفكر فى هذه الآيه: (وقيل يا أرض ابلعي ماءك و يا سماء أقلعي و غيض الماء و قضى الأمر و استوت على الجودى و قيل بعد للقوم الظالمين). [٣٠٩] لم أبلغ غايه المعرفه بها، و لم أقدر على الاتيان بمثلها. فبينما هم فى ذلك إذ مر بهم الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، فقال: (قل لئن اجتمعت الانس و الجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله و لو كان بعضهم [صفحه ١٨١] لبعض ظهيرا) [٣١٠]. [٣١١]. ثم إنك تجد فى هذه الآيه أنباء قصارا أشد القصير، موجزه أروع الايجاز، قاطعه لا- معقب لها، بنى أكثرها لما لم يسم فاعله، و إن كلا منها لفى غايه الجمال و البراعه؛ لفخامه لفظها، و حسن نظمها، و توجيه الأمر إلى الأرض و السماء و هما من الجماد، فتكون أدل على قدره لا نهايه لها، و عظمه من يأمر لا حد لها، و الطوفان كان بأمر منه، فهى فى غايه الاعجاز و الايجاز. و إن اختلاف الألفاظ

فى هذه الآيه و حسن البيان فى تصوير الحال رائعه من الروائع الأدبيه. و روى: أن كفار قريش قصدوا أن يتعاطوا معارضه القرآن! فعكفوا على لباب البر، و لحوم الضأن، و سلاف الخمر أربعين يوما لتصفوا أذهانهم، فلما أخذوا فى ما أرادوا سمعوا هذه الكريمه المباركه، فقال بعضهم لبعض: هذا كلام لا يشبهه شىء من الكلام، ولا يشبه كلام المخلوقين! و تركوا ما أخذوا فيه و افترقوا... و إن الناظر إلى هذه الآيه يجد فيها فعلى أمر: وجه أحدهما إلى الأرض لتبلع ماءها، و لم تؤمر الأرض بالشرب، بل أمرت بالبلع حتى يغيض الماء فورا. و وجه ثانى الأمرين إلى السماء بأن تكف عن الصب بما يعنى أن ماء السماء لم ينفذ بسبب كثره نزوله، و إذا الماء يغيض، و إذا الأمر كله قد قضى، و إذا السفينه قد استقرت على الجودى، و إذا نداء ببعد للقوم الظالمين و إخبار عن هلا-كهم. و من البديهي أن أهل اللسان يدركون من لطائف لغتهم ما لا يدركه غيرهم ممن تعلم تلك اللغه: و منها: نظم القرآن و اسلوبه فى أداء المعانى، فلم يؤد مقصاده شعرا، و لم يؤدها [صفحه ١٨٢] نثرا، و إنما أداها على نسق مقصور عليه فى أسلوب خاص به لم يسبق إليه، و لم يلحق به. و لم يقيد القرآن بالقيود التى عرفها الكتاب و المؤلفون، و مع ذلك هو مطلوب فى نظمه مرغوب فى أسلوبه. و لو كانت الكتب الرئيسيه فى العلم و الأدب و الفلسفه على هذا المنوال، بحيث لم تبوت بالأبواب و لم تجعل لها فصول لضج قراؤها و أعرضوا عنها، و لرأوا ذلك عيبا فيها. و لكن هذا الذى يرونه عيبا فيها نراه قد زاد القرآن حسنا

رونقا. و للقرآن آيات مفصله لها طابعها الخاص في الاتصال و الانفصال، و في الطول و القصر، و فيما يظهر من الاختلاف و الائتلاف، قد فصلت آياته قصارا ملتثمه الفواصل، تقرؤها كأنك تنحدر من عال. و منها: أنه سهل ممتنع بسهولة ألفاظه و عذوبه تعبيراته، و بعدها عن الغرابه، و قد أتى بالايجاز عند اقتضاء المقام، و ما أكثر ذلك في القرآن. كما أنه أطنب و فصل عند اقتضاء المقام، حتى يزعم القارئ أن إتيان مثله يسير عليه مع أنه ممتنع و مستحيل: و منها: قوله تعالى: (و لكم في القصص حيوه [٣١٢] و قد فضلت هذه الجملة على أوجز ما كان عند العرب في هذا المعنى، و هو قولهم: «التقلذ أنفى للقتل...» في كثير من الميزات و الخصائص. و إن من له أدنى معرفه بالادب يعرف مدى فضل التعبير القرآني على هذا الكلام. إن جمال التعبير القرآني و براعته و عذوبه ألفاظه لا يقاس به كلام. أين الثرى من الثريا؟ و إن التعبير القرآني يفيد المعنى بشكل واضح بحيث يفهمه كل شخص، و ذل القول فاقد لهذه الميزه. و إن التعبير القرآني يفيد نفس المعنى المقصود و هو القصص، و ذلك لا يفيد ذلك. و إن ما أتى به القرآن أوجز و أخصر، إنه مشتمل على كلمتين: القصص حياه، و هما أقل ما يصاغ منه الكلام، و إن حروفه لا تزيد على عشره أحرف. [صفحہ ١٨٣] و إن التعبير القرآن مشتمل على صنعه الطباق، و ذلك القول فاقد لها. ثم أن التعبير القرآني يقوم بمهمه التوعيه لكل شخص، و يفهمه الدافع لهذا التشريع، و إن له قيمته و أثره ترجم بأى لسان. و إن الظاهر في

التعبير القرآني لفظ محبوب و محبوب عند كل واحد، سيما عند المضطهدين و الموقورين و الثائرين. و لكن الظاهر في كلامهم لفظ مستكره عند كل واحد، ولدى الضمير الانساني. و إن التعبير القرآني يختم بالحياه، و الكلمه تريح القلوب، و تتهج لها النفوس، و كلامهم ينتهي إلى القتل، و لفظه يبعث الهم و يقبض الروح. و قد صيغ التعبير القرآني بصيغه الايجاب، و هو أنفذ في الالتقاء و التأثير من السلب الذي صيغ به كلامهم. ثم إن تنكير الحياه يفيد حياه خاصه، و هي الحياه الاجتماعيه دون الفرديه، كما يشهد بذلك قوله تعالى: (ولكم)، و كلامهم فاقد لهذه الميزه. و من الواضح أنه يمكن أن يجعل التعبير القرآني جزءا لأى جمله و كلام، و لا- يتاح ذلك في كلامهم، فلا يجوز أن يقال: و لكم القتل أنفى للقتل ثم إن الحكم في التعبير القرآني حكم مطرد، لخلاف الحكم في المثل إذا لحكم فيه ليس بمطرد فليس كل قتل أنفى للقتل، بل قد يكون ادعى له، و هو القتل ظلما. إن التعبير القرآني مشتمل على الحياه، و هي مطلوبه للبشر، و ذلك القول مشتمل على الموت و هو منفر للبشر. ثم إن التعبير القرآني فاقد للتكرار، و المثل مشتمل عليه. و إن التعبير القرآني مستغن عن التقدير، بخلاف المثل إذ يجب فيه التقدير؛ لان المقصود: القتل قصاصا أنفى للقتل ظلما. و مما يجدر بالذكر أن التعبير القرآن مشعر بالسماواه بين أفراد البشر، و المثل خال من هذا الاشعار. ثم إن التعبير القرآني رادع القتل و الجرح معا؛ لشمول القصاص لهما، إذ في قصاص الاعضاء أيضا حياه. و منها: أن القرآن معجز في المعاني التي جاء بها. إن العربي المعاصر لنزول القرآن قد سمع

القرآن، فراعته منه ماراعه من لفظه و قليل [صفحہ ۱۸۴] من معانيه. و أين العرب في عصر الجاهليه من فهم المعاني الراقية و الوصول إلى المثل و القيم التي جاء بها القرآن؟ إن القرآن لا يخص العرب بالدعوه، بل يدعو جميع البشر و كافه الامم، تلك التي ليس بينها و بين العرب أيه صلہ بحسب اللسان. إنهم إذا تعلموا لغة القرآن استطاعوا الوصول إلى جمال القرآن و روعته في معانيه أكثر من ألفاظه. والعرب تفضل على غيرها من الامم في لمسها جمال ألفاظ القرآن و روعتها. و من البديهي أن أهل كل لغة أعرف من غيرهم بلغتهم، و أقرب إلى الوصول إلى الروائع الموجوده في جياذ الشعر و النثر في لغتهم. و لكن العالم الباحث قد يلمس روائع من المعاني القرآنيه ما لم يلمسه غيره؛ و لذلك ترى خضوع علماء الامم أمام القرآن و عظمته، و إذعانهم بعجزهم عن الاتيان بمثله، إن الامم غير العربية قد تعلمت القرآن، و قرأته في غضون قرون متطاولة و أحقاب متعاقبه، فدانت له و آمنت به، و استحبت قراءته، و الاستماع إليه على طول الدهر. و إن العلماء من جميع الامم - عرييه و غير عرييه - خضعوا في مقابل علوم القرآن و معانيه الراقية و المثل التي أتى بها، و هي كثيره يحتوى عليها حجمه هذا الصغير. لقد أتى القرآن بعلوم كثيره و معارف جمه و فلسفه و حكمه، مما كان البشر يعرفه و مما لا يعرفه. و كتبت للقرآن تفاسير بلغات شتى على مدى القرون و الاعصار زاد عددها على الآلاف. و لكن حتى الآن لم نعثر على تفسير كامل يحتوى على جميع ما في القرآن من العلوم و الفنون، و

كل مفسر تصدى في تفسيره لبيان قسم من علوم القرآن، حتى اللجان التي تصدت لقرع هذا الباب فإن الكل لم يستطيعوا الوفاء بحقه. و خير شاهد على ذلك: أن من تصدى بعدهم لتفسيره قد وصل إلى علوم و معان لم يصل إليها من سبقه، و لا يزال كل لا حق منهم يضيف على ما جاء به السابق شيئاً جديداً، و هو معترف بأنه لم يؤد حقه، و أن الباب مفتوح لمن تأخر عنه، ليضيف إليه أيضاً، و كم ترك الأول للآخر؟ [صفحة ١٨٥] ذلك حال التفسير في قسم من علوم القرآن فكيف تكون الحال إذن في جميع العلوم و المعارف التي يحتويها؟ إن القرآن يحتوى على علوم لم يعرفها أهل عصره، و عندما وصل إليها المتأخرون عرفوها: كعلم الاقتصاد، و كعلم الاجتماع، و غيرهما من العلوم. و منها: الحجج التي أقامها لاثبات أشرف المعارف و أهم المبادئ و هي حجج اقيمت على أحسن نهج و أقرب طريق في الاحتجاج و التعليم؛ بحيث يلفت الناشئ إلى نور بصيرته، و يمثل له عواطفه و شعوره، و يعيده إلى الفطره السليمه و الطريقه المستقيمه. و ميزه الاحتجاجات القرآنيه: أنها تجرى على حسب القوانين المنطقيه في تنظيم قياساته، و على اسس معقوله، فتراه يأتي بمواد برهانيه بصوره خطابيه في أروع لفظ و أجمل تعبير، بحيث يعجز الفلاسفه و المناطقه عن إتيان مثلها، فإنهم لا يستطيعون استخدام المواد البرهانيه إلا في مصطلحات خاصه. لقد احتج القرآن بوجود الله تعالى و بعلمه و قدرته و وحدته، كما احتج بالمعاد الجسماني، و على أن القرآن وحي إلهي، و على صدق الرسول في دعوته، و غير ذلك، فلا يمكن أن تجد في شيء من تلك الحجج

ضعفاً أو وهناً أو شائبه اختلاف أو شائبه تناقض، و لم يستطع أحد من أعدائه - من الفلاسفه و غيرهم - دعوى أى خلل فى الحجج القرآنيه. و إذا عرفنا أن كل ذلك كان فى عصر جاهلى و عهد مظلم، و نشأ من جاء به بين اناس و وحوش و ثنين فى بلاد ما حله التعليم و قاحله الفضيله و المعارف فإن ذلك يزيدنا خضوعاً للقرآن، و إعجاباً به، و تحيراً فى عظمته، و إقراراً بإعجازه، و يقينا بأنه كلام رب البشر. و مما يجدر التنبيه إليه هنا: أن للقرآن ميزه على التوراه و الانجيل بأنه كله كلام الله عزوجل، نزل به جبرائيل على رسوله الكريم، لا تجد فيه كلام محمد صلى الله عليه و آله، و لا كلام غيره. [صفحه ١٨٦] و لكن العهدين يشتملان على أقوال الأنبياء و أقوال غيرهم من رواه القصص و التواريخ، و منزلتهما منزله السنه المأثوه عن النبى محمد صلوات الله عليه و آله، فإن سنته لا تخلو من حكايه كلام الله تعالى، فالقرآن واقع فى مستوى أرقى من المستوى الذى وقع فيه العهدان. [صفحه ١٨٧]

المنذر و إنذاره

إشاره

(قل إنما أنا منذر و ما من إله إلا الله الواحد القهار) [٣١٣]. (يا أيها المدثر - قم فأنذر) [٣١٤]. (و أنذر عشيرتک الأقرين) [٣١٥]. (فاصدع بما تؤمر و أعرض عن المشركين) [٣١٦]. المنذر: من ينذر. المدثر: المتغطى بالدفار، و الدثار ثوب يغطي به النائم. أنذر: أمر بالإنذار، و هو التحذير من العاقبه، و فى لسان القرآن: هو الدعوه إلى التوحيد، كما تشهد به الآيه الاولى. و إن المشرك لا عاقبه له، و العاقبه للموحدين دون سواهم. صدع بالحق: جهر به. [صفحه ١٨٨]

اوصاف المنذر

لا يكون الرجل منذراً إلا إذا كان متحلياً بصفات فضلى منها: الرحمه فإن الذى يدفع المنذر إلى إنذار قومه هو رحمته بهم، و حبه لاسعادهم، فالإنذار أمر صعب، بل فى غايه الصعوبه، يجعل المنذر فى أسى و شقاء، و يحف بحياته التعب و العناء، و يحول بينه و بين جميع ما يشتهى، و لا يتيح له الحصول على أى راحه، و لولا رحمته فى قلبه لقومه لم يكن دافع إلى تكبد العناء و تحمل البلاء. إن الإنذار مر، و على المدعو للإنذار أشد مراره، مضاد لمشتهياته، و تخطئه لعقله، و تسفيهه لحلمه، و تحقير لشخصيته، و لذا يقابل المنذر بالشده و الخصومه، و يشهر عليه سيف العداء. و الرحمه للمحب أمر طبيعى، فإن الحب يقابل بالرحمه، و لكن قوم المنذر يخرجون بعد الإنذار عن سلك محبيه و ينخرطون فى سلك أعدائه و مناوئيه. فما أصعب الرحمه من رجل لقوم ينصبون العداوه له، و يسعون فى خصومته، و لا يقصرون فى معاندته. و إذا كان الإنذار مرا على المقصودين بالإنذار فهو أشد مراره على نفس المنذر؛ لما يراه منهم فى سبيل إنذاره إياهم من قسوه و خشونه. كما أن

الانذار يجعل المنذر فى مقابل ما يكره، و يقطع الروابط بينه و بين حبيبه، و يفصله عن صديقه، و يقرب الأبعد، و يبعد الأقارب. فما أعظم رحمه المنذر، و ما أشد حبه لقومه! فهو كلما لقى منهم شرا أهدى إليهم خيرا! و المنذرون هم نبلاء البشريه، و عظماء الانسانيه، و هم أفضل الناس فى العالم، و أرحمهم رجالا- [صفحه ١٨٩] و كان محمد صلى الله عليه و آله أفضل المنذرون و أشرفهم؛ لسعه إنذاره، و بسط دعوته. إنه الانسان الكامل، و هل الانسانيه إلا رحمه للانسان؟! او منها: العلمو إنذار بلا علم، و لا- منذر دون معرفه، فالمنذر متقدم فى العلم على قومه، و لو لا- معرفته بعاقبه أمرهم و مستقبل حياتهم لما تمكن من إنذارهم، و لا استطاع تحذير قومه. إن الجاهل لا يرى إلا الذى أمامه، و لكن العالم يرى الذى أمامه، و يرى ما وراءه، و كل ما يحيط به، و يعرف عاقبه الامور. و الجاهل يرى اليوم، و يعمى عن الغد، و لكن العالم يرى اليوم، و يرى الغد، و يرى بعد غد. و الجاهل يقيس مستقبله بحاضره، و العالم يؤدى الحال حقه، و يعطى المستقبل حكمه، و ليت للجاهل معرفه بآثار أعماله، و صدق أفعاله، و لكن العالم يرى ما يترتب على عمله، و يخف من روعه، و هو يرى مستقبل نفسه، و مستقبل قومه، و مستقبل صديقه، و مستقبل عدوه. فالجاهل بحاجة إلى الانذار، و العالم هو المنذر دون غيره. كان محمد صلى الله عليه و آله عارفا بمستقبل أمته؛ بل بمستقبل البشريه. و إن الله هو الذى عرفه فقام بإنذارهم و دعا لانقاذهم من الهلاك من شفا حفره من النار و سعى جاهد و كافح

و ضحى بنفسه و بكل ماله. و منها: العقل و الحكمهو لا بد للمنذر من أن يكون كبير العقل، عظيم الدرايه، حكيما فى أقواله و أفعاله، و لولا- عقل المنذر و حكمته و إصابته فى رأى لما نجح فى إنذاره، و لما نجح فى دعوته. و العقل سبيل إلى معرفه محاسن الامور و قبائح الأفعال، و وسيله إلى [صفحه ١٩٠] تمييز الأرباح من الأضرار، و هو مصباح فى الظلام يرشد إلى المعالى و يهدى إلى الفوز. و المنذر لقوم لا بد أن يكون أكبر هم عقلا و أكملهم إنسانيه، فإن فضل الانسان على الحيوان بعقله لا بشكله و صورته، إذ ليس للحيوان صورته، بل له صور و أشكال. و إن من الواجب على المنذر التخطيط لانذاره، و سلوك أرب الطرق إلى غايته المرموقه، و عليه أن يتوسل بأنفذ الوسائل و أجدادها للوصول إلى أهدافه، و إلا فإن دعوته سوف ترد و أمله سوف يخيب و إن التخطيط الصحيح يتطلب عقلا كبيرا، و معرفه أقرب الطرق تتطلب عقلا كبيرا، و التوسل بأنفذ الوسائل يتطلب أيضا عقلا كبيرا. و من البديهي أن المقصودين بالانذار مختلفون بحسب الدارايه و الفهم، و متفاوتون بحسب الكمال و النقص. و أن من المناسب لكل طبقه لونا من الانذار، و نوعا من الدعوه، و معرفه ذلك تتطلب عقلا كبيرا و حكمه عظيمه و درايه واسعه، و أن المنذر لربما ينخدع لولا- العقل الكبير، و يغبن فى صفتته لولا حكمته، و المخدوع لا ينجح، و المغبون لا يفوز. و خصوم الانذار يستقبلون المنذر بمختلف الأسلحه، و يجعلون فى طريقه أنواعا من العقبات. فقد يستقبلونه بسلاح الود و المحبه، و يقدمون إليه الكثير من متع العيش و

لذائذه، ليخرجوا به عن طريقه، و يصدوه عن سبيله، و كف المنذر نفسه عن الوقوع في هذا الشرك يتطلب نفسا عظيمة و عقلا كبيرا. و لقد عرضت قريش على محمد صلى الله عليه و آله أن يقدموا إليه أجمل فتياتهم، و أن يعطيه كل واحد منهم نصف ثروته، و هم أثرياء كبار لتجارتهم في رحله الشتاء و الصيف، و أن يتوجه ملكا على أنفسهم، كل ذلك في مقابل أن يسحب إنذاره، و يترك دعوته، فلم يقبل، و قال مخاطبا عمه أبا طالب: «و الله لو وضعوا الشمس في يميني، و القمر في شمالي على أن أترك هذا الامر حتى يظهره الله او اهلك فيه ما تركته و لكن يعطوني [صفحة ١٩١] كلمه يملكون بها العرب، و تدين لهم بها العجم، و يكونون ملوكا في الجنة» [٣١٧]. لقد أكد محمد صلى الله عليه و آله بكلامه هذا: أن الداعيه يقدم منفعه المجتمع على منفعه نفسه، فطلب منهم أن يملكوا العرب، و يكونوا ملوكا في الجنة، و رفض أن يكون لهم ملكا متوجا، و أن يكون أعظمهم ثراء، و أن يتخذ أجمل النساء. و منها: الشجاعه و الاقدامو من المفروض على المنذر أن يكون شجاعا مقداما، لا يخاف و لا يخشى؛ حتى لا يخيب أمله و يخسر صفقته، إذ لجبن و الخوف من ركوب الغمار، يحول بين الرجل و بين الوصول إلى هدفه. إن الجبان لا يستطيع الاقدام على العمل، كما لا يستطيع الاستمرار عليه إنه يتراجع عن طريقه إذا سمع عواء كلب، أو رأى صورته شيطان، فهو ليس بصالح لتسلم منصب الانذار الذي هو أخطر المناصب. إن المنذر يحول بين الناس و أهوائهم، و يحاول قطع أيدي الاقوياء عن الضعفاء،

فيعرض نفسه لشرورهم و شرارهم، و يكون دائما في مرض القتل، أو الهتك، أو الاغتيال، أو الأسر، أو السجن، أو السخريه، أو غير ذلك مما يكره. و استقبال هذه الأخطاء يتطلب شجاعه عظيمه و بساله فوق البسالات. و قد وقف محمد صلى الله عليه و آله أمام كل شر، و عرض نفسه لكل خطر، و لم يخف و لم يخش. لقد كان قوى القلب، رابط الجأش، فلم يتأخر خطوه، و لم ينحرف عن طريقه شبرا، و واصل السير إلى غايته المقدسه، و لم يتراجع عن إنذار مدى عمره. و منها: الثقه بالفوز و يفترض أيضا في المنذر أن يكون على ثقه بنجاحه في الانذار، و بتوفيقه في [صفحه ١٩٢] الدعوه، و أن العراقيل التي تجعلها المعارضه في سبيله لا- تخيب أمله، و لا تغير طريقه، و لا تزيل ثقته. و إذا كان المنذر ممن يتطرق إليه اليأس و تتسلط عليه الخيبه فلا يرجى له النجاح في كده، و إن قوبل بالصدود، و واجه العناد و العنف فإنه سوف يتنكب الطريق، و ينسحب من ميدان الانذار. إن المنذر يجعل نفسه أمام أعداء يسعون إلى استئصال شأفته، و يجهدون في كسر عزمه بكل ما لديهم من القوه و الثراء و الممكنه، بل نفس اليأس و الخيبه أكبر صد عن طريقه، فإنه مانع روى داخلى. و كان من ميزات محمد صلى الله عليه و آله الثقه بالدعوه، و كان يرى النجاح في جميع أهل دعوته، و كلما كان يقابل بالصدود، و يواجه بالخصومه و العداه كانت ثقته لا تنقص، بل يتعاضم سعيه و كده. و مما يكشف عن ثقته بنجاحه نصبه الخليفه لنفسه يوم إنذار عشيرته الأقربين، و الاسلام آنذاك كان لا يزال

غريبا ضعيفا. ومنها: الصبر والمنذر يجب أن يكون صبورا في الشدائد، متحملا للمكاره و المتاعب التي تواجهه في طريق الانذار، فلا يفقد السيطرة على نفسه عند لقاءها، ولا يرجع عن طريقه عند مواجهتها، وإن لم يكن المنذر صبورا في الملمات لا يحالفه التوفيق، ولا يفوز بالنجاح. إنه في كل خطوه يواجه بعقبه أو عقبات، سواء كانت عقبات طبيعیه - و هي قليله - أو عقبات مصطنعه، و ما أكثرها! تجعلها في طريقه أيد غاشمه خائنه. و كان محمد صلى الله عليه و آله أعظم المنذرين صبورا في الشده و البلاء، و أشدهم تحملا عند عروض المكاره، لقد صبره في الشدائد، و كابد أعباء ثقالا، و تحمل آلاما، لو صببت على الأيام صرن لياليا، و لكنه استقبال كل ذلك بوجه باسم بلا كلل و لا ملل. و كانت له عزمه كالجبل الراسخ، لا تحركه العواصف، و كأن تراكم المصائب كان يقوى عزمه، [صفحه ١٩٣] و يزيد شوقه، و لا يضيق بها صدره، و لا ينفذ صبره. و لما أنهزم المسلمون في غزوه احد، و استشهد عم محمد صلى الله عليه و آله قفى تلك المعركه، و كان زميله من صغره - و كثر في أصحابه الثقتلى و الجرحى اشتد عزم محمد صلى الله عليه و آله، و استبدل الضعف و الفتور بالتصميم، و هم بتعقب العدو بجيش كثر فيه الجروح و النزيف، و جاء بأفضل خطه حرييه في التأريخ، و نجح فيها أى نجاح، حتى انسحب العدو المنتصر خوفا، و خلص محمد صلى الله عليه و آله بجيشه المتعب، و اشتهرت هذه الغزوه بغزوه حمراء الأسد، تلك التي انتصر فيها محمد صلى الله عليه

آله على خصمه اللدود، من دون إراقه نقطه من دم، و من دون استعمال سلاح. و منها: مطابقه القول و الفعلو مما يفرض فى المنذر أن يتطابق فعله مع قوله، و دعوته مع سيرته، و أن يكون عاملا بما جاء به، مؤمنا بما يقول و بما يدعو إليه، و هكذا الداعيه الحق فى دعوته إلى الحق و إذا لم يطابق قول المنذر فعله فهو ليس بمنذر، بل هو خداع لا يرجى النجاح لدعوته، و إن حصل له التوفيق فى بادئ الأمر فهو توفيق أبترو و منقطع الآخر، يرجع عنه من اتبعه، و يرتد عنه من أخلص له الايمان إذا عرفه بأنه لا يعمل بما يقول. إن هؤلاء ما هم إلا دعاة لأنفسهم، و ليسوا بدعاة إلى الحق، قد جعلوا دعوتهم شركا للوصول إلى مآربهم، فهم خدام أنفسهم، و ليسوا بدام للبشرية. إن الدعوه بالعمل أشد تأثيرا و أعمق نفوذا من الدعوه بالكلام، و إن كانت الدعوه بالكلام أوسع دائره و أكثر بسطا. و عمل الداعيه بما يدعو إليه يكشف عن إيمانه، و يعبر عن اعتقاده بصحة ما يدعو إليه، و ذلك من أقوى الوسائل لتعميق الدعوه، و لتمكين الانذار فى القلوب. و إذا لم يكن الداعيه عاملا بما يقول لم تلق دعوته القبول، و إن قبلت فى البدايه رفضت فى النهايه. إن الاطباء جميعا يدعون إلى ترك التدخين، و يؤكدون على ضرر الدخان لكثير من [صفحه ١٩٤] أجهزة الجسم، لا سيما الرئه و قصبته، و لكن دعوتهم لم تحظ بالقبول عند العالمه، لم تنجح، و التدخين صار أمرا عالميا، و بلغ عدد من تعود على الدخان من الرجال أضعاف غير المتعودين عليه، و ليس ذلك إلا لأن الاطباء يدخنون،

و لو كانوا أنفسهم لا يمارسون التدخين لنجحوا في إنذارهم، و فازوا في دعوتهم من دون شك و لا ريب. و كانت سيره محمد صلى الله عليه و آله في أفعاله و أقواله مشهوده لدى الكل، و كان أحباؤه يتبعونه اتباع الفصيل إثر امه، شوقا منهم إلى الاقتداء به، حتى جعل المسلمون سكوته على فعل غيره من السنه، فضلا عن أفعاله و أعماله، و عن كلماته و أقواله، فهو اسوه لهم بجميع مبادراته و مواقفه، و قد جعله الله كذلك. كما أن أعداءه كانوا يراقبونه في أعماله و أفعاله، لعلهم يعثرون على نقطه ضعف فيه، حرصا منهم على شن الهجوم عليه بالتكذيب و التنكيل. و لكن الطائفتين لم يجدوا في أفعاله نقطه تشينه، فأصبحت الطائفة الاولى مشرقه وجوه أبنائها زهوا و فرحا و ممتلئه فخرا و اعتزازا بقبولها دعوه هذا الرجل العظيم. كما و أصبحت الطائفة الثانيه محترقه بالحسره، و متلظيه بخيبه أملها و خسران صفقتها. فلم ينقل ناقل، و لا حدث محدث أن محمدا صلى الله عليه و آله تخالفت أفعاله مع أقواله في يوم من أيام حياته، في سلم أو حرب، في شدة أو رخاء، في سر أو علن. و كانت أزواجه أقرب المراقبين له، فلم تحدث إحداهن عنه بقلته و لا- بزله، و لا- بمخالفه أفعاله لأقواله، و قد بقين بعد وفاته سنين، و يكسف ذلك عن براءته من العيوب، و عصمته من الذنوب، و لو كان ذلك لظهر. و منها: التضحية و الجهاد و من عظم أوصاف المنذر: أن ينصب نفسه للجهاد، و يضحى بها و بأعز ما عنده في سبيل دعوته، و إلا لم يكن بداعيه و لا بمنذر، بل هو يدعو لنفسه، و يتبرقع ببرقع]

[١٩٥] الانذار، حتى ليخيل إليه حب النفس أنه منذر وداع إلى الحق. إن الجهاد و الضحيه أكبر عون لنجاح المنذر في إنذاره، و لانتشار دعوته. و إنه خير شاهد على صدقه، و على إخلاصه في القيام بواجبه. إن الجهاد من أفضل العبادات، و المجاهدون هم شرفاء عبادالله، و أقربهم لديه تعالى منزله، يضحون في سبيله بأعز مالديهم من حبيب أو قريب، و من نفس أو مال، و لا يبالون بما يرونه من المكروه، فإن الانذار حف بالمكاره، و إن المنذر مصحوب بالشدائد. و لما هاجر رسول الله صلى الله عليه و آله إلى المدينه، و بدأ ببناء مسجده و كان صحابته يعملون فيه، و يتراوحون و يأتون باللبنات كان محمد صلى الله عليه و آله يعمل كأحدهم، حتى أنشد بعضهم: لئن قعدنا و النبي يعمل فذاك منا العمل المضلل و ترنم به الآخرون، فصار انشوده العمل و الكد، و إذا بعثمان يحمل اللبنة، و هو يحايد عنها كيلا يتوسخ ثوبه الأبيض، فرآه على بن أبى طالب عليه السلام و قال: لا يستوى من يعمر المساجدا يدأب فيها قائما و قاعدا و من يرى عن التراب حائدا [٣١٨]. و هل تستطيع نفس تتأبى توسخ ثوب بإصابه التراب له أن تتحمل مكاره الجهاد و مشاقه؟! إن الانذار نفسه جهاد و تضحيه، و السعى فيه جهاد و تضحيه، إذ المنذر لا يرى سوى ما يكره، فإن مناوئيه أكثر عدده و عددا من الخاضعين لدعوته، المنفذين لتوجيهاته. و إن المنذر و الملبين لدعوته لا يرون الحاضر وحده، إنهم ينظرون إلى المستقبل كما ينظرون إلى الحاضر، و يفضلون الكثير الباقي في الآجل على القليل الفاني في [صفحہ ١٩٦] العاجل، و لكن عددهم قليل في جميع الأقسام

و الشعوب، إذ قل من يخضع لدعوه المنذر الصالح (و قليل من عبادى الشكور) [٣١٩]. إن قبول الانذار يتطلب سلامه العقل، و طيب النفس، و إصابه الرأى، و الخلو من العصبية، حتى يستطيع الرجل مكافحه الهوى، و الابتعاد عن الباطل، و الاقتراب من الحق. و من البديهي أن معاده المنذرين و نصب العداوه لهم أمر طبيعي فى الجملة، فإنها تنبثق عن النزعات النفسيه، مما يضطر المنذر عندئذ إلى الجهاد دفاعا عن دعوته، و عن لبي دعوته، و لذا كانت حروب محمد صلى الله عليه و آله كلها جهادا و حروبا دفاعيه، فلم يشن الهجوم على قوم أبدا، إلا إذا سمع باستعدادهم للهجوم عليه فيسبقهم به. و كانت حياه محمد صلى الله عليه و آله حياه جهاد و تضحيه مليئه بالشدائد، و محفوفه بالمكاره. إنه أقصى الأقرين، و قرب الأبعدين، و لا-قى فى سبيل إنذاره ما لم يلاقه نبي و لا رسول. قال جرجى زيدان المؤرخ - المسيحي - الكبير: «رأيت محمدا لا يكفر فى شىء سوى الله، و قد كان مليئا بالاخلاص لربه» [٣٢٠]. و لا يعد خافيا على أحد أنه يفترض فى المنذر أن لا يكون فيه عيب روحى أو جسمى تنفر منه الطباع و تشمئز منه النفوس، فإن ذلك مانع من تقرب الناس إليه، فيضر بدعوته. و كان محمد صلى الله عليه و آله بريئا من جميع العيوب، منزها عن النواقص فى جسمه و روحه، و فوق ذلك أنه كان موصوفا بألوان من الجمال و البهاء فى ظاهره و باطنه، و فى خلقه و خلقه، و فى أفعاله، و حركاته و سكناته، و نظراته و إشاراته. فكان كله جمالا، و كله جميلا، قد أقر أعداؤه بذلك، فضلا

عن أوليائه. [صفحة ١٩٧] ويشهد بذلك: مفاوضوا كبار قريش و هم أعداؤه حين حضروا فى دار الندوة بمكة عند تأمرهم على قتله، حتى انتهى الأمر إلى هجرته، فقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد كان أمره ما قد رأيتم، فإننا والله ما نأمله على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا، فجمعوا فيه رأيا. فبدأوا بالتشاور، و قال قائل منهم: احبسوه فى الحديد، و أغلقوا عليه بابا، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله، زهيراً و النابغه، و من مضى منهم من هذا الموت حتى يصيبه ما أصابهم. فقال شيخ: لا- والله ما هذا لكم برأى، و الله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذى أغلقتم دونه إلى أصحابه، فلاوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم، ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم، ما هذا لكم برأى، فانظروا فى غيره، فتشاوروا عليه، ثم قال قائل منهم: نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا، فإذا أخرج عنا فوالله ما نبالى أين ذهب؟ و لا حيث وقع، إذا غاب عنا و فرغنا منه فأصلحنا أمرنا و الفتنا كما كانت فقال الشيخ: لا والله ما هذا لكم برأى، ألم تروا حسن حديثه، و حلاوه منطقته و غلبته على قلوب الرجال بما يأتى به؟! والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحل على حى من العرب، فيغلب عليهم بذلك من قوله و حديثه حتى يتابعوه عليه ثم يسير به إليكم، حتى يطأكم فى بلادكم بهم، فيأخذ أمركم من أيديكم، ثم يفعل بكم ما أراد، دبروا فيه رأيا غير هذا. فقال أبو جهل بن هشام: أرى نأخذ من كل قبيله شابا فتى جليدا نسيبا وسيطا فينا، ثم

نعطى كل فتى منهم سيفاً صارماً، ثم يعمدوا إليه فيضربوه ضربه رجل واحد، فيقتلوه فنستريح منه، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القائل جميعاً، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً، فرضوا منا بالعقل (الديه) فعقلناه لهم. فقال الشيخ: القول ما قال الرجل، هذا الرأي غيره. فتفرق القوم على ذلك [صفحة ١٩٨] وهم مجتمعون له... [٣٢١].

سير الانذار

كان إنذار محمد صلى الله عليه وآله في مبدأ الأمر مخفياً و مكتوماً، و كان له أدوار ثلاثة في مكة، و قد بدأ الدور الأول منها بدعوه من سكن معه في بيته و أقرب الناس إليه، و هم: خديجة بنت خويلد، و علي بن أبي طالب و زيد بن حارثة، و قد أمر محمد صلى الله عليه وآله بالانذار يوم الاثنين، فأمن به علي بن أبي طالب، ثم خديجة، ثم زيد، ثم جاء الأمر بالصلاة. و كانت مندوبه قبل الهجرة، فكان محمد صلى الله عليه وآله يصلى جماعه في المسجد الحرام، و في بيته، و علي يقف عن يمينه بجنبه، و خديجة من ورائه. و في يوم كان يصلى بهما في بيته، إذ دخل عليه عمه أبو طالب (رض) و معه ابنه جعفر (رض)، فقال أبوطالب لجعفر: صل جناح ابن عمك، وقف جعفر يسار رسول الله، فبدر صلى الله عليه وآله من بينهما و صلى قدامها. [٣٢٢] و يظهر منه أن جعفراً و أباطالب (رضوان الله عليهما) كانا مسلمين و يعرفان الصلاة. و بدأ الدور الثاني من إنذار محمد صلى الله عليه وآله عند نزول كريمه. (و أنذر عشيرتكم الأقربين). فدعا رسول الله عشيرته و أقرباءه، و أنذرهم إلى التوحيد و رفض الأصنام.

و هذه هي الخطوه الثانيه من سير الانذار و تواتر حداثه هذه الدعوه. و لنصغ إلى براء بن عازب ليحدثنا به: لما نزلت هذه الآيه جمع رسول الله صلى الله عليه و آله بنى عبدالمطلب، و هم يومئذ أربعون رجلا، الرجل منهم يأكل المسنه، و يشرب العس، [صفحه ١٩٩] فأمر رسول الله صلى الله عليه و آله عليا برجل شاه فأرفها. [٣٢٣]. ثم قال لهم: ادنوا بسم الله، فدنا القوم عشره عشره، فأكلوا حتى صدروا، ثم دعا بقعب من لبن فجرع منه جرعه، ثم قال لهم اشربوا بسم الله، فشربوا حتى رووا، فبدرهم أبولهب فقال: هذا لشد ما سحركم الرجل!! فمكث رسول الله و لم يتكلم، فدعا هم من الغد على مثل ذلك الطعام و الشراب، ثم أنذرهم رسول الله، فقال: يا بنى عبدالمطلب، إني أنا النذير إليكم من الله - عزوجل - و البشير، فأسلموا و أطيعوني تهتدوا، ثم قال صلى الله عليه و آله: من يؤاخذني و يؤاخذني على هذا الأمر يكن وليي و وصيي و خليفتي و يقضى ديني؟ فسكت القوم، فأعادها ثلاثا، كل ذلك و يسكت القوم و يقول على: أنا، فقال له فى المره الثالثه: أنت هو، فقام القوم و هم يقولون لأبى طالب: أطمع ابنك فقد أمره عليك [٣٢٤]. و بدأ الدور الثالث من انذار محمد صلى الله عليه و آله فى مكه عند نزول قوله تعالى: (فاصدع بما تؤمر...). و كان فى السنه الثالثه من البعثه فجاهر الرسول بالانذار، فكانت الخطوه الثالثه من خطوات محمد صلى الله عليه و آله فى الانذار. فبدأت مناوءات قريش و عداؤها لمحمد صلى الله عليه و آله و للاسلام. و قوله تعالى: (فاصدع بما تؤمر) مثل

قوله تعالى: (قم فأندِر). يدل على أمور ثلاثه. أن محمدا صلى الله عليه وآله ليس بخاطي في ما يتلقى من الوحي، و أنه ليس بمخطي في الانذار به و الصدع به، و أنه مطيع لما أمره ربه. [صفحه ٢٠١]

المبشر و بشأره

إشارة

(يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا و مبشرا و نذيرا) [٣٢٥]. (و بشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا) [٣٢٦]. (وبشر الذين آمنوا و عملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل و أتوا به متشابها و لهم فيها أزواج مطهرة و هم فيها خالدون) [٣٢٧]. (فبشر عباد - الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله و أولئك هم أولوا الألباب) [٣٢٨]. المبشر: من أتى بالبشارة و هو البشير، و البشارة: الاخبار بما يسر. و الشاهد: المعائن الحاضر. و النذير: المنذر: و هو الذى يأتي بالانذار. و الانذار للكافرين و العاصين، و البشارة للمؤمنين و المطيعين. [صفحه ٢٠٣]

يا أيها النبي

تشير الآية الكريمة إلى أن النبي صلى الله عليه وآله يتمتع بعنايه خاصة من قبل ربه تعالى، فقد أعطاه مناصب ثلاثه بعد أن جعله نبيا. إنه شاهد على الخلق و على أفعالهم، و هو تعالى يرصدهم (إن ربك لبالمرصاد) [٣٢٩]. إنه مبشر للخلق، و هو تعالى يوجد بفضلله بما بشر به. إنه منذر، و هو تعالى يقوم بتنفيذ ما أُنذر به.

البشائر

الآيات الكريمة مشتمله على ذكر عده من البشائر خاصة و عامه: منها: الفضل الكبير من الله تعالى، و هو مشتمل على جميع أنواع النعم. و منها: الجنات التى تجرى من تحتها الأنهار. و منها: الأزواج المطهرة. و منها: الخلود فى رغد العيش. و إن الآية الأخيره ساكتة عن ذكر ما بشر به؛ و ذلك يفيد العموم. و لما كانت البشارة من قبل الله تعالى - و هو القدير بقدره لا متناهيه، و هو الغنى بغنى لا- متناه، و هو الكريم بكرم لا- متناه إلى عبادته، هؤلاء الذين أضافهم إلى نفسه تعالى - فما بشر به ليس شيئا محددًا، إنه لسعاده الفرد و المجتمع، إنه لخير الدنيا و الآخرة، كما يشهد بذلك قوله تعالى: (بأن لهم فضلا كبيرا). إن الفضل الكبير من الله - عزوجل - على المؤمنين ليس أمرا محددًا، و لا شيئا خاصا، بل هو كل شىء. [صفحه ٢٠٣]

نظره إلى الآية الكريمة

و فى هذه الآية توجيهات و إرشادات: منها: الدعوه إلى إلغاء العصبية، أيه عصبية كانت، كما يدل عليها قوله تعالى: (يستمعون): إن المتعصب لا يقدر على الاصغاء إلى كلام من يخالف مذهبه، و لا يستطيع الاستماع لما يفسد معتقده. و منها: الدعوه إلى الفهم، فإن المسلم يجب أن يكون فهيمًا، إذ الفهم يرافق الاستماع، و لا ينفك عنه. و إن الانقياد الأعمى من دون تفهم و تبين يخالف دعوه محمد صلى الله عليه وآله، و من هذا الانقياد الأعمى: حسن الظن بالقائل، إذ ينشأ عنه حسن الظن بالقول، و ما أحسن قولهم: «انظر إلى ما قال و لا- تنظر إلى من قال». و لعل ذكر القول من دون إضافه إلى القائل فى الآية الكريمة يشير إلى

ذلك، والله العالم.ومن ذلك

الانقياد الأعمى: الحب بمبدأ، حب نشأ من نزعه نفسيه شهويه أو غضبيه. ومنها: الحريه فى الرأى. إن استماع القول و اتباع أحسنه لا- يتحقق إلا- بعد التفكير و الاختيار، إذ الجبر على الاتباع لا يعد اتباعه، فإنه متقوم بالاختيار، والاختيار لا يكون إلا فى صورته الحريه فى الرأى. فالاتباع لا يكون إلا بعد تحقق الحريه فى اتخاذ رأى أو مذهب. و قد صدع القرآن بذلك بقوله. (لا إكراه فى الدين) [٣٣٠] فلا جبر فى مذهب القرآن، و أن الجبر خارج عن مذهبه. كما أن سد باب الاجتهاد و حصر المذاهب فى عدد خاص لا- يتفق مع المبادئ و التوجيهات القرآنيه. ومنها: إيكال الأمر إلى العقل. إن الواجب على كل فرد أن يجعل الحاكم الوحيد على نفسه هو عقله، فإن الناقد [صفحه ٢٠٤] المميز بين الصحيح و الفاسد، و بين الحسن و الأحسن لكل إنسان هو عقله. و السعيد من يسود عقله على أفكاره و آرائه و نزعاته. ومنها: وثوق المبشر بما أتى به و بدعوته، فإن من لا يثق بصحة دعوته لا يجعل المدعو لقبول فى الخيار، و لا يرجعه إلى الفكر، بل يسد عليه باب الفكر، فإما بإعطاء رغباته بالوعد، أو يهدده بالوعيد. و منها: وثوقه بمطابقه دعوته للعقل. إن إرشاد المدعو إلى التفكير يدل على أن المبشر واثق بمطابقه دعوته للعقل البشرى، و أنه ليس فى هذه الدعوه ما يخالف العقل، فإن مضمون الآيه عام شامل لجميع البشر، و يشهد بذلك قوله تعالى: (أولى الألباب). و منها: الرحمه بالبشر، بشهادته نسبة العباد إلى ذاته المقدسه، فإن كل مولى يحب عبده الذى ينسبه إلى نفسه و يترحم عليه. و منها: بيان المعيار للهدايه و الضلال، فإن الهدايه ليست إلا العمل

بمقتضى العقل، بشهادته قوله تعالى: (أولئك الذين هداهم الله) و إن الضلال هو مخالفه العقل، و اتباع الأهواء النفسية، و جعل العقل رهينه تلك الأهواء. و مما يجدر بالذكر: أن مضمون الآية الكريمة إذا تحقق في مجتمع يصل به إلى منتهى الرقى البشرى مما يمكن أن يصل إليه البشر، و يتحقق لهم أفضل العيش، و يزول عنهم الافتقار إلى الحكم و الحاكم، بل الشعب يصير عندئذ حاكما على نفسه، و لا يفتقر إلى سلطه تنفيذيه، و يزول الاحتياج إلى السلطه القضائيه، إذ في مجتمع كهذا لا يظلم أحدا أحدا، و ما أرغد العيش في مثل هذا المجتمع! إنهم هم الذين سعدوا بعنايه ربانيه و هدايه إلهيه، كما وصفهم الله بقوله: (أولئك الذين هداهم الله و أولئك هم اولوالألباب) و إن المدنيه الفاضله هي هذه دون غيرها.

الانذار و التبشير

ان التبشير و الانذار توأمان يرتضعان من لبن واحد، و المنذر من قبل الله هو مبشر [صفحه ٢٠٥] أيضا، و لا يفترض في كل منذر أن يكون مبشرا، إن أمكنه الوصول إلى غايته المرموقه دون أن يقترن إنذاره بالتبشير. إن الانذار رحمه من البارئ المبشر بعباده، و التبشير رحمه أخرى و فضل منه تعالى على خلقه، فإن الغايه من الانذار هي إسعاد البشر أفرادا و مجتمعا؛ ليعيش الأفراد سعداء في مجتمعات سعيده، و سعاده المجتمع إنما تكون بسعاده أفراده، و الانذار يدعو إلى كلتا السعادتين، و إذا عارضت سعاده الفرد سعاده المجتمع فلا بد من التضحيه بسعاده الفرد في سبيل سعاده المجتمع، كما لا بد من تفضيل سعاده الأفراد على سعاده فرد واحد، فالانذار يكفي لتحقيق السعادتين. والغايه من بعث الرسل تتحقق بالانذار وحده، فإنه الذي يدعو إلى توقي الذنوب و إلى

ترك الجرائم، و الابتعاد عن الآثام، و إذا تحقق ذلك تحققت الغايه من البعث، حتى ولو لم يصاحبه التبشير. و إن سلوك العقلاء و سيرتهم فى إصلاحاتهم الاجتماعيه جاريه على ذلك، فتجد أن الدول و الحكومات من «ديموقراطيه» و ديكتاتوريه، و من قوميه و لا قوميه يلقون القبض على من ارتكب جريمه، و لكنهم لا يعطون الأجر لمن تركها، و إلا كان الفرض على كل حكومه أن تبذل فى كل يوم المليارات. كما أن العقل لا يقضى باستحقاق الأرياء للأجر و الثواب، و ذلك تشريع عام، و إذا فرض فى بعض الظروف لزوم إعطاء أجر إلى برىء كاد فى خدمته فذاك أمر خاص شخصى لا عموم فيه. و من الواضح أن إصلاح مجتمع و إسعاده يتحققان بتطهيره من الأثمين، و ذلك يحصل بالانذار وحده و بتنفيذه، و هذا هو الشأن فى التشريعات الدوليه و الحكوميه. فتبين: أن الانذار من قبل الله تعالى لا يجب أن يصاحب التبشير، و إذا علمنا أن البارئ - عز اسمه - مستغن عن عباده عباده و عن إطاعتهم له فإذا كان جميع الخلق مطيعين لأوامره و نواهيه ممثلين لها لا تنفعه إطاعتهم، و لا يزيده امتثالهم لها شيئاً. إن الله تعالى هو الغنى، و إنه لأعظم شأناً من أن ينتفع بطاعه عباده. [صفحہ ۲۰۶] و إذا كان جميع أفراد البشر متمردين عليه تعالى و عاصين لأوامره و نواهيه فلا ينصره ذلك شيئاً، و لا ينقصه، فهو تعالى الصمد. و إذن تكون النتيجة: هى أنه لا يستحق أحد أجراً على طاعته لربه، و لكن العاصى يستحق العقوبه على مخالفه لربه. إن العاصى المقترف للذنوب ظالم لنفسه، و ظالم لغيره، و ظالم للمجتمع الذى يعيش

فيه. و العاصى يحول بين المنذر و بين وصوله إلى هدفه الأسمى، فهو كحجر عثره فى سبيل المصلحين، يؤخر السعاده البشريه خطوه إلى الوراء. فالإنذار لا- يحتاج إلى التبشير. ثم إن أوامره تعالى و نواهيه إنما هى توجيهات إلى منافع العباد و سعادتهم العائده إليهم أنفسهم، و ينتفع بها المطيع نفسه، و يتضرر العاصى نفسه. إنها نظير إرشادات الأطباء و توجيهاتهم للمرضى، فإذا نفذ المريض ما أرشده إليه الطبيب فهو المنتفع دون الطبيب، و إذا رفض العمل به فهو الذى تضرر دون الطبيب، و أجر الطبيب إنما هو إزاء إرشاده. و الرحمان الرحيم لا يطلب أجرا على إرشاده. فقد تبلور: أن أوامر الله و نواهيه انبثقت من رحمته الواسعه، تلك الرحمه التى لا نهايه لها و لا حد. و ينبغى أن نذكر هنا: أن العقل يفرض طاعه الله على كل إنسان عاقل، فإن شكر المنعم من فرائض العقل، فهو الحاكم بأن تقدير إحسان المحسن واجب على كل فرد. و إن الضمير الانسانى يؤكد هذا الذى يفرضه العقل، فإن الأطفال و المجانين الذين يحتفظون بشىء من الفهم يقدرون المعروف، فإذا أسدبت معروفا إلى طفل صغير فإنه يشكره و قدر إحسانك. و قد قيل: «إن الانسان عبد الاحسان» [٣٣١]. و الذين لا يقدرون المعروف و لا يشكرون الفضل يخرجون عن الانسانيه، فهم ليسوا ببشر و إن كانوا على صوره بشر. و إن الحيوانات التى لها شىء من الذكاء، تقدر المعروف بحسب طبائعها. كما أن الصيادين يجعلون إسداء المعروف إلى الفيله وسيله [صفحه ٢٠٧] لصيدها. و إذا رميت بلقمه خبز أو عظم إلى كلب فهو يذب عنك و لا يعرض رجلك. و من البديهى أن أكبر المحسنين على البشر هو رب

البشر، ذلك الذى أخرجته من لا شىء إلى الوجود، و جعله بشرا سويا، و فضله على جميع الأحياء البريه و البحريه، فهو تعالى أكرم الكرماء، و أعظم المنعمين، و نعمائه أشرف النعم، و آلاؤه أفضل الآلاء و أغلاها. و هل هناك نعمه تفضل نعمه الوجود، أو نعمه الحياه أو نعمه العقل، أو نعمه الفهم، أو نعمه العلم؟! و هو تعالى أكثر المحسنين إحسانا، و أوفر المنعمين إنعاما، و إن نعمه لا تحصى. لقد أحسن إلى الانسان قبل مجيئه إلى هذا العالم، و بعد مجيئه إليه، و بعد ذهابه عنه. و قد أحسن إليه و هو جنين، و أحسن إليه و هو رضيع، و أحسن إليه و هو طفل، و أحسن إليه و هو غلام، و أحسن إليه و هو شاب، و أحسن إليه و هو كهل، و أحسن إليه و هو شيخ. أحسن إليه بالحياه، و أحسن إليه بما بعد الموت. أحسن إليه بالصحه، و أحسن إليه بالمرض. أحسن إليه بالداء، و أحسن إليه بالعلاج. فالعقل و الضمير الانسانى يفرضان على البشر شكره تعالى، و أدنى الشكر تنفيذ طلب المحسن، سيما الطلب الذى ينتفع منه الشاكر، و قد نجم عن رحمه به. و إن الكريم مبجل عند العقل و إن لم يكن منعمًا. و العقل يرى إكرامه فرضا، و الضمير الانسانى يحكم بذلك أيضا. و تنفيذ أمر الكريم أقل مراتب الاكرام له، سيما الأمر الذى نجم عن كرمه للمكرم. و قد تبين بذلك: أن الأجر الذى جعله الله للبشر إزاء إطاعه أو امره هو فضل منه تعالى على عباده، و رحمه منه لهم. إنه أرحم الراحمين، و أكرم الأكرمين. و إن إرسال الرسل مبشرين بعد ما كانوا منذرين تفضل منه تعالى

بعد تفضل.و إذا ساعد التبشير الانذار فإن الانذار يصير أنفذ و أمكن فى النفوس، و أقرب إلى القبول. كما أن هذا الأجر الذى بشر به هو بمثابة جابر للحرمان، الحاصل من الخضوع للانذار، و ذلك من رحمته. [صفحہ ۲۰۸] قال الله تعالى: (و بشر الذين آمنوا و عملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار...)و من الواجب فى ختام هذا البحث: أن تؤكد على أمر هام قد يخفى على الكثيرين، و هو: أن الانذار يمتاز عن التبشير بأن الانذار بلا تبشير له أثره و مكانه، و لكن التبشير من دون الانذار ليس بمفيد أبداً، فالمبشر يجب أن يكون منذراً، و لا يجب على المنذر أن يكون مبشراً.إن التبشير من دون الانذار تأييد للظلم، و تشجيع للفساد، و إيقاع للشر، و إبقاء لا لضهاد المظلوم، و تخدير لحركه المحروم. إن الظالم الطاغى لا يرتدع عن ظلمه بمجرد التبشير، إذ لا يفضل النسيئه على النقد.و قد تبين بذلك: أن دعاه المسيحيه الذين و سموا صدورهم بأوسمه ظاهره التبشير من دون أن يتوجوا رؤوسهم بتيجان ظاهره الانذار قد أخطأوا فى الدعوه، فهم ليسوا بخدام الانسانيه إن لم نقل: إنهم خدمه الظالمين، و دعاه الاستعمار و المستعمرين.و إن هذه لوصمه كبرى على المسيحيه و قد تضرر منها الاسلام، فإن كلمه «الدين» فى الغرب يقصد منها المسيحيه، و إذا ترجمت إلى إحدى لغات المسلمين فإنه يفهم منها الاسلام. فالقارئ يفهم غير ما قصده الكاتب، كما أن القارئ الغربى يقيس بقيه الأديان على الدين السائد فى الغرب، و بذلك تضرر الاسلام.ثم نلفت النظر إلى أن القرآن صدع و جاهر فى مواضع شتى: بأن الأجر الذى جعله الله إزاء طاعته

و سمي بلسان الشرع بالثواب إنما هو أجر اخروي، كما يشير إليه قوله تعالى: (لهم جنات تجري من تحتها الأنهار...). و ليس بأجر دنيوي، و لو كان الأمر كذلك لما كانت طاعه العباد لربهم عباده، بل كانت تجاره لأنفسهم. و ليس بأجر دنيوي، و لو كان الأمر كذلك لما كانت طاعه العباد لربهم عباده، بل كانت تجاره لأنفسهم. و ذلك لا ينافي كون الأحكام القرآنيه مصلحه لحياه البشر و مفيده لدنياهم، فإن مصلحه تشريع الأحكام غير الثواب المترتب على إطاعتها. [صفحه ٢٠٩]

الداعي، و ألوان من دعوته

إشاره

(يا ايها النبي إنا أرسلناك شاهدا و مبشرا و نذيرا - و داعيا إلى الله بإذنه و سراجا منيرا) [٣٣٢]. (أدع إلى سبيل ربك بالحكمه و الموعظه الحسنه و جادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله و هو أعلم بالمهتدين) [٣٣٣]. الدعوه: هى سوق الناس إلى الخير و اجتلاب رغبتهم إليه. و للدعوه أشكال و ألوان. قد سمح الله لرسوله بالدعوه بالحكمه، و الدعوه بالموعظه الحسنه دون سواهما. و أما المجادله بالتى هى أحسن فإنها ليست من الدعوه. و شرعت فى القرآن للذين لا يستمعون للدعوه، و لا يصغون إليها، و هم الذين فى آذانهم و قر، و يواجهون الدعوه بالانكار و النفى. و من الجدير بالذكر: أن الناس على طائفتين: طائفه تغلب عليهم العصبية، و تحكمهم الأنانيه. يرفضون الدعوه لأنها تخالف أهواءهم، و لكنهم يسرعون إلى كل [صفحه ٢١٠] نداء يعطيهم ما يشتهون، و يغذيهم بما فيه يشبعون. و من الواضح أن الدعوه إلى الحق دعوه إلى مكافحه الأهواء، و مجاهده الأنانيه، و إلى إقامة العدل، و قلع جذور الظلم. و دعوه كهذه تكون مضاده لأهوائهم، و مناوئه لشهواتهم، فيغضونها و

يضعون أحجاز العثره فى طريقها، و يسعون فى إطفاء نورها بكل ما لديهم من قوه و حول. و لكن الرحمه الالهيه لاتدعهم فى خوضهم يلعبون، لانها تحب هدايتهم و رشادهم، و ترغب فى بيان الحق و الحقيقه لهم، فقررت مجادلتهم بالتى هى أحسن طريقا لارشادهم. و من هذه الطائفه من يحبذ البقاء على تراثه إذا وجده موافقا لهواه، و مشيدا لعصبيته و أنانيته، فيدعو إلى التقاليد و السنن، و حفظ التراث الخالد. و منهم من يستحسن الجديد، و يستلذ الحادث، لأن التقاليد لا تشبعه، و لا توفر له ما يريد، فتدفعه أنانيته للعتب على السلف، و يشتاق إلى إبعاد كل قديم، و ينادى بأن فى كل جديده لذه، و يعتنق كل جديد من رأى، و معتقد سوى الدعوه إلى الحق، فإنه يرى أنها لا- تملأ- الفراغ الذى يجده، و لا- تعطيه ما يحب فينشد ضالته فى غيرها من الجديد و الحادث، و ذلك نوع ثان من الأنانيه. و الطائفه الثانيه: نفوس كريمه كلها رحمه و صفاء، و موده و إخاء، لا تحكمها الأنانيه، و لا تسيطر عليها العصبيه، و هم محايدون بالنسبه إلى كل رأى و معتقد، لا يكافحون التقاليد و التراث، كما لا يحاربون الجديد، و لا يقبلونه لمجرد أن ذاك قديم و هذا جديد. إنهم ينظرون إلى الدعوه نظره الباحثين، فإن وجدوها حقا قبلوها، و إن وجدوها باطلا- رفضوها، إذ لا- قرابه بينهم و بين أى رأى، كما لا- خصومه لهم مع أى معتقد، فإذا كان ما ورثوه من التقاليد و المبادئ صحيحا اعتنقوه، و إن كان سقيما رفضوه. و كذا تكون سيرتهم مع ما يأتيهم من حديث الرأى و جديده، فيستقبلونه بالأذعان و التسليم إن وجدوه صحيحا، و

لا يسمحون بالدخول إلى قلوبهم إن رأوه فاسدا [صفحة ٢١١] و سقيما. و إن هؤلاء ليسوا من الذين ذا وجدوا الدعوه تطابق أهواءهم خضعوا لها، و إن كانت تخالفها تركوها، فإن كثيرا من الناس خضعوا لبمادئ باطله من أجل أنها تجعلهم أحرارا في تنفيذ شهواتهم. كما أن هناك قوما اعتنقوا طروحات لكونها تدعو إلى الانتقام عن أساء إليهم، فهم ليسوا من هؤلاء؛ لأنهم الأ ماثل بحسب رقى الفكر و علو الهمه. و إنهم طبقتان: الطبقة العليا، و هم الذين يعيشون فى المتسوى الانسانى الأعلى، فهم يدركون الحقيقه، و يصلون إلى واقع الأمر بأدنى تفكر و تأمل، و إنهم لقليلون من الناس، و دعوه هؤلاء تكون بالحكمه. و الطبقة الثانيه، و هم المتأخرون عن اولائك، و الذين لا- يعيشون فى ذلك المستوى النفسى و الفكرى الرفيع، و لكنهم منصفون، ينقادون للحق إذا عرفوه، و يخضعون له إذا وجدوه، و يرونه لأنفسهم هدفا، و هم الأكثرون فى هذه الطبقة، و دعوتهم إنما تكون بالموعظه الحسنه. إنهم لا ينقادون للحق لأنه حق، لالأنه مذهب آبائهم، و لا لأن الجو الذى يعيشون فيه يحبذه.

الحكمه

قد مر بيان معنى الحكمه، و أنها معرفه محاسن الأفعال و مفاسد الامور، و تمييز الصلاح عن الفساد، و هى الفضيله العظمى، و إنها لمن المثل العليا. و الحكيم هو العارف بالحكمه و المرشد إليها. و الدعوه بالحكمه هى إيقاظ عقل المدعو و فكره، و توعيته و تعليمه و تثقيفه. و الدعوه بالحكمه هى إرشاد الناس إلى المحاسن و توجيههم إلى المكارم. و الدعوه بالحكمه هى التصريح بما ينفع الناس فى حياتهم الفرديه و الاجتماعيه، و بما يضرهم فى الحياتين. و الدعوه بالحكمه هى كشف النقاب عن

قبائح الأفعال، و مفاسد الأخلاق، و سيئات الآداب. و إن للحكمة درجات، والحكماء متفاوتون في معارفهم و علومهم، و إن المبعوث [صفحة ٢١٢] من جانب رب البشر إلى دعوته نبلاء البشر بالحكمة هو في أعلى درجات الحكمة، و إنه لأعظم الحكماء و أفضلهم. و قد بعث من جانب الحكيم الخبير عزوجل. و قد مر في البحث عن رساله محمد صلى الله عليه و آله العالميه ذكر بعض ما وصفه الله في كتابه بالحكمه. و فسرت الحكمه بالبرهان على حد التعبير المنطقي، و لا شاهد لهذا التفسير، و لا قصر المعنى على تلك الصناعات المنطقية، فإن القرآن يتكلم بلسانه لا بلسان المنطقيين. و الصواب: هو ما مرت الاشاره إليه بشهاده القرآن الكريم. و الحكمه في التعبير المنطقي تندرج في الحكمه حد التعبير القرآني. و مما يجدر بالذكر: أن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر يعد من الدعوه بالحكمه بحسب التعبير القرآني.

الموعظه

الموعظه: إيقاظ الناس من غفلتهم بلطائف البيان، و محاسن الكلام؛ ليرغبوا بالمعروف، و يزهّدوا بالذنوب و الآثام. و الموعظه: هي حدث الناس على حسنات الأفعال، و زجرهم عن قبائحها من الحسنات و السيئات التي يعرفونها. و الموعظه هي إرشاد الخلق إلى متابعه عقولهم، و تذكيرهم بما ينسون أو ما يتناسون. و في الموعظه تحريك للنفوس، و تليين للقلوب، و فيها عبره نافعه، و توعيه للعواطف. قد قيدت الموعظه في القرآن الكريم بالحسنه، و لم توصف الحكمه بذلك، و لعل المقصود من الموعظه الحسنه: أن تكون مطابقه لمقتضى حال السامع، و أن تكون واقعته بين الحدين: الخوف و الرجاء. فإن من الموعظ ما تنفر منها النفوس الخاطئه، و تكون ثقيله على الأذان. و إن من الموعظ ما يكون فيه حث شديد

على الرجاء فتسمح بارتكاب أى ذنب، فيقال: «إذا طاب قلبك فلا بأس بذلك». وإن من المواعظ ما يكون فيها تخويف شديد، حتى يمثل البارئ تعالى سقاكا قهارا [صفحة ٢١٣] لا يرحم ولا يعفو، الأمر الذى يكون فى نتيجه: أن يترك المتعظ أعماله فى الدنيا و يخلص نفسه للآخرة. و لكن الموعظه الحسنه تجذب القلوب، فتصغى إليها الآذان، و تجرى عليها الأقوال و الأفعال. وتختلف نوعيه الموعظه و ألوانها بحسب اختلاف الأحوال و الأزمان، و بحسب اختلاف الوعاظ فى سننى العمر. فما يستحسن من الشيخ من المواعظ لا يستحسن من الشاب. كما أنها تختلف بحسب اختلاف منزله الوعاظ و مكائنتهم بين الناس، و بحسب اختلاف المتعظين من يحث الرقى الفكرى و العواطف. كما تختلف الموعظه بحسب اختلاف الظروف الموجه لها. و من المواعظ الحسنة: إيراد القصص، و سير التاريخ، كما هى سيره القرآن الكريم. فالقصه قسم من الموعظه، و إنما يؤتى بها كوسيله لا- كهدف. و من المواعظ الحسنه: ما يكون بشكل غير مباشر بحيث لا يشعر بها المتعظ بكونه مخاطبا، و ذلك من أحسنها و أفضلها. و فسر بعضهم الموعظه الحسنه بالخطابه فى مصطلح المنطق، تلك التى هى إحدى الصناعات الخمس عندهم. و لا- غرو فى عد الخطابه المنطقيه من أقسام الموعظه الحسنه القرآنيه. و يجب أن تكون الموعظه الحسنه بألفاظ جميله و معان راقيه. كما يجب أن لا يستعمل فيها الألفاظ الركيكه، تلك التى تشمئز منها النفوس. و كذلك أن لا تكون مليئه بالمعانى التافهه، و قد يكون المقام مقتضيا لذكر بعضها. فالموعظه الحسنه هى التى لا تخرج عن حدود البلاغه، و هى مطابقه الكلام لمقتضى الحال على حد التعبير البيانى.

الجدال بالتى هى أحسن

و هو المباحثه الفكرية، و المناظره العلميه بالاحتجاج بأصح

الحجج، و برفق ولين، [صفحہ ۲۱۴] و بوجه باسم، مع حلم و أناه و رأفه. و الشرط فيه: الاصغاء إلى كلام الخصم، و أن يكون بريثا من اللجاج و المكابره، و فى مثل هذا الجدل إيقاظ للأكفار، و تثقيف للعقول باستخدام العلوم و المعارف. لقد وصف القرآن الجدل الذى سمح به، بالأحسن. و إن المغالطه و إن كانت من أقسام الجدل -هى التى يجعل فيها الحق باطلا و الباطل حقا - ولكنه ليس بمسموح بها بنظر القرآن، لأنها ليست بجدال حسن، بل هى خداعه للأفكار، و سراقه للآراء و العقول، و يأبأها القرآن و الوجدان، و تنافى حريه الفكر و الضمير. و أما الجدل الممنوع فى فريضه الحج فهو الذى ليس منه. ثم إن تفسير المجادله بالتى هى أحسن، بالجدل ذلك المبحوث عنه فى علم الميزان هو بعيد عن لسان القرآن و مرماه، فإن هذا التعبير قد حدث بعد زمان نزول القرآن بزمن طويل، و البرهان فى مصطلح المنطق يقابل الجدل، و لكنه داخل فى الجدل بالتى هى أحسن فى التعبير القرآنى.

صوره الدعوه

تكو الدعوه بالأفعال، كما تكون بالأقوال. و الدعوه بالقول أوسع و أشمل، و لكن الدعوه بالفعل أنفذ و أعمق. و ما أحسن تطابقهما و تلاحمهما! و ما أروع و أعمق أثرهما! و دعوه محمد صلى الله عليه و آله كانت بأقوال رائعه، كما كانت بأفعال حكميه، فقد جمع بين الحكمة القوليه و الحكمة العمليه، و كان يعظ الناس بأفعاله، كما كان يعظهم بخطبه و جوامع كلماته و أقواله، و قد جعله الله اسوه للبشر. و كانت له المجادلات بالتى هى أحسن مع المشركين، و أهل الكتاب على حد سواء. و يمكن أن تجعل مجاهداته فى سبيل الله مع

الكفار من المجادله العمليه بالتى هى أحسن.و حسن أفعال محمد صلى الله عليه و آله مع أعدائه - فى غزواته - و مع الأسرى قد ملأ الخافقين، [صفحه ٢١٥] و قد تعلم منه المسلمون حسن المعامله فى حروبهم، فلم يعرف تأريخ البشريه أناسا أحسن أفعالا من المسلمين فى حروبهم مع أعدائهم!

نوعيه الدعوه

لا تكون الدعوه بالحق إلا بالحق. و إن نشر دعوه محمد صلى الله عليه و آله لم يكن إلا فى إطار الحكمه و الموعظه الحسنه، و إن البارئ - عز اسمه - لم يسمح لرسوله بطريق ثالث لدعوه العالميه، فإن قداسه الهدف لا تبرر الوسيله عند القرآن. فقد فرض القرآن على الداعيه أن تكون دعوتها فى إطار الحق، فإن الدعوه إلى الحق لا تكون إلا بالحق، و إن الباطل لا يصلح لأن يصير طريق إلى الحق. إنه اعوجاج عن الطريق إلى الهدف، فكيف يتحقق به الايصال إلى الهدف؟! و من قال: إن قداسه الغايه تبرر الوسيله فقد أخطأ و حاد عن الصواب، إذ الباطل لا ينبج إلا الباطل، و كيف يكون الظلام طريقا إلى الضياء؟! إن الطريق هو الخط المستقيم بين السالك و بين غايته، و غير المستقيم من الخطوط لا يوصل إلى الغايه. و إن السائر فى الظلم لا ينتهى إلى العدل، و السبعيه الحيوانيه تنفى الانسانيه، فكيف تكون طريقا إليها؟! أو كذب من قال: إن لاظلم للبشر طريق لاسعاد البشر، فليس إسعاد البشر غايه لهذا القائل، و إنما غايته هى أهواؤه النفسيه و نزعاته الوديه. فقد جعل دعوته شركا يبرر له الوصول إلى قمه الحكم، و إلى استعما طاقات النفوس، فهو خداع تذرف عيناه دموع التماسيح. و من مشى فى الطريق الحق فقد قرع

باب الحق، و حظى بالدخول إلى الحق بخطوته الاولى. و لما كان إسلام محمد صلى الله عليه و آله هو الدين الحق و هو السبيل إلى الله فلا يسنح بوسيله غير مبرره للدعوه إليه. و إن الوسيله الصالحه لدى محمد صلى الله عليه و آله هي الحكمه و الموعظه الحسنه، و المجادله بالتي هي أحسن. [صفحہ ۲۱۶] فمن اعتنق دعوه محمد صلى الله عليه و آله فقد فاز بالحياتين، الماديه و المعنويه، الدنيا و الآخره، و من نآى بجانبه عن دعوه محمد صلى الله عليه و آله فقد دفع بنفسه إلى هاويه لا ينجو منها. إنها المعيشه الضنكاً، و الخسران المبين فى الدنيا و الآخره. يدعو محمد صلى الله عليه و آله الناس بالحكمه، و لا يدعوهم بالسحر و الشعوذ. و يدعوهم بالموعظه الحسنه، و لا يدعوهم بالرياء و الخدعه. فدعوتہ صادقہ طيبه، و لست بكاذبه خداعه. و إن الدين الذى جاء به محمد صلى الله عليه و آله هو دين العقل، إذ ليس فى مبادئه و مفاهيمه ما لا يصدق العقل و لا ما ينكره، و لذا سمح بالمجادله بالتي هي أحسن، و لم ينه من اتبعه عن البحث و النظر. و قد منع الله رسوله عن التوسل بالأساطير و بما يخدع النفوس من الأحاديث و القصص. إنه أمين عند ربه، كما لقب بالأمين من جانب خصومه. و ما أجدد الاشاره إلى بعض دعوات محمد صلى الله عليه و آله بالحكمه، و إلى بعض دعواته بالموعظه الحسنه! و لك مواعظه حسنه، و إلى بعض مجادلاته بالتي هي أحسن، و كلها بالتي هي أحسن.

و من دعواته بالحكمه

غادر المدينه أسعد بن زرارہ و ذكوان بن عبد قيس، و هما من الخزرج، و

كانت بين الأوس و الخزرج حروب استمرت بينهم دهرا طويلا، حتى زاد عددها على العشر فى سنين قلائل. و كانوا لا يضعون السلاح بالليل و لا بالنهار، و كان آخر حروبهم يوم «بعث»، و كان النصر فيها للأوس على الخزرج. و كان أسعد صديقا لعتبد بن ربيعه - و هو من سادات قريش - فنزل عليه فى مكة و أخبره بحروب كانت بينهم، و قال: جئناك نطلب الحلف على الأوس، فقال له عتبه: بعدت دارنا عن داركم، و لنا شغل لا نتفرغ لشيء، قال: و ما شغلكم و أنتم فى حرمكم و أمنكم؟ قال عتب: خرج فىنا رجل يدعى أنه رسول الله، سفه أحلامنا، [صفحة ٢١٧] و سب آلہتنا، و أفسد شبابنا، و فرق جماعتنا! فقال أسعد: من هو منكم؟ فقال عتبه: ابن عبد الله بن عبد المطلب، من أوسطنا شرفا، و أعظمنا بيتا. و كان أسعد و ذكوان و جميع الأوس و الخزرج يسمعون من اليهود الذين كانوا بينهم - النضير، و قريظة، و قينقاع - أن هذا أوان نبي يخرج بمكة، تكون هجرته إلى المدينة. فلما سمع أسعد وقع فى قلبه ما كان سمع من اليهود، فقال لعتبه: أين هو؟ قال: هو جالس فى الحجر، و إن بنى هاشم لا يخرجون من شعبهم إلا فى الموسم مثل هذا الأوان، فلا تسمع منه و لا تكلمه، فإنه ساحر يسحرك بكلامه. و كان ذلك عند حصار بنى هاشم فى الشعب، فقال أسعد: فكيف أصنع و أنا معتمر؟ لا بدلى أن أطواف بالبيت، قال: ضع فى اذنيك القطن! دخل أسعد المسجد الحرام و قد حشا اذنيه بالقطن، فطاف بالبيت و رسول الله صلى الله عليه و آله جالس فى الحجر مع قوم

من بنى هاشم، فنظر إلى رسول الله نظره فجازه، فلما كان فى الشوط الثانى قال فى نفسه: ما أحد أجهل منى! أكون مثل هذا الحديث بمكة فلا أتعرفه حتى أرجع إلى قومى فاخبرهم؟ فأخذ القطن من أذنيه ورمى به، وقال لرسول الله صلى الله عليه وآله: أنعم صباحا، فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله رأسه إليه، وقال: قد أبدلنا الله به ما هو أحسن من هذه، تحية أهل الجنة: السلام عليكم... فقال أسعد: إن عهدك بهذا القريب، إلى ما تدعو يا محمد؟ قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأنى رسول الله، و أدعوكم إلى، (... ألا- تشركوا به شيئا و بالوالدين إحسانا و لا- تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم و إياهم و لا- تقربوا الفواحش ما ظهر منها و ما بطن و لا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ذلكم وصيكم به لعلكم تعقلون - و لا تقربوا مال اليتيم إلا- بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده و أوفوا الكيل و الميزان بالقسط لا تكلف نفسا إلا و سعتها و إذا قلتم فاعدلوا و لو كان ذا قربى و بعهد الله أوفوا ذلكم وصيكم به لعلكم تذكرون) [٣٣٤]. [صفحة ٢١٨] فلما سمع ذلك أسعد قال: أشهد أن لا إله إلا الله، و أنك رسول الله. يا رسول الله، أنا من يثرب من الخزرج، و بيننا و بين إخواننا من الأوس حبال مقطوعة، فإن وصلها الله بك و لا أحد أعز منك، و معى رجل من قومى، فإن دخل فى هذا الأمر رجوت أن يتم الله لنا أمرنا فيك. و الله يا رسول الله، لقد

كنا نسمع من اليهود خبرك و يبشروننا بمخرجك، و يبشروننا بصفتك، و أرجو أن تكون دارنا دار هجرتك عندنا، فقد أعلمنا اليهود ذلك، فالحمد لله الذى ساقنى إليك، و الله ما جئت إلا لنطلب الحلف على قومنا، و قد أتانا الله بأفضل مما أتيت له. ثم أقبل ذكوان فقال له أسعد: هذا رسول الله الذى كانت اليهود تبشروننا به و تخبرنا بصفته، فهلم و أسلم، فجاء ذكوان و أسلم... [٣٣٥]. و ما أنجح هذه الدعوه! و ما أسعد تلك الساعه التى تجلت فيها السعاده البشريه كلها! إذ بهذه الدعوه دخلت الأوس و الخزرج فى الاسلام، فسببت هجره النبى صلى الله عليه و آله إلى المدينه ليصدع، إذ صدع بالحق، و جاهر بالاسلام، و أعلنه على الناس، فظهر إسلام، محمد صلى الله عليه و آله الدين كله. و من دعوات محمد صلى الله عليه و آله بالحكم القرآنيه: يوم جاءه وفد من شيان ثعلبه، فيهم مفروق بن عمرو، و مثنى بن حارثه، و نعمان بن شريك، و كان مفروق يفوق أصحابه فى البهاء و الجمال، و فى البراعه و الكلام، و كان له ذؤابتان معلقتان من طرفى وجهه الحسن، فتقدم بالسؤال و قال: إلى ما تدعو يا أخا قريش؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: إلى شهاده أن لا إله إلا الله، و أنى رسول الله، و أن تؤوونى و تنصرونى، فإن قريشا قد نأت بجانبها عن دين الله، و نصبت له العداوه، و كذبت نبى الله، و انحرفت إلى الباطل عن الحق، و لكن الله غنى حميد... ثم قال مفروق: إلى ما تدعو يا أخا قريش؟ [صفحه ٢١٩] فقرأ عليه الرسول: (قل تعالوا أتل ما حرم

ربكم عليكم ألا تشرکوا به شیئا و بالوادین إحسانا و لا تقتلوا أولادکم من إملاق نحن نرزقکم و إیاهم... [٣٣٦] الآیه. فلما سمع مفروق الآیه الکریمه قال: إنه لیس من کلام أهل الأرض، و لو کان لعرفناه. ثم قال: إلی ما تدعو یا أخوا قریش؟ فتلا الرسول صلی الله علیه و آله علیهم (إن الله یأمر بالعدل و الاحسان و إیتاء ذی القربی و ینهی عن الفحشاء و المنکر و البغی یعظکم لعلکم تذكرون) [٣٣٧]. قال مفروق: تدعو إلی مکارم الأخلاق و محاسن الأعمال، و إن الذین کذبوک و نصبوا لک العدواه فقد عدلوا عن الحق... [٣٣٨]. و من دعواته بالحکمه: أن رجلا- من بنی تمیم یقال له: «أبو امیه» أتاه فقال: إلی ما تدعو الناس یا محمد؟ فقال له رسول الله صلی الله علیه و آله: أدعو إلی الله بصیره أنا و من اتبعنی، و أدعوا إلی من إذا أصابک ضرر فدعوته کشفه عنک، و إن استعنت به و أنت مکروب أعانک، و إن سألته و أنت مقل أغناک. فقال: أوصنی یا محمد، فقال صلی الله علیه و آله: لا تغضب، قال: زدنی قال صلی الله علیه و آله: «ارض من الناس بما ترضی لهم من نفسك»، فقال: زدنی، فقال صلی الله علیه و آله: «لا- تسب الناس فتکسب العدواه منهم»، قال: زدنی، قال صلی الله علیه و آله: «لا تزهد فی المعروف عند أهله»، قال: زدنی، قال صلی الله علیه و آله: تحب الناس یحبوک، و ألق أخاک بوجه منبسط، و لا تضجر فیمنعک الضجر من الآخره و الدنیا...» [٣٣٩]. [صفحه ٢٢٠] و أتاه رجل فقال: یا رسول الله، أوصنی. فقال له: «هل أنت مستوص إن أنا

اوصيك؟ حتى قال له ثلاثا، و في كلها يقول الرجل: نعم، يا رسول الله. فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «إني اوصيك إذا هممت بأمر فتدبر عاقبته، فإن يك رشدا فامضه، وإن يك غيا فانتبه عنه...» [٣٤٠].

و من دعوته بالموعظه

و الدعوه بالموعظه الحسنه هي إحدى الدعوتين اللتين سمح الله بها و أمر رسوله أن يدعو الناس بها. و من البديهي أن الذي اصطفاه الله لا يدعو إلا بالموعظه الحسنه، فالمخاطب و إن كان هو النبي صلى الله عليه وآله و لكن الخطاب عام موجه إلى كل داعيه و واعظ يتبع الحق، فإن محمدا صلى الله عليه وآله خوطب به بصفته نبيا و رائدا للخلق. قد وصفت الموعظه في القرآن الكريم بالحسن دون الحكمة، إذ الحكمة كلها حسنه، و لا حكمه ليست بحسنه. أترى إيقاظ الناس و تسديد عقولهم و توجيههم إلى متابعتها ليس بحسن؟ لم يسمح القرآن بالدعوه بموعظه؟ غير حسنه و قد أشرنا إلى ذلك فيما مضى، و نزيدك هنا. و نقول: يفترض في الواعظ أن يكون هادفا لخير الناس في وعظه، و ناصحا لهم، فإن لم يكن ناصحا لهم في عظاته فهو واعظ شكلي، و تاجر يتجر بعقول الناس، و يكون خادعا مرائيا كذابا. يحكى لنا القرآن الموعظه غير الحسنه من الشيطان لآدم و حواء، و أغرائهما بالأكل من الشجره الملعونه، و قاسمهما أنه لمن الناصحين! و لنصغ إليه ليحدثنا بهذه القصة: (و يا آدم اسكن أنت و زوجك الجنه فكلا من [صفحه ٢٢١] حيث شئتما و لا تقربا هذه الشجره فتكونا من الظالمين - فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما وري عنهما من سوءاتهما و قال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجره

إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين - وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين - فد لاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما
سوأتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة و ناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة و أقل لكما إن الشيطان لكما
عدو مبين - قالوا ربنا ظلمنا أنفسنا و إن لم تغفر لنا و ترحمنا لنكونن من الخاسرين) [٣٤١]. و أكثر عدد أمثال هؤلاء الوعاظ فى
القاده و الزعماء السياسيين، و فى رجال الدين إنهم يدعون الدعوه إلى الحق و هم كاذبون، بل هم يدعون إلى أنفسهم، و قد
جعلوا الدعوه إلى الحق شركا لاصطياد النفوس. و قد تكون الدعوه بموعظه ليست بحسنه لكون الواعظ ناصحا هادفا، و ذلك من
أجل كونه مشتبهها فى الهدف و خاطئا فى المعرفه، يرى الباطل حقا و الظلام نورا، و أمثال هؤلاء الوعاظ غير قليلين، و هم على
دعواتهم الخاطئه حريصون، و أكثر عددهم فى الزهاد و الجهال البعيدين عن العلوم و المعارف، فإن قوام الوعظ بالمعرفه و
العلم. و لا تكون الموعظه حسنه إذا كان الواعظ العارف الناصح داعيا إلى الحق، و لكنه يبالغ فى أقواله. فيجب أن يكون الداعيه
بعيدا عن الغلو فى القول و المبالغه فى الكلام فى مواعظه و توجيهاته. فالموعظه الحسنه هى التى يكون الواعظ فيها ناصحا فى
عظته، و ليس بمخطئ فى دعوته، و لم يتجاوز الحد فى إشاراتة، بل يسلك سبيل الاعتدال، لا ينحرف يمينا و لا شمالا، و لا
يخرج عن سواء الطريق. و يجب فى اتصاف الموعظه بالحسن أن يكون الوعظ و الارشاد مناسبا لمقدار معرفه المستمع، لا فوقها،
و لا دونها، إذ لو كان فوق معرفته لا يفهم،

و لو كان دونها ينفر، و [صفحہ ۲۲۲] يصعب ذلك على الواعظ عند ما كان المستمعون مختلفين في هذه الصفه، و قد يكون حسن نيه الواعظ إخلاصه و نصحه للمستمعين يكون حلا لهذه المشكله (و الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا...) [۳۴۲]. جاء محمدا صلى الله عليه و آله قيس بن عاصم في وفد من بنى تميم، فأمره النبي صلى الله عليه و آله أن يغتسل بماء و سدر، ففعل، ثم عاد إليه و سأله أن يعظه موعظه ينتفع بها، فقال صلى الله عليه و آله: يا قيس: إن مع العز ذلا، و إن مع الحياه موتا، و إن مع الدنيا الآخره، و إن لكل شىء حسيبا، و على كل شىء رقيبا، و إن لكل حسنه ثوابا، و لكل سيئه عقابا، و لكل أجل كتابا، و إنه لا بد لك يا قيس، من قرين يدفن معك و هو حي، و تدفن معه و أنت ميت، فإن كان كريما أكرمك، و إن كان لثيما أسلمك، حتى لا يحشر إلا معك، و لا تبعث إلا معه، و لا تسأل إلا عنه، فلا تجعله إلا صالحا، فإنه إن صلح أنست به، و إن فسد لا تستوحش إلا منه، و هو فعلك [۳۴۳]. و من وصاياہ صلى الله عليه و آله لعلى ابن أبى طالب عليه السلاميا على، أنهاك عن ثلاث خصال عظام: الحسد، و الحرص، و الكذب. يا على، سيد الأعمال ثلاث خصال: إنصافك الناس من نفسك، و مواساتك الأئخ في الله عزوجل، و ذكرك الله تبارك و تعالى على كل حال. يا على، ثلاث فرحات للمؤمن في الدنيا: لقاء الاخوان، و الافطار من الصيام، و التهجد في آخر الليل. يا

علي، ثلاث خصال من لم يكن فيه لم يقيم له عمل: ورع يحجزه عن معاصي الله، وخلق يدارى به الناس، وحلم يرد به جهل الجاهل. يا علي، ثلاث خصال من مكارم الأخلاق، تعطى من حرمك، وتصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك [٣٤٤]. [صفحة ٢٢٣] ومن مواعظه صلى الله عليه وآله المأثوره مخاطبا علي بن أبي طالب عليه السلام يا علي، من كظم غيظا وهو يقدر على إمضائه أعقبه الله يوم القيامة أمنا وإيمانا يجد طعمه. يا علي، أفضل الجهاد من أصبح لا يهتم بظلم أحد. يا علي، شر الناس من أكرمه الناس اتقاء شره. يا علي، شر الناس من باع آخرته بدنيا غيره. يا علي، إن الله أحب الكذب في الصلاح، وأبغض الصدق في الفساد. يا علي، جعلت الذنوب كلها في بيت واحد، وجعل مفتاحها شرب الخمر. يا علي، ينبغي أن يكون في المؤمن ثمانى خصال: وقار عند الهزاهز، [٣٤٥]. وصبر عند البلاء. وشكر عند الرخاء، وقنوع بما رزقه الله، ولا يظلم الأعداء، ولا يتحامل على الأصدقاء، بدنه منه في تعب، والناس منه في راحة. يا علي، لكل ذنب توبه إلا سوء الخلق، فإن صاحبه كلما خرج من ذنب دخل في ذنب... [٣٤٦]. ومن مواعظه صلى الله عليه وآله لأبي ذر الغفارييا أبا ذر، اعبد الله كأنك تراه، فإن كنت لا تراه فإنه يراك. واعلم: أن أول عباده الله المعرفه به. إنه الأول قبل كل شىء، فلا شىء قبله، والفرد فلا ثانى له، والباقى لا إلى غايه، فاطر السماوات والأرض، وما فيهما وما بينهما من شىء، و

هو الله اللطيف الخبير، و هو على كل شىء قدير. ثم الايمان به، و الاقرار بأن الله تعالى أرسلنى إلى كافة الناس بشيرا و نذيرا. و [صفحة ٢٢٤] داعاى إلى الله بإذنه و سراجا منيرا، ثم حب أهل بيتى، الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا [٣٤٧]. و من خطبه له صلى الله عليه و آله: أيها الناس، توبوا إلى الله قبل أن تموتوا، و بادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشتغلوا، و أصلحوا الذى بينكم و بين ربكم تسعدوا، و أكثروا من الصدقة ترزقوا، و أمروا بالمعروف تحصنوا، و انهوا عن المنكر تنصروا... [٣٤٨]. و من خطبه له صلى الله عليه و آله: أيها الناس، إن ربكم واحد، و إن أباكم واحد، كلكم لآدم و آدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، و ليس لعربى على أعجمى فضل إلا بالتقوى و العمل الصالح [٣٤٩]. و من خطبه له صلى الله عليه و آله: أيها الناس، إن العبد لا يكتب من المسلمين حتى يسلم الناس من يده و لسانه، و لا ينال درجة المؤمنين حتى يأمن أخوه بوائقه، و جاره بوادره، و لا يعد من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا عما به البأس... [٣٥٠]. و من كلام له صلى الله عليه و آله: تعلموا العلم، فإن تعلمه حسنه، و مدارسته تسييح، و البحث عنه جهاد، و تعليمه من لا يعلمه صدقه، و بذله لأهله قربه... [٣٥١]. [صفحة ٢٢٥] و أثنى قوم بحضرته على رجل حتى ذكروا جميع خصال الخير، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: كيف عقل الرجل؟ فقالوا: يا رسول الله، نخبرك عنه باجتهاده فى العباده و أصناف الخير

تسألنا عن عقله؟! فقال صلى الله عليه وسلم: «إن الأحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر، وإنما يرتفع العباد غدا في الدرجاد و ينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم...» [٣٥٢]. و مما يجد بالذكر: أن الدعوه بالحكمه و الدعوه بالموعظه الحسنه لا تختصان بمن لم يعتنق الاسلام، فإن المسلم يستحق أيضا أن يدعو إلى سبيل ربه، فالدعوتان تعمان المسلمين أيضا إن المرء ليحتاج إلى التوجيه و الارشاد حتى الأولياء و الصديقين، و لا يفرض فى الحكمه و الموعظه أن يكون المدعو جاهلا بهما، إذ يصح دعوه العالم بالحكمه و بالموعظه إلى تلك الحكمه، و تلك الموعظه التى يعلمها قال الله تعالى؛ (و ذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) [٣٥٣]. فإن السائر إلى الله، السالك فى سبيل الله، ليحتاج إلى التوجيه و الارشاد فى كل خطوه من سيره؛ كى لا يضل به الطريق، فقد هلك من ليس له حكيم يرشده، فإن السالك فى كل قدم يقع على مفترق الطريق من جديد، فهو فى حاجه إلى من يعرف بواسطته الطريق.

و مما جادل به

ان المجادله بغير التى هى أحسن: هى التى لا- تكون الغايه فيها كشف النقاب عن الحق، بأن يكون الهدف فيها هو تبكيث الخصم و إسكاته بأى وسيله اتاحت، حتى بإنكار الحق، فليس المنظور فيها توجيه الخصم و إرشاده، بل المطلوب منها الظفر و [صفحه ٢٢٦] الغلبه عليه. و مثل هذه المجادله لا- تنبثق عن الرحمه و الشفقه، فإن من يتبع هذا الاسلوب إنما ينظر إلى خصمه كعدو، و يرى نفسه فى الحرب معه، فهو يطلب النصر بأى ثمن، و لا ينظر إليه كصديق حميم يرجو فوزه و سعادته، و القرآن لا يسمح بهذا النحو من

الجدال، و محمد صلى الله عليه و آله لم يكن ليجادل به. إن هذا الجدال لا يعد قسما من التوجيه و الارشاد، فلا يتحقق به الهدايه و صول الخصم إلى الحق، و من هو رحمه للعالمين أجل و أشرف من أن ينحو نحوه و يحذو حذوه. ولا يباح في الجدال بالتي هي أحسن إنكار الحق، و لو كان المنظور إثبات الحق به، بل الواجب فيه الاعتراف بالحق و الاقرار به، و إنكار الباطل و عدم الخضوع له. كما أن الواجب فيه أن يركز المجادل حججه و براهينه على قواعد مسلمه عند العقل و النقل معا. و مثل هذا المجادل رؤوف بخصمه، حريص على إرشاده، يسعى لانقاذه من ضلالته، و يبذل جهده لاحياء صفه الاصناف فيه، و يقدم إليه الفكر الصحيح، ليطلب به الحق و يبحث عنه. و قد ذكر الجدال في الدين عند الامام إبي عبدالله جعفر الصادق، سادس الأئمه الاثني عشر عليهما السلام، و ذكر: أن رسول الله صلى الله عليه و آله قد نهى عنه، فقال عليه السلام: لم ينه عنه مطلقا، و لكنه نهى عن الجدال بغير التي هي أحسن، إن الله يقول: (و لا- تجادلوا أهل الكتاب إلا- بالتي هي أحسن...) [٣٥٤] و الجدال بغير التي هي أحسن محرم، و حرمة الله على شيعتنا، و كيف يحرم الله الجدال جملة؟ و هو يقول: (و قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى) [٣٥٥]. [صفحه ٢٢٧] و قال الله تعالى: (تلك أمانيتهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) [٣٥٦] فجعل تعالى علم الصدق الاتيان بالبرهان، و هل يؤتى بالبرهان في الجدال إلا بالتي هي أحسن؟ قيل: يابن رسول الله، فما الجدال بالتي هي أحسن، و بالتي ليس

بأحسن؟ فقال عليه السلام: أما الجدل بغير التي هي أحسن: أن تجادل مبطلا فيورد عليك باطلا فلا ترده بحجه قد نصبها الله، و لكن تجحد قوله، أو تجحد حقا، يريد ذلك المبطل أن يعين به باطله، فتجحد ذلك الحق مخافه أن تكون له عليك فيه حجه، لأنك لا- تدري كيف المخلص منه، فذلك حرام على شيعتنا أن يصير ذا فتنه على ضعفاء إخوانهم و على المبطلين. و أما المبطلون فيجعلون ضعف الضعيف منكم إذا تعاطى مجادله و ضعف ما في يده حجه له على باطله. و أما الضعفاء منكم فتعمى قلوبهم، لما يرون من ضعف المحق في يد المبطل. و أما الجدل بالتي هي أحسن فهو ما أمر الله به نبيه أن يجادل به من جحد البعث بعد الموت و إحيائه، فقال الله تعالى حاكيا عنه: (و ضرب لنا مثلا و نسي خلقه قال من يحيى العظام و هي رميم) [٣٥٧] فقال تعالى في الرد عليه: (قل يحييها الذي أنشأها أول مره و هو بكل خلق عليم - الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون) [٣٥٨]. فأراد الله من نبيه أن يجادل المبطل الذي قال: كيف يجوز أن يبعث هذه العظام و هي رميم؟! قل يحييها الذي أنشأها أول مره، أفيجز من ابتداء به لا من شىء أن يعيده بعد أن يبلى؟! بل ابتداءه أصعب عندكم من إعادته، ثم قال: (الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا...) أى: إذا كان قد كمن النار الحاره فى الشجر الأخضر الرطب، ثم يستخرجها [صفحه ٢٢٨] فعرفكم أنه على إعادته ما بلى أقدر، ثم قال: (أو ليس الذى خلق السموات و الأرض بقادر على أن يخلق

مثلهم بلى و هو الخلاق العليم) [٣٥٩]. أى: إذا كان خلق السماوات و الأرض فى ميزانكم و تقديركم أكثر عظمه و أشد صعوبه من إعاده الانسان و هو رميم بال فكيف لكم أن تجوز و الله خلق هذا الأعجب و الأصعب و تنكروا عليه القدره على إعاده هذا البالى رغم أنه الأسهل و الا يسر؟! ثم قال الامام عليه السلام: فهذا الجدل بالتي هي أحسن؛ لأن فيها قطع عذر الكافرين، و إزاله شبهتهم. و أما الجدل بغير التي هي أحسن، فأن تجحد حقا لا يمكنك أن تفرق بينه و بين باطل من تجادله، و إنما تدفعه عن باطله، بأن تجحد الحق، فهذا هو المحرم... لأنك مثله جحد حقا و جحدت أنت حقا آخر، فقام إليه رجل فقال: يا ابن رسول الله، أجادل رسول الله؟ فقال له الامام عليه السلام: مهما ظننت برسول الله من شىء فلا تظن به مخالفه الله، أليس الله قد قال (و جادلهم بالتي هي أحسن)، و قال: (قل يحييها الذى أنشأها أول مره) لمن ضرب الله مثلا، أفتظن أن رسول الله خالف ما أمره الله به، فلم يجادل بما أمر الله، و لم يخبر عن الله بما أمره أن يخبر به؟! و لقد حدثنى أبى، عن جدى على بن الحسين زين العابدين، عن أبيه الحسين، عن أبيه أمير المؤمنين على ابن أبى طالب صلوات الله عليهم أجمعين: أنه اجتمع يوما عند رسول الله أهل خمسه أديان: اليهود، و النصارى، و الدهريه، و الثنويه، و مشركو العرب. فقالت اليهود: نحن نقول: عزيز ابن الله، و قد جئناك يا محمد لننظر ما تقول، فإن اتبعنا فنحن أسبق إلى الصواب منك و أفضل، و إن خالفنا خصمناك! و قالت النصارى: نحن نقول:

إن المسيح ابن الله اتحد به، وقد جئناك لننظر ما تقول، فإن اتبعنا فنحن أسبق إلى الصواب منك، وإن خالفنا خصمناك! [صفحة ٢٢٩] وقالت الدهرية: نحن نقول: إن الأشياء لا بدو لها، وهي دائمة، وقد جئناك لننظر ما تقول، فإن اتبعنا فنحن أسبق إلى الصواب، وإن خالفنا خصمناك! وقالت الثنوية: نحن نقول. إن النور والظلمة هما المدبران، وقد جئناك لننظر ما تقول، فإن اتبعنا فنحن أسبق إلى الصواب وأفضل، وإن خالفنا خصمناك! أو قال مشركو العرب: نحن نقول: إن أوثاننا آلهه، وقد جئناك لننظر فيما تقول، فإن اتبعنا فنحن أقرب إلى الصواب منك وأفضل، وإن خالفنا خصمناك! فقال رسول صلى الله عليه وآله: آله: آمنت بالله وحده لا شريك له، وكفرت بكل معبود سواه، ثم قال لهم: إن الله تعالى قد بعثنى للناس كافة بشيرا و نذيرا، و حجه على العالمين، و سيرد كيد من يكيد دينه في نحره. ثم قال لليهود: أجتئوني لأقبل قولكم بغير حجه؟ قالوا: لا...، قال صلى الله عليه وآله: فما الذى دعاكم إلى القول بأن عزيرا ابن الله؟ قالوا: لأنه أحيا لبنى إسرائيل التوراه بعد ما ذهبت، و لم يفعل بها هذا إلا لأنه ابنه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: فكيف صار عزيز ابن الله دون موسى، و هو الذى جاءهم بالتوراه و روى منهم من المعجزات ما قد علمتم؟! و لئن كان عزيز ابن الله لما ظهر من إكرامه بإحياء التوراه، فلقد كان موسى بالنبوه أولى و أحق، و لئن كان هذا المقدار من إكرامه لعزير يوجب له أنه ابنه فأضعاف هذه الكرامه لموسى

توجب له منزله أجل من النبوه؛ لأنكم إن كنتم إنما تريدون بالنبوه الدلاله على سبيل ما تشهدونه فى دنياكم من ولاده الامهات للأولاد بوطئ آباءهم لهن فقد كفرتم بالله، و شبهتموه بخلقه، وأوجبتم فيه صفات المحدثين، فوجب عندكم أن يكون محدثا مخلوقا، و أن يكون له خالق صنعه و ابتدعه. قالوا: لسنا نعنى هذا، فإن هذا كفر كما دلت، لكننا نعنى: أنه ابنه على معنى الكرامه و إن لم يكن هناك ولاده، كما يقول بعض علمائنا لمن يريد إكرامه و إبانته بالمنزله من غيره. يا بنى، و إنه ابنى، لا على إثبات ولادته منه؛ لأنه قد يقول ذلك لمن هو أجنبى لا نسب له بينه و بينه، و ذلك لما فعل الله تعالى بعزير ما فعل كان قد اتخذ ابنه على الكرامه، لا على الولاده. [صفحه ٢٣٠] فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: فهذا ما قلته لكم،، إنه إن و جب على هذا الوجه أن يكون عزير ابنه فإن هذه المنزله بموسى أولى، و إن الله يفضح كل مبطل بإقراره، و تنقلب عليه حجته. إن ما احتججتم به يؤدى بكم إلى ما هو أكثر مما ذكرته له؛ لأنكم قلتم: إن عظيما من عظمائكم قد يقول لأجنبى لانسب بينه و بينه: يا بنى، و هذا ابنى، لا على طريق الولاده. فقد تجدون أيضا هذا العظيم يقول لأجنبى آخر: هذا أخى، و لآخر: هذا شيخى و أبى، و لآخر: هذا سيدى، و يا سيدى على سبيل الاكرام، و إن من زاده فى الكرامه زاده فى مثل هذا القول. فإذن يجوز عندكم أن يكون موسى أخاله، أو شيخا له، أو أباً، أو سيدا؛ لأنه قد زاده فى الاكرام

كما لعزير!! كما أن من زاد رجلا في الأكرام فقال له: يا سيدى، ويا شيخى، ويا عمى، ويا رئيسى، ويا أميرى...، فبهت القوم و تحيروا، و قالوا: يا محمد، أجلنا نتفكر فيما قلته لنا فقال صلى الله عليه و آله: انظروا فيه بقلوب معتقده للانصاف يهدكم الله. ثم أقبل على النصارى فقال لهم: و أنتم قلتم: إن القديم - عزوجل - اتحد بالمسيح ابنه، فما الذى أردتموه بهذا القول؟ أردتم أن القديم صار محدثا لوجود هذا المحدث الذى هو عيسى، أو المحدث الذى هو عيسى يصار قديما لوجود القديم الذى هو الله؟ أو معنى قولكم: إنه اتحد به بأنه اختصه بكرامه لم يكرم بها أحدا سواه؟ فإن أردتم أن القديم صار محدثا فقد أبطلتم؛ لأن القديم محال أن ينقلب فيصير محدثا! وإن أردتم أن المحدث صار قديما فقد أحلتم؛ لأن المحدث محال أن يصير قديما! وإن أردتم أنه اتحد به بأنه اختصه و اصطفاه على سائر عباده فقد أقررتم بحدوث عيسى، و بحدوث المعنى الذى اتحد به من أجله؛ لأنه إذا كان عيسى محدثا، و كان الله اتحد به بأن أحدث به معنى صار به أكرم الخلق عنده فقد صار عيسى، و ذلك معنى محدثين، و هذا خلاف ما بدأتم تقولونه. فقالت النصارى: يا محمد، إن الله لما أظهر على يد عيسى من الأشياء العجيبه ما [صفحہ ۲۳۱] أظهره فقد اتخذه ولدا على جهه الكرامه، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه و آله: فقد سمعتم ما قلته لليهود فى هذا المعنى الذى ذكرتموه، ثم أعاد صلى الله عليه و آله ذلك كله، فسكتوا إلا رجلا واحدا منهم قال له: يا محمد، أو لستم تقولون:

إن إبراهيم خليل الله؟! قال: قد قلنا ذلك، قال: فإذا قلت فلم منعمونا من أن نقول: إن عيسى ابن الله؟ قال رسول صلى الله عليه و آله: إنهما لن يشتبها؛ لأن قولنا: إبراهيم خليل الله إنما هو مشتق من الخله، و الخله إنما معناها الفقر و الفاقة، فقد كان خليلاً إلى ربه فقيراً، و إليه منقطعاً، و عن غيره متعطفاً معرضاً مستغنياً، و ذلك لما أريد قذفه في النار فرمى به في المنجنيق، فبعث الله جبرائيل فقال له: أدرك عبي، فجاء فلقية في الهواء، فقال له: كلفني ما بدا لك فقد بعثني الله لنصرتك. فقال إبراهيم «حسبي الله، و نعم الوكيل» إنى لا- أسأل غيره، و لا حاجه لى إلا إليه، فسماه خليله، أى فقيره و محتاجه، و المنقطع إليه عمن سواه، و إذا جعل معنى ذلك من الخله، و هو: أنه قد تخلل معانيه و وقف على أسرار لم يقف عليها غيره كان الخليل معناه العالم به و بأموره، و لا يوجب ذلك تشبيه الله بخلقه، ألا ترون أنه إذا لم ينقطع إليه لم يكن خليله، و إذا لم يعلم بأسراره لم يكن خليله؟! و إن من يلده الرجل و إن أهانه و أقصاه لم يخرج عن أن يكون ولده؛ لأن معنى الولاده قائم به. ثم إن وجب لأنه قال لابراهيم: «خليلي» أن تقيسوا أنتم فتقولوا: بأن عيسى ابنه أيضاً و جب أيضاً كذلك أن تقولوا لموسى: إنه ابنه، فإن الذى معه من المعجزات لم يكن بدون ما كان مع عيسى، فقولوا: إن موسى أيضاً ابنه. و أن يجوز أن تقولوا على هذا المعنى: إنه شيخه، و عمه، و رئيسه، و أميره، كما قد ذكرته لليهود. فقال بعض لبعض:

و فى الكتب المنزله: أن عيسى قال: أذهب إلى أبى و أبيكم. فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: فإن كنتم بذلك تعملون فإن فيه: أذهب إلى أبى و أبيكم، فقالوا: إن جميع الذين خاطبهم عيسى كانوا أبناء الله، كما كان عيسى من الوجه الذى كان عيسى فيه ابنه. [صفحه ٢٣٢] ثم إن فى هذا الكتاب مبطل عليكم هذا الذى زعمتم أن عيسى من وجهه الاختصاص كان ابنا به، لأنكم قلت: إنما قلنا لأنه ابنه اختصه بما لم يختص به غيره، و أنتم تعلمون أن الذى خص به عيسى لم يخص به هؤلاء القوم الذين قال لهم عيسى: أذهب إلى أبى و أبيكم. فبطل أن يكون الاختصاص، ليس لأنه قد ثبت عندكم بقول عيسى لمن لم يكن له مثل اختصاص عيسى، و أنتم إنما حكيتكم لفظه «عيسى» و تأولتموها على غير وجهها؛ لأنه إذا قال: «أذهب إلى أبى و أبيكم» فقد أراد غير ما ذهبتم إليه و نحلتموه، و ما يدريكم لعله عنى: أذهب إلى آدم أو إلى نوح، و أن الله يرفعنى إليهم و يجمعنى معهم، و آدم أبى و أبوكم، و كذلك نوح، بل ما أراد غير هذا. فسكت النصارى و قالوا: ما رأينا كاليوم مجادلا و لا مخاصما مثلك و سننظر فى امورنا. ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه و آله على الدهريه، فقال: و أنتم الذى دعاكم إلى القول بأن الأشياء لا بد و لها، و هى دائمه لم تزل و لا تزال؟! فقالوا: لأننا لا نحكم إلا بما نشاهد، و لم نجد للأشياء حدثا فحكمتنا بأنها لم تزل! و لم نجد لها انتضاء و فناء فحكمتنا بأنها لا تزال! فقال رسول الله

صلى الله عليه وآله: أفوجدتم لها قدما، أم وجدتم لها بقاء أبداً؟ فإن قلتم: إنكم وجدتم ذلك أنهنضتم لأنفسكم أنكم لم تزالوا على هيئتكم وعقولكم بلا نهايه، ولا تزالون كذلك. ولئن قلتم هذا دفعكم العيان، وكذبكم العالمون والذين قالوا: بل لم نشاهد لها قدما ولا لقاء أبداً. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فلم صرتم بأن تحكموا بالقدم والبقاء دائماً لأنكم لم تشاهدوا، وحدثها وانقضأوها أولى من تارك التمييز لها مثلكم، فيحكم لها بالحدث، والانقطاع، لأنه لم يشاهد لها قدما ولا بقاء أبداً. أو لستم تشاهدون الليل والنهار وأحدهما بعد الآخر؟ فقالوا: نعم. [صفحة ٢٣٣] فقال: أترونهما لم يزالا ولا يزالان؟ فقالوا: نعم. فقال: أفيجوز عندكم اجتماع الليل والنهار؟ فقالوا: لا. فقال صلى الله عليه وآله: فإذا منقطع أحدهما عن الآخر، فيسقى أحدهما ويكون الثاني جارياً بعده. قالوا: كذلك هو. قال: فقد حكمتم بحدوث ما تقدم من ليل ونهار لم تشاهدوهما، فلا تنكروا الله قدرته. ثم قال صلى الله عليه وآله: أتقون: ما قبلكم من الليل والنهار ومنتاه أم غيره منتاه؟ فإن قلتم: إنه غير منتاه فقد وصل إليكم آخر بلا نهايه أوله. وإن قلتم منتاه فقد كان ولا شىء منهما. قالوا: نعم. قال لهم: أقلتم إن العالم قديم غير محدث، وأنتم عارفون بمعنى ما أقررتم به وبمعنى ما جحدتموه؟ قالوا: نعم. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فهذا الذى تشاهدونه من الأشياء بعضه إلى بعض يفتقر؛ لأنه لا قوام للبعض إلا بما يتصل به، كما نرى البناء محتاجاً بعض أجزائه إلى بعض، و

إلا لا يتسق ولا يستحکم، و كذلك سائر ما نرى. و قال صلى الله عليه و آله أيضا: فإذا كان هذا المحتاج بعضه إلى بعض لقوته و تمامه هو القديم فأخبروني بأنه لو كان محدثا كيف كان يكون؟ و ماذا كانت صفته؟ فبهتوا، و علموا أنهم لا يجدون للمحدث صفة يصفونه بها إلا و هي موجوده في هذا الذى زعموا أنه قديم. فوجموا و قالوا: سننظر فى أمرنا. ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه و آله على الثنويه الذين قالوا: «النور و الظلمه هما المدبران»، فقال صلى الله عليه و آله: و أنتم فما الذى دعاكم إلى ما قلموه من هذا؟ [صفحہ ۲۳۴] فقالوا لأنا وجدنا العالم صنفين: خيرا و شرا، و وجدنا الخير ضد للشر، فأنكرنا أن يكون فاعل واحد يفعل الشىء و ضده، بل لكل واحد منهما فاعل. ألا ترى أن الثلج محال أن يسخن، كما أن النار محال أن تبرد، فأثبتنا لذلك صانعين قديمين ظلمه و نورا؟! فقال لهم رسول الله صلى الله عليه و آله: أفلستم قد وجدتم سوادا و بياضا و صفرة و خضره و زرقه؟ و كل واحد ضر لسائرهما؛ لاستحاله اجتماع مثلين منهما فى محل واحد، كما كان الحر و البرد ضدین؛ لاستحاله اجتماعهما فى محل واحد؟ قالوا: نعم. قال صلى الله عليه و آله: فهلا أثبتتم بعدد لون صانعا قديما ليكون فاعل كل ضد من هذه الألوان غير فاعل الضد الآخر؟ فسكتوا! ثم قال صلى الله عليه و آله: فكيف النور و الظلمه، و هذا من طبعه الصعود، و هذه من طبعها النزول؟! أرأيتم لو أن رجلا أخذ يمشى نحو الشرق و آخر نحو الغرب أكان يجوز عندكم أن

يلتقيا ما دام سائرين على وجهيهما؟ قالوا: لا. قال صلى الله عليه وآله: فوجب أن لا يختلط النور بالظلمة؛ لذهاب كل واحد منهما في غير جهه الآخر، فكيف وجدتم حدوث هذا العالم من امتزاج ما هو محال أن يمتزج؟! بل هما مدبران جميعا مخلوقان. فقالوا: سننظر في امورنا. ثم أقبل رسول الله على مشركى العرب، فقال صلى الله عليه وآله: و أنتم فلم عبدتم الأصنام من دون الله؟ فقالوا: نتقرب بذلك إلى الله تعالى. فقال صلى الله عليه وآله: أو هي سامعه مطيعه لربها، عابده له حتى تتقربوا بتعظيمها إلى الله؟ قالوا: لا. قال صلى الله عليه وآله: فأنتم الذين نحتموها بأيديكم؟ قالوا: نعم. قال صلى الله عليه وآله: فلئن تعبدكم هي - لو كان يجوز منها العباده - أحرى من أن تعبدوها! إذن لم يكن أمركم بتعظيمها من هو العارف بمصالحكم و عواقبكم و الحكيم فى ما يكلفكم. [صفحہ ۲۳۵] قال الامام عليه السلام: فلما قال رسول الله صلى الله عليه وآله هذا القول اختلفوا: فقال بعضهم: إن الله قد حل فى هياكل رجال كانوا على هذه الصورة، فصورنا هذه الصور نعظمها لتعظيمنا تلك الصور التى حل فيها ربنا. و قال آخرون منهم: إن هذه صور أقوام سلفوا كانوا مطيعين لله قبلنا، فمثلنا صورهم و عبدناها تعظيما لله. و قال آخرون منهم: إن الله لما خلق آدم و أمر الملائكه بالسجود له كنا نحن أحق بالسجود لآدم من الملائكه، ففاتنا ذلك، فصورنا صورته، فسجدنا تقربا إلى الله، كما تقرب الملائكه بالسجود لآدم إلى الله تعالى. و كما أمرتم بالسجود بزعمكم إلى جهه مكه، ففعلتم، ثم نصبتم فى غير ذلك البلد بأيديكم محاريب سجدتم إليها، و قصدتم الكعبه إلى الله عزوجل

لا إليها. فقال رسول الله: أخطأتم الطريق و ضللتهم - و هو يخاطب الذين قالوا: إن الله يحل في هياكل رجال كانوا على هذه الصور التي صورناها، فصورنا هذه الصور نعظمها لتنظيمنا لتلك الصور التي حل فيها ربنا، فقد وصفتهم ربكم في شىء حتى يحيط به ذاك الشىء؟! فأى فرق بينه إذا و بين سائر ما يحل فيه من لونه و طعمه و رائحته و لينه و خشونته و ثقله و خفته؟ و لم صار هذا المحلول فيه محدثا و ذلك قديما دون أن يكون ذلك محدثا و هذا قديما؟ و إذا و صفتهم بصفه المحدثات في الحلول فقد لزمكم أن تصفوه بالزوال و الحدوث! فصفوه بالفناء؛ لأن ذلك أجمع من صفات الحال و المحلول فيه، و جميع ذلك متغير الذات. فإن كان لم يتغير ذات البارئ تعالى بحلولة في شىء جاز أن لا يتغير بأن يتحرك، و يسكن، و يسود، و يبيض، و يحمر، و يصفر. و تحلله الصفات التي تتعاقب على الموصوف بها حتى يكون فيه جميع صفات المحدثين. تعالى الله عن ذلك علو كبيرا. ثم قال رسول الله صلى الله عليه و آله: فإذا بطل ما ظننتموه من أن الله يحل في شىء فقد فسد ما بنيتم عليه قولكم، فسكت القوم، و قالوا: سننظر في أمورنا. ثم أقبل رسول الله على الفريق الثاني، فقال: أخبرونا عنكم إذا عبدتم صور من كان [صفحه ٢٣٦] يعبد الله، فسجدتم لها، و صليتم فوضعتم الوجوه الكريمة على التراب بالسجود لها فما الذى أبقيتم لرب العالمين؟! أما علمتم أن من حق من يلزم تعظيمه و عبادته أن لا يساوى به عبده؟! أرايتم ملكا أو عظيما إذا سويتموه بعبده في التعظيم و

الخشوع والخشوع أيكون فى ذلك وضع من الكبير كما يكون زياده فى تعظيم الصغير؟! فقالوا: نعم. قال صلى الله عليه وآله: أفلا تعلمون أنكم من حيث تعظمون الله بتعظيم صور عباده المطيعين له تزرون على رب العالمين؟! فسكت القوم بعد أن قالوا: سننظر فى أمرنا. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله للفريق الثالث: لقد ضربتم لنا مثلا وشبهتمونا بأنفسكم ولسنا سواء، و ذلك أنا عباد الله مخلوقون، نأتمر له فى ما أمرنا، و نترجر عما زجرنا، و نعبده من حيث يريد منا. فإذا أمرنا بوجه من الوجوه أطعناه، و لم نتعد إلى غيره مما لم يأمرنا و لم يأذن لنا؛ لأننا لا ندرى لعله إن أراد منا الأول فهو يكره الثانى، و قد نهانا أن نتقدم بين يديه، فلما أمرنا أن نعبده بالتوجه إلى الكعبة أطعناه، ثم أمرنا بعبادته بالتوجه نحوها فى سائر البلدان فأطعناه، و لم نخرج فى شىء من ذلك عن اتباع أمره. و الله حيث أمر بالسجود لآدم لصورته التى هى غيره، فليس لكم أن تقيسوا ذلك عليه؛ لأنكم لا تدرون لعله يكره ما تفعلون، إذ لم يأمركم به. ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: أرأيتم لو أذن لكم رجل دخول داره يوما بعينه ألكم أن تدخلوها بعد ذلك بغير أمره؟! أو لكم أن تدخلوا دارا له اخرى مثلها بغير أمره؟! أو وهب لكم ثوبا من ثيابه أو عبدا من عبيده أو دابه من دوابه، ألكم أن تأخذوا ذلك؟ قالوا: نعم. قال صلى الله عليه وآله: فإن لم تأخذوه ألكم أخذ آخر مثله؟ قالوا: لا، لأنه لم يأذن لنا فى الثانى كما أذن لنا فى الأول. قال صلى

الله عليه وآله: فأخبروني، الله أولى بأن لا يتقدم على ملكه بغير أمره أو بعض المملوكين؟ [صفحة ٢٣٧] قالوا: بل الله أولى بأن لا يتصرف في ملكه بغير إذنه. قال صلى الله عليه وآله: فلم فعلتم؟ ومتى أمركم بالسجود لهذه الصور؟ فقال القوم: سننظر في أمورنا، وسكتوا. وقال الامام الصادق عليه السلام: فوالذي بعثه بالحق نبيا ما أتت على جماعتهم إلا ثلاثة أيام حتى أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله فأسلموا، وكانوا خمسة وعشرين رجلا من كل فرقة خمسة، وقالوا: ما رأينا مثل حجتك يا محمد، نشهد إنك رسول الله [٣٦٠]. [صفحة ٢٣٩]

المبلغ و التبليغ

اشاره

(يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين) [٣٦١] لقد أمر الله محمدا صلى الله عليه وآله بالانذار، والتبشير، والدعوة، والتبليغ، وإن اختلف المقصود بكل منها. فالمقصود بالانذار: الكفار والمشركون. والمقصود بالتبشير: المؤمنون. والمقصود بالدعوة: كلا الفريقين. والمقصود بالتبليغ: المسلمون. فمحمدا صلى الله عليه وآله هو المنذر، والمبشر، والداعي، والمبلغ بلسان القرآن.

يا أيها الرسول

خاطب الله محمدا صلى الله عليه وآله في هذه الآية بلقب الرسول، ولم يلعبه بذلك في كتابه إلا في آية واحدة أخرى، أراد بها تسليبه رسوله؛ لحزنه بما كان يرى من مسارعه بعض الناس في الكفر، فقال تعالى: (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر...) [٣٦٢]. [صفحة ٢٤٠] والقاسم المشترك بين الآيتين: اختصاص المضمون في كل منهما بالرسول، ولا يشرك معه غيره، فإن التبليغ من وظائف الرسول خاصة. كما أن الحزن للذين يسارعون في الكفر يختص بالرسول: إما لأجل رحمته بهم، أو لأنه يخطر في باله أنه مقصر في رسالته، أو لكلاهما، فبشره الله بانتفاء ذلك.

بلغ ما أنزل إليك من ربك

أمر الله رسوله بتبليغ ما أنزل عليه من قبل، وإن الأمر يتعلق بتبليغ حكم لم يكن له نظير، لا قبل ذلك، ولا بعده. فإن سنه الله كانت على إنزال الأحكام فقط، واختيار ساعه التبليغ كان بيد النبي صلى الله عليه وآله في أي وقت يراه صالحا لذلك، فلم يؤمر النبي، بتبليغ حكم من جانب ربه سوى ما في هذه الآية، حيث أنزل الله عليه الحكم أولا، ثم أمر بتبليغه ثانيا. ويفيد ذلك: أن ما أنزل إلى الرسول كان من أهم الاسس الدينيه عند الله، حيث خصصه بشيء دون سائر الأحكام، وهو: أن ساعه تبليغه قد حددت من جانب ربه عزوجل. خصوصيات في الآيه، وتشهد على أن الحكم كان محل اهتمام الرب عزوجل: منها: إضافه «ما أنزل» إلى «كاف» الخطاب، حيث لم يطلق، ولم يقل: بلغ ما أنزل. ومنها: إضافه كلمه «الرب» إلى «كاف» الخطاب، فلم يعبر عن ذاته المقدسه من دون إضافه، فلم يقل: «ما أنزل

إليك من الرب»، و «من الله»، فأبى الله - عزوجل - إلا إسناد نفسه إلى رسوله. ومنها: تصدير الآية بقوله: يا أيها الرسول، حيث لم يقل: يا أيها النبي، فإن الواجب على الرسول الرسالة. ومنها: قوله تعالى: (وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) فإنه يفيد: أن ذلك الحكم الذى انزل إلى الرسول له الأصله فى دين الله عند الله، بحيث لو لم يكن الرسول يبلغه لما كان قائما بواجب الرسالة. [صفحة ٢٤١] و هنا يتوجه سؤال: ما هو هذا الحكم الذى له هذا الاهتمام عند الله، و الذى له الأصله فى دينه بحيث إذا لم يبيله لم يقيم بواجب الرسالة؟ سيما بعد أن عرفنا أن الآية نزلت على رسول الله فى الأيام الأخيره من حياته المقدسه، بعد أن كان مبلغا لجميع الأحكام، مؤديا رسالته الكريمة زهاء ثلاث و عشرين سنه، و كانت الشريعة يومئذ منسقه، و أحكامها واصله، و قواعدها مشيده. فالصلاه كانت قائمه، و الزكاه مفروضه، و رمضان يصام، و البيت يحج إليه، و الحلال قد بين، و الحرام قد اعلن، فلم يعرف شىء من الأحكام النازله من جانبه تعالى إلا و قد بلغه الرسول و قام برسالته فيه فما هو ذلك الحكم الذى استحق عند الله هذا التأكيد، و قد اقتضى الحض على تبليغه هذا الوعيد؟! و قد كان الرسول صلى الله عليه و آله صرف حياته المقدسه فى التبليغ سنين و أعواما.

و الله يعصمك من الناس

تفيد هذه الجملة: أن الرسول كان يرى أنه غير معصوم من الناس إذا بلغ ما انزل إليه، فكان يترصد وقتا يعصم فيه من الناس ليستطيع تبليغ ما انزل إليه، و إذا عرفنا أن المقصود بالتبليغ هم المسلمون يزيد العجب، و

تشتد الحيره؛ و ذلك لأن الرسول لم يكن يرى نفسه مستطيعا تبليغ هذا الحكم للمسلمين! و هلا كان صحابته الكبار و أخصاؤه الكرام قادرين على أن يعصموه من الناس؟ تلك العصبه التي كانوا يضحون بأنفسهم فى سبيله، و يتسابقون إلى الشهاده لحفظ حياته، فكيف لمى قدروا أن يعصموه ليكون بحاجه إلى العصمه من جانب القدره الالهيه الكبرى؟! ثم إنه لم يعرف من حياه النبى صلى الله عليه و آله و سيرته كونه يخشى فى دعوته الكفار، فضلا عن أن يخشى فى تبليغه حكما للمسلمين، و الحال أن تبليغ ذلك الحكم كان فى عصر قوه الاسلام و شوكته، حينما كان الناس يدخلون فى دين الله أفواجا. و من الجدير بالذكر: أن «ال» التي تحلى بها كلمه «ناس» تدل على العهد، لبعده [صفحه ٢٤٢] كونها للاستغراق، و تفيد الناس المعهودين الذين يعرفهم الرسول، و هم كانوا من المسلمين. فقد تبلور من جميع ذلك بأن الآيه الكريمة تخبرنا بنزول حكم و دستور عظيم من جانب الله تعالى، و كان قبوله صعبا على اناس من صحابته، بحيث كانوا يمنعون عن التبليغ، حيث يرون ذلك الحكم معارضا لمصالحهم، و كان النبى صلى الله عليه و آله يعرف ذلك، فكان ينتظر فرصه، و يترصد ساعه يستطيع فيها تبليغ ذلك الحكم. كما تبين أن الحكم كان سياسا دنيويا، و إلا ما كان معارضا لمصالح اناس، فقد جاء الأمر من الله بتبليغه مشتملا على التهديد، بأنه لو لم يفعل لما بلغ رسالته، و كان الخطاب محتويا لوعده بأن الله يعصمه من الناس. فقام الرسول صلى الله عليه و آله بتبليغ ذلك الحكم، و لم يؤخر، و كان ذلك فى يوم الغدير، و من المعلوم أن نص يوم الغدير

نص قطعى لاريب فى ثبوته، رواه أكثر من مائه صحابى، فقد بلغ حد التواتر فى جميع القرون الاسلاميه. وقد سمعت اهتمام الله تعالى بالدستور الذى أوحى إلى رسوله، فأفاد صلى الله عليه وآله به وبلغ، وإليك التفصيل: كان اليوم قائضا، شديد الحر، و النبى صلى الله عليه وآله نازل فى غدير خم، راجع من حجه الوداع، وفود الحج الزاخره فى عرض الصحراء توشك أن تتفرق إلى مذهبها، كل جمع إلى داره ووطنه.هناك اندفع صوت مؤذن النبى صلى الله عليه وآله يدعو الناس من سبلهم المتفرقه إلى درجات الغدير، فاجتمع الناس من هنا و من هناك، جموعا تزحم الرحب الفسيح. فوصل من تأخر عن الركب، و رجع من تقدم، فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وآله صلاه الظهر، ثم صنع له منبر من أحجاج الابل رقيه النبى صلى الله عليه وآله، و على دونه بمرقاه على استشراف العيون، و أرهاف الأسماع، و تتابع الأعناق.فبدأ النبى صلى الله عليه وآله بالخطبه بصوته السماوى الحنون: يا أيها الناس، إني يوشك أن ادعى فاجيب، و إني مسؤول و إنكم مسؤولون، فمادا أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك بلغت و جاهدت و نصحت، فجزاك الله خيرا. [صفحه ٢٤٣] ثم قال صلى الله عليه وآله: أستم تهشدون أن لا إله إلا الله و أن محمدا عبده و رسوله، و أن جنته حق، و أن ناره حق، و أن الموت حق، و أن البعث حق بعد الموت، و أن الساعه آتية لا ريب فيها، و أن الله يبعث من فى القبور؟ قالوا: بلى، نشهد بذلك.قال صلى الله عليه وآله: اللهم

اشهد، مؤكداً ثلاثاً. ثم قال صلى الله عليه وآله: إن الله مولاي و أنا مولى المؤمنين، و أنا أولى بهم من أنفسهم. ثم أخذ بضبع علي فقال: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه، و عاد من عاداه، و انصر من انصره، و اخذل من خذله، و أدر الحق معه حيثما دار. يا أيها الناس، أنا فرطكم، و إنكم واردون علي الحوض، أعرض مما بين بصري إلى صنعاء فيه عدد النجوم قد حان من فضه، و إنى سائلكم حين تردون علي الحوض، عن الثقلين كيف تخلفوني فيهما: الثقل الأكبر كتاب الله عزوجل، سبب طرفه بيد الله تعالى و طرفه بأيديكم فاستمسكوا به، لا تضلوا و لا تبدلوا، و عترتي أهل بيتي، فإنه قد نبأني اللطيف الخبير: أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض... [٣٦٣]. قوله صلى الله عليه وآله: «إنى يوشك أن ادعى فاجيب» إخبار بتأسيس الحكم لما بعده، حكماً شرعياً ديموقراطياً، و ليس بديكتاتورى. قوله صلى الله عليه وآله: «إنى مسؤول» فقد كان مسؤولاً عند الله بتبليغ أمره. قوله صلى الله عليه وآله: «و إنكم مسؤولون» إذ المسلمون كلهم مسؤولون بإطاعته الله و إطاعه نبيه، و إطاعه الأمر الذى صدر منهما.

اهتمام الرسول بتبليغ ما انزل إليه من ربه

١- أمر الرسول صلى الله عليه وآله عند إرادته تبليغ ما انزل إليه من ربه بإرجاع السابقين من [صفحة ٢٤٤] الركب، ثم صبره صلى الله عليه وآله إلى أن وصل المتأخرون منهم، حتى اجتمعوا جميعاً. ٢- بعد حصول اجتماع القوم لم يتأخر فى القيام بالتبليغ و لو بمقدار كسر سورة الحر، بل تقدم و أسرع، و خطب فى وقت الهاجرة. ٣- أخبر فى مبتدأ كلامه بأجلى التعبير بقرب وفاته

و دنو أجله، ليعرفوا لزوم التبليغ عليه، مخافه أن يرتحل عن الدنيا و لم يبلغ ما انزل إليه من ربه، فإن تبليغ ما انزل لا يحصل إلا بما صنعه، فكان لا يرجو أن يتحقق بعد ذلك نظير ذلك الاجتماع في حياته المقدسه. ٤- أخبر عن مسؤوليته أمام ربه تعالى، أولاً ثم أخبر عن مسؤوليه جميع المسلمين أمام ربهم؛ ليعرفوا الاشتراك في المسؤوليه، و لكن مسؤوليه الرسول صلى الله عليه و آله مسؤوليه الراعى، و مسؤوليه المسلمين مسؤوليه الرعيه، فكما أنه مسؤول عندالله عن التبليغ فالمسلمون كلهم مسؤولون عنده عن القبول و الاطاعه. ٥- أخذ منهم الاقرار بأنه بلغ و جاهد و نصح، ليعرفوا أن تبليغ ما انزل إليه من ربه فى نصب المولى عليهم بعده أمر من قبل ربه، و أنه جزء من واجبات الرساله، و أنه نصيحه لهم. ٦- ابتدأ فى كلامه بذكر اسس الاسلام و عمدته، مثل: وحدانيه الله، و أنه رسول الله؛ ليعرفوا أن الذى امر بتبليغه من اسس الاسلام و عمدته. ٧- ثم أخذ منهم الاقرار بأن الجنه حق، و النار حق، و الموت حق، و البعث حق، و أن الساعه آتية لا ريب فيها، و أن الله يبعث من فى القبور. ثم أكد ذلك بقوله: اللهم اشهد - ثلاثا - تذكيرا لهم بالبشاره و الانذار، فإنه البشير لمن أطاع الله، و النذير لمن عصى الله؛ حتى تلين قلوب المنافقين الطغاه، و يقربهم إلى طاعه الله، لعلهم يهتدون عند حصول الوثوق لهم بأنهم يموتون، و أنهم يبعثون بعد الموت، فالجنه للمطيعين، و النار للعاصين. و قد تكررت كلمه التحقيق فى قرائن كلامه صلى الله عليه و آله. ٨- ثم صدع بولايه الله تعالى عليه، و أشاد بولايه نفسه المقدسه

على المسلمين، [صفحة ٢٤٥] لم يكتف بذلك، بل تفضل بتفسير الولاية من القرآن بقوله: «أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم»، ثم صدع بولاية علي بن أبي طالب بمثل ما له من الولاية، فعلى عليه السلام أولى بالمؤمنين من أنفسهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأن لفظ «المولى» استعمل في كلامه أربع مرات كلها بمعنى واحد، فقوله صلى الله عليه وآله: «الله مولاى» يفيد المعنى الذى يفيد قوله: «و أنا مولى المؤمنين» و علي بن أبي طالب عليه السلام مولى المؤمنين بنفس ذلك المعنى، فهو مفترض الطاعة و واجب الاطاعة، كما أن الله كذلك، و أن الرسول كذلك. فولاه الخلق ثلاثة الله، و رسوله، و علي بن أبي طالب. و هذه الولاية لها مراتب ثلاث: الله ولى الرسول و علي و الخلق، و الرسول ولى علي و الخلق، و علي ولى الخلق، و إن ولاية علي من ولاية الرسول، و ولاية من ولاية الله. ٩- دعا لعلي بعد تبليغ ولايته، و النص على خلافته بدعاء يختص بالزعماء و القادة، باعتبار زعامتهم و قيادتهم لامتهم، لا باعتبار شخصهم، فقال صلى الله عليه وآله: اللهم وال من والاه، و عاد من عاداه، و انصر من نصره، و اخذل من خذله، ثم أكد دعاءه لعلي بدعاء يلزم جميع المسلمين اتباعه، ولا يجوز لاحد التنحي عنه، فقال صلى الله عليه وآله: و أدر الحق معه حيثما دار. و بهذا الدعاء تبين الرشد من الغي، و عرفت الفرقه الناجيه، فالناجى من سلك سبيل علي و الضال من انحرف عن سبيله. إذن الحق يدور مع علي حيثما دار. ١٠- و فى كلامه أشار إلى الثقلين الباقيين بعده: كتاب الله، و عترته أهل

بيته، فهم عدل لكتاب الله، و على منهم. و قد صرح مره اخرى بأن البعث حق فى ختام كلامه؛ ليجعله ضامنا لاجراء أوامره و الدستور الذى بلغه، فقال صلى الله عليه و آله: إني سائلكم حين تردون على الحوض، فإن الضامن لاجراء أحكام محمد صلى الله عليه و آله غير مستعجل، و هو الآخره، إذ من المستحيل أن يهرب أحد من عقاب الله و كان له سعه وقت لأن يتوب، و ذلك غايه فى الرحمه. [صفحه ٢٤٦]

وحده البدايه و النهايه

كان نص يوم الانذار فى بدايه حياه محمد صلى الله عليه و آله النبويه، و النص الذى امر بتبليغه فى أخريات حياته المقدسه، فالمبدأ و المنتهى فى كتاب الله و فى كلام محمد صلى الله عليه و آله واحد، فأقواله و سيرته غير متغيره و لا متبدله.

سخط النفاق على التبليغ

و فى السيره الحلبيه: لما شاع قوله صلى الله عليه و آله: «من كنت مولاه فعلى مولاه» فى سائر الأمصار و طار فى جميع الأقطار بلغ الحرث بن النعمان الفهرى، فقدم المدينه و أناخ راحلته عند باب المسجد، فدخل و النبى صلى الله عليه و آله جالس و حوله أصحابه، فجاء حتى جثا بين يديه، ثم قال: يا محمد، إنك أن نشهد أن لا إله إلا الله و أنك رسول الله فقبلنا ذلك منك، و إنك أمرتنا أن نصلى فى اليوم و الليله خمس صلوات، و نصوم شهر رمضان، و نركى أموالنا، و نحج البيت فقبلنا ذلك منك، ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعى ابن عمك ففضلته علينا، و قلت: «من كنت مولاه فعلى مولاه» فهذا شىء من الله أو منك؟! فاحمرت عينا رسول الله صلى الله عليه و آله و قال: والله الذى لا إله إلا هو إنه من الله و ليس منى، قالها ثلاثا للحرث. فقام الحرث و هو يقول: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك (و فى روايه: اللهم إن كان ما يقول محمد حقا) فأرسل علينا حجاره من السماء، واثنتا بعذاب أليم. فوالله ما بلغ المسجد حتى رماه بحجر من السماء فوق على رأسه فخرج من دبره فمات، و أنزل الله (سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع) [٣٦٤] [٣٦٥].]

المناشده بالنص

خطب الناس أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في الرحبه وقال: انشد الله امرءا نشده الاسلام، سمع رسول الله يوم غدیر خم آخذاً بيدي يقول: ألسن أولى بكم - يا معشر المسلمين - من أنفسكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال عليه السلام: من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه، و عاد من عاداه، و انصر من نصره، و اخذل من خذله، فقام بضعه عشر رجلاً فشهدوا، و كتم قوم فما فنوا من الدنيا حتى عموا أو برصوا. و جاء رهط إلى علي بالرحبه فقالوا: السلام عليك يا مولانا، فقال: كيف أكون مولاكم و أنتم قوم عرب؟! قالوا: سمعنا رسول الله صلى الله عليه و آله يوم غدیر خم يقول: من كنت مولاه فهذا علي مولاه. قال الراوى: فلما مضوا أتبعتم، فسألت من هؤلاء؟ قالوا: نفر من الأنصار فيهم أبوأيوب الأنصارى [٣٦٦]. [صفحة ٢٤٩]

الولى و ولايته المطلقه

إشارة

(إنما وليكم الله و رسوله و الذين يقيمون الصلوه و يؤتون الزكوه و هم راعون - و من يتول الله و رسوله و الذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) [٣٦٧]. و من المناصب التى أعطها الله لمحمد صلى الله عليه و آله: الولاية العامه المطلقه على المؤمنين، فهو ولى على الناس كافة بالأولويه القطعيه، كما تكون هذه الولاية لله تعالى، فهو الولى المطلق كما يكون الله تعالى كذلك. و الفرق: أن ولاية الله على البشر ذاتيه تكوينيه، و ولاية محمد صلى الله عليه وسلم على البشر بأمر من الله و تشريعه. و تشريعه هذه الولاية قوله تعالى: (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم...) [٣٦٨]. فله صلى الله عليه و آله ولاية على كل مؤمن ما لا يكون له

على نفسه، فالنبي عليهم السلام واجب الاطاعه على جميع المؤمنين، كما أن الله كذلك، فوجوب طاعته كوجوب طاعه الله. و يشهد على ذلك قوله تعالى: (... أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الأمر منكم...) [٣٦٩] فمن أطاعه فقد أطاع الله تعالى. [صفحه ٢٥٠] ثم إنى لم أعثر على مورد عمل النبي صلى الله عليه و آله بهذه الولاية سوى فى قصه أمره بهدم مسجد ضرار، قال الله تعالى: (و الذين اتخذوا مسجدا ضرارا و كفرا و تفريقا بين المؤمنين و إرسادا لمن حارب الله و رسوله من قبل و ليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون - لا تقيم فيه أبدا...) [٣٧٠]. و إليك ملخص قصه المسجد: إن المنافقون اتفقوا و بايعوا عامر الراهب - ذلك الذى سماه رسول الله بالفاسق - و جعلوه أميرا عليهم، فقال لهم: الرأى أن أغيب عن المدينة؛ لئلا أتهم إلى أن يتم تدبيركم، و كاتبوا «كيدر» صاحب دومه الجندل ليقصد المدينة، فأوحى الله إلى رسوله و عرفه بما أجمعوا عليه من أمره، و أمره بالمسير إلى تبوك، فلما صح عزمه على الرحله إلى تبوك عمد هؤلاء المنافقون فبنوا خارج المدينة مسجدا يريدون الاجتماع فيه، و يوهمون أنه للصلاه، و إنما كان ليتجمعوا فيه ليموا تدبيرهم، و يقع هناك ما يسهل به لهم ما يريدون، فجاء جماعه منهم إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و قالوا يا رسول الله: إن بيوتنا قاصيه عن مسجدك، و إنا نكره الصلاه من غير جماعه، و يصعب علينا الحضور و قد بنينا مسجدا، فإن رأيت أن تقصده و تصلى فيه؛ لنتيمن و نتبرك بالصلاه فى موضع مصلاك حتى ترجع إن

شاء الله تعالى، فلم يخبرهم رسول الله بما عرفه الله من أمرهم و نفاقهم، فقال صلى الله عليه و آله: و أنا على جناح سفر، فأمهلوا حتى أرجع - إن شاء الله تعالى - ثم انظر فى هذا نظرا يرضاه الله، و لما عاد رسول الله صلى الله عليه و آله من سفره أمر بهدم المسجد و إحراقه، فأنزل الله تعالى الآية [٣٧١].

تكملة

قد عرفت أن الولاية العامة المطلقة قد ثبتت بنص القرآن لله و للرسول، و لمن كان مؤمنا و يقيم الصلاة و يؤتى الزكاة و هو راع، فمن هو هذا الثالث الذى له تلك الولاية [صفحة ٢٥١] فى عرض ولاية الله و ولاية رسوله؟ و من ذلك المؤمن؟ اتفقت الأمة الاسلاميه على أن هذا المؤمن هو على بن أبى طالب عليه السلام، و لا خلاف فى ذلك بين المفسرين، و عليه إجماع أهل البيت، و ذلك حين تصدق بخاتمه لسائل فى حال الصلاة و هو راع. و إليك القصة يحدثنا بها الصحابى الكبير أبوذر الغفارى: سمعت رسول الله - بهاتين و إلا فصمتا، و رأيت بهاتين و إلا فعميتا - يقول: على قائد البرره، و قاتل الكفرة، منصور من نصره، مخذول من خذله. صليت الظهر مع رسول الله صلى الله عليه و آله يوما فى مسجده، فسأل سائل فلم يعطه أحد شيئا، و على كان راعا، فأوماً إليه بخنصره اليمنى - و كان يختم فيها - فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره، و ذلك بمرأى من النبى صلى الله عليه و آله عند فراغه من صلاته، فرفع صلى الله عليه و آله رأسه إلى السماء، فقال: اللهم إن أخى موسى سألك و قال: (رب

اشرح لى صدرى) [٣٧٢] إلى آخر الآيات، فأنزلت عليه قرآنا ناطقا: (قال سنشد عضدك بأخيك و نجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما...) [٣٧٣] اللهم و أنا محمد نبيك و صفيك، اللهم فاشرح لى صدرى، و يسر لى أمرى، و اجعل لى وزيراً من أهلى، علياً أشدد به أزرى. فوالله ما استتم رسول الله صلى الله عليه و آله الكلمه حتى انزل عليه جبرائيل من عند الله، فقال: يا محمد، اقرأ، قال: و ما أقرأ؟ قال: اقرأ: (إنما وليكم الله و رسوله و الذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) [٣٧٤]. [صفحه ٢٥٣ راعون - و من يتول الله و رسوله و الذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) [٣٧٤]. [صفحه ٢٥٣

خاتم النبيين

(ما كان محمد أباً أحد من رجالكم و لكن رسول الله و خاتم النبيين و كان الله بكل شىء عليماً) [٣٧٥]. الخاتم و الخاتم: ما يختم به عاقبه كل شىء. لقد ختم الله النبوه بمحمد صلى الله عليه و آله و لم يبعث بعده نبياً، فهو خاتم الأنبياء، و «حلاله حلال إلى يوم القيامة، و حرامه حرام إلى يوم القيامة» [٣٧٦] و كان محمد صلى الله عليه و آله نبياً و رسولاً، و خاتم النبيين، و دينه أبدي سمردي لم ينسخ و لن ينسخ، كما أن معجزته معجزه إلى يوم القيامة، فهي خالدة. إن الانسان كلما كمل عقله و علمه لا يستغنى عن دين يؤمن به، و عن رأى مقدس يعتقد، فهو فى نهايه أمره بحاجه إلى الدين، كما كان كذلك فى بدايه أمره. فإن عقل البشر فى نهايه أمره و إن يفضل على عقله فى بدايه أمره من أجل كشف مجاهيل الكون، و تكامل

العلوم، و حدوث الجديد من الاختراعات و لكنه بشر، [صفحه ٢٥٤] لا يستطيع عقله السيطرة على غرائزه و نزعاته ليكون موصلا له إلى غاياته الانسانيه العليا، فهو مغلوب دائما أمام شهوته و غضبه، فهو محتاج إلى إعانه عقله من الخارج، ليتمكن من تنفيذ ما يريد عقله. و لا- فرق في ذلك بين الانسان العاقل و المجنون، كما لا فرق بين العالم و الجاهل. إن المجنون يسعى للوصول إلى غاياته الطبيعیه كالحيوان، و كذلك العاقل ساع للوصول إلى الغايات المطلوبه لطباعه، بل هو أقرب من المجنون؛ لأنه يسعى وراء غاياته كعاقل، و يجعل عقله وسيله للوصول إلى مآربه، فهو مستخدم لعقله للوصول إلى متطلباته الطبيعیه. و يفترق عن المجنون بأنه يتمكن بإعانه الهدايه من جانب الله الحكيم أن يخلص عقله من استعمار نزعاته، و يجعله أميرا على نفسه، و يعطيه الحريه من استعباده للطبيعیه، و لكن المجنون لا- يتمكن من ذلك، فهو ليس بمسؤول أمام الشرع و القانون، بخلاف العاقل فإنه مسؤول. و كذلك الجاهل و العالم، فإن الجاهل مهتم دائما بالوصول إلى أطماعه و أغراضه، و مثله العالم، و لكنه أسرع وصولا من الجاهل، فإن من يركب الطائره فهو أسرع وصولا إلى مقصده ممن يمشى على رجلیه، فالعالم يستفيد من علمه للوصول إلى مآربه، و لكن الجاهل محروم من هذه الاستفاده، و فاقد لهذا الشرف، و لولا الهدايه الالهيه لكان علم العالم كعقله، و عبدا لنزعاته الطبيعیه، بل لكان سدا للوصول إلى الغايات الانسانيه العليا. فكل من الجاهل و العالم لا يتوقفان للوصول إلى السعاده الأبدیه إلا بإعانه من جانب الرحمه الالهيه. فالبشر بحاجه إلى الدين ما داموا بشرا، و ما داموا يمشون على وجه الأرض، فما أتى

به محمد صلى الله عليه وآله - وهو رحمه للعالمين، رحمه لجميع الأجيال، وجميع القرون - فهو هداية للانسان المنتهى، كما كان هداية للانسان المبتدى. ولا يختلف الانسان المنتهى عن الانسان المبتدى في ضعف عقله أمام نزعاته [صفحة ٢٥٥] و غرائزه، ولا يختلف العالم في هذا الجبهه عن الجاهل، إذ كل منهما بشر. وإن قرآن محمد صلى الله عليه وآله معجزه خالده، و هاد و مرشد، و داع إلى الله جميع النفوس البشريه السابقه و اللاحقه، إذا النفوس اللاحقه و من يأتي في المستقبل ليس بخار عن العالمين، فمحمد صلى الله عليه وآله رحمه له. و مما يجدر بالذكر أن قوله تعالى: (ما كان محمداً أباً أحد من رجالكم و لكن رسول الله وخاتم النبيين) يفيد بالمفهوم: أن فاطمه الزهراء سيده نساء العالمين عليه السلام و أنها بنت رسول الله صلى الله عليه وآله و خاتم النبيين صلوات الله عليها و على امها و أبيها و بعلها و بنيتها و رحمه الله و بركاته.

پاورقی

[١] الاختصاص، ص ٣٣٧، تحف العقول، ص ٣٤.

[٢] الانسان (٧٦) الآيه ٣.

[٣] البحار، ج ٣٩، ص ٥٦، ح ٨.

[٤] انظر: مسالك الافهام، ج ٧، ص ٦٩؛ مشكل الثار، ج ١، ص ٢٦٧؛ مستدرک الحاکم، ص ٣٤٠؛ مجمع البيان، ج ٨، ص ٣٥٣؛ تفسير القمی، ج ٢، ص ١٩٢.

[٥] الكافي، ج ٥، ص ٣٤١، ح ٩، البحار، ج ١٦، ص ٢٦٥، ح ٦٢.

[٦] الاصابه، ج ٤، ص ٤، ق ١؛ فضائل الخمسه، ج ١، ص ١٤٩.

[٧] أي تهدم، و تسقط، و تزيل.

[٨] البحار، ج ٢١، ص ١٠٥؛ مجمع البيان، ج ١٠، ص ٥٥٣.

[٩] الاعراف (٧) الآيه ١٥٧.

[١٠] الصف (٦١) الآية ٦.

[١١] الانبياء (٢١) الآية ١٠٧.

[١٢] الاعراف (٧) الآية ١٠٣.

[١٣] هود (١١) الآية ٩٦ و ٩٧.

[١٤] أعلام الورى، ص ١٣ و ١٤؛ البحار، ج ٢٢، ص ٣٥٥، ح ١؛ كمال الدين و تمام النعمه، ص ١٦١، ح ٢١.

[١٥] كمال الدين، ص ١٢ و ١٣؛ تاريخ اليعقوبى، ج ٢، ص ٤ و ٥.

[١٦] مجمع البيان، ج ١٠، ص ٥٤٢-٥٤٠؛ أنوار التنزيل، ج ٢، ص ٦١٩؛ البحار، ج ١٥، ص ١٤١-١٣٣.

[١٧] الشعراء (٢٦) الآية ٢١٩-٢١٧.

[١٨] البحار، ج ١٥، ص ٣، ح ١ و ص ٧، ص ٦ و ٧ و ص ١١٧، ح ٦٣، تفسير القمى، ص ٤٧٤، الاعتقادات للصدوق، ص ١١٦؛

تفسير فرات، ص ١٩٠؛ علل الشرائع، ص ٨٠.

[١٩] مجمع البيان، ج ٤، ص ٣٢٢؛ البحار، ج ١٥، ص ١١٧.

[٢٠] المائده (٥) الآية ١٣.

[٢١] مكارم الأخلاق، ج ١، ص ٥١، ح ١٩؛ مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٣٣؛ البحار، ج ١٦، ص ٢١٠ و ٢٣١.

[٢٢] نهج البلاغه، ص ٤١٦، الخطبه ١٩٢، فى وصف الرسول صلى الله عليه و سلم؛ البحار، ج ١٥، ص ٣٦٢-٣٦١، ح ١٨.

[٢٣] الفتح (٤٨) الآية ٢٨.

[٢٤] الضحى (٩٣) الآية ١١-٦.

[٢٥] انظر: البحار، ج ١٥، ص ١٠٤-٢ و ص ١٧٣-١٠٥ و ص ٣٣٠-١٧٤ و ص ٤١٥-٣٣١ عن: مجمع البيان، مناقب آل أبى

طالب، و أمالى و معانى و خصال و علل و كمال و اعتقادات الصدوق.

[٢٦] الشورى (٤٢) الآية ٥٢.

[٢٧] الضحى (٩٣) الآية ٧.

[٢٨] الدخان (٤٤) الآيه ٣.

[٢٩] البقره (٢) الايه ١٨٥.

[٣٠] العلق (٩٤) الآيه ٢.

[٣١] طه (٢٠) الآيه ١١٤.

[٣٢] الاسراء (١٧) الآيه ١٠٦.

[٣٣] أى: خمسه جمال أوارك، انظر: البحار، ج ١٥، ص ١٢٥ عن الواقدي في «المتنقى في مولود

المصطفى؟ وفيه: جمال أوراك، يعني قد أكلت الاراك، وفي بعض المصادر «أوداك».

[٣٤] السيره النبويه لابن هشام، ج ١، ص ٢٠٣؛ البحار، ج ١٥، ص ٩-٣ و ج ١٦، ص ٧٦-٥٥.

[٣٥] الضحى (٩٣) الايه ٩-١١.

[٣٦] ابراهيم (١٤) الآيه ٧.

[٣٧] هود (١١) الايه ٨١.

[٣٨] الأعراف (٧) الآيه ١٥٨.

[٣٩] الجمعه (٦٢) الآيه ٢.

[٤٠] العنكبوت (٢٩) الآيه ٤٨.

[٤١] السيره النبويه لابن هشام، ج ٣، ص ٢٠٣؛ البحار، ج ٧٧، ص ٣٣٣.

[٤٢] الجمعه (٦٢) الآيه ٢.

[٤٣] الانشراح (٩٤) الآيه ١-٦.

[٤٤] مجمع البيان، ج ١٠، ص ٥٠٨ عن تفسير البيضاوى، تفسير الميزان، ج ٢٠، ص ٣١٥ فى تفسير الايه ٤ من سوره الانشراح (٩٤).

[٤٥] آل عمران (٣) الآيه ١٥٩.

[٤٦] التوبه (٩) الآيه ٦١ و ١٢٨.

[٤٧] التوبه (٩) الآيه ٦١ و ١٢٨.

[٤٨] القلم (٦٨).

[٤٩] دلائل النبوه، ج ١، ص ٣١٢؛ سنن أبى داود، ج ٤، ص ٢٤٧، ٤٧٧٣.

[٥٠] مكارم الاخلاق، ج ١، ص ٧٨، ح ١٢٢؛ البحار، ج ١٦، ص ٢٤٧.

[٥١] روضه الكافى، ص ١٦٨؛ فقه الرضا عليه السلام، ص ٣٥٥.

[٥٢] عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ٢٤٦، ص ١؛ البحار، ج ١٦، ص ١٥٣-١٤٨، ح ٤؛ معاني الأخبار، ص ٧٩، ح ١؛ مكارم الاخلاق، ج ١، ص ٤٣.

[٥٣] مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ١٤٨.

[٥٤] مكارم الاخلاق، ج ١، ص ٦٣٥، ح ١٨٦٧.

[٥٥] المحاسن للبرقي، ص ٣٥٨، ح ٦٨؛ الكافي، ج ٢، ص ٤٩١، ح ٣؛ من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ١٨٢، ح ٨١٣.

[٥٦] مكارم الأخلاق، ج ١، ص ٥٦، البحار، ج ١٦، ص ٢٣٤.

[٥٧] مكارم الاخلاق، ج ١، ص ٥٧، ح ٣٨؛ البحار، ج ١٦، ص ٢٣٥.

[٥٨] الأنوار في شمائل المختار، ج ١، ص ٢٠٤، ح ٢٤٥؛ مكارم

الاخلاق، ج ١، ص ٥٧، ح ٤٠؛ البحار، ج ١٦، ص ٢٣٥.

[٥٩] مكارم الاخلاق، ج ١، ص ٥٧، ح ٤١؛ البحار، ج ١٦، ص ٢٣٥.

[٦٠] الاصابه تمييز الصحابه، ج ٣، ص ٥٩٧ و ٥٩٨.

[٦١] الجامع الصغير، ج ١، ص ١٢٣؛ كنوز الحقائق فى هامش الجامع الصغير، ج ١، ص ٩٥؛ مسند أحمد، ج ٤، ص ١٩٩ و ٢٠٤.

[٦٢] الكافى، ج ٥، ص ٣٤١، ح ٩؛ البحار، ج ١٦، ص ٢٦٥، ح ٦٢ و ج ٧١، ص ٤٠٢، ح ٩؛ نور الأبصار، ص ٤٦.

[٦٣] مجمع البيان، ج ٣، ص ١٧٠-١٦٩؛ البحار، ج ١٨، ص ٤٦ و ٤٧.

[٦٤] وفيات الاعيان، ج ٢، ص ١٠٧ و ١٠٨، ترجمه ٢٤٤.

[٦٥] مجمع البيان، ج ٢، ص ٥٠٠ و ٥٠١؛ البحار، ج ٢٠، ص ٢١.

[٦٦] المائده (٥) الآيه ٢٤.

[٦٧] السيره النبويه، ج ١، ص ٦١٥؛ المغازى، ج ١، ص ٤٨؛ تاريخ الطبرى، ج ٢، ص ١٤٠؛ البحار، ج ١٩، ص ٢١٧؛ صحيح

مسلم، ج ٥، ص ١٧٠؛ مسندا حمل بن حنبل، ج ٣، ص ٢١٩.

[٦٨] آل عمران (٣) الآيه ١٥٩.

[٦٩] النجم (٥٣) الآيه ٤٠.

[٧٠] الارشاد للمفيد، ص ١٧١؛ شرح نهج البلاغه، ج ٤، ص ١٦؛ البحار، ج ٤٤، ص ٤٩؛ صلح الحسن، ص ٢٨٥.

[٧١] سنن أبى داود، ج ٣، ص ١٨٧، فضائل الخمسه، ج ١٤٥، ١.

[٧٢] مكارم الأخلاق، ج ١، ص ٤٩؛ ذيل ح ١٣؛ الأنوار فى شمائل النبى المختار، ص ١٦٠، ح ١٩١؛ البحار، ج ١٦: ٢٣٠؛

مستدرک الوسائل، ج ٨، ص ٤٣٨، ح ٢؛ تنبيه الخواطر، ج ١، ص ٣٠.

[٧٣] الأنبياء (٢١) الآيه ١٠٧.

[٧٤] الاسراء (١٧) الآيه ١.

[٧٥] الصخب على وزن فعال: كثير الصخب و هو الضجه والصيحه و اضطرب الأصوات للخم.

الخنأ: الفحش، فى قبيح الكلام. و أحنى: أفحش، و أفسد لسان العرب، ج ١٤: (ماده خنا).

[٧٧] أمالى الصدوق، ص ٢٧٩؛ معانى الأخبار، ص ١٦٠ ح ١؛ اثبات الهداه، ج ١، ص ٣٥٧، ح ٦٦، البحار، ج ١٦، ص ٢١٦، ح ٤.

[٧٨] قال القلقشندى فى نهايه الارب، ص ٥١: بنو الحبلى، و هم بنو الحبلى، واسمه سالم بن غنم بن عوف ابن الخزرج، و ذكره ابن الأثير فى اللباب، و الفيروزآبادى فى القاموس المحيط، فراجع.

[٧٩] قرب الاسناد، ص ٤٤؛ البحار، ج ١٦، ص ٢١٩، ح ٧.

[٨٠] أى: تعب بعيرى و عجز عن السير.

[٨١] فى المصادر: «يا لهف أماه».

[٨٢] فى المصادر: «يا لهف أماه».

[٨٣] قاطع الدين: عين دينه.

[٨٤] جذاذ النخل: صرامها، قطع ثمرتها، و فى بعض النسخ «جداد» و المعنى واحد، و آذنى: أخبرنى.

[٨٥] الأنوار فى شمائل النبى المختار، ج ١، ص ٣١٣، ح ٤١٠؛ مكارم الأخلاق، ج ١، ص ٥٥، ح ٣٠، البحار، ج ١٦، ص ٢٣٢.

[٨٦] دلائل النبوه، ج ١، ص ٣١٢، مكارم الأخلاق، ج ١، ص ٤٩، ح ١٤؛ البحار، ج ١٦، ص ٢٣٠. و جميعها بتفاوت عما فى المتن.

[٨٧] اصول الكافى، ج ٢، ص ١٠٢، ح ١٥، البحار، ج ١٦، ص ٢٦٤، ح ٦١.

[٨٨] مكارم الأخلاق، ج ١، ص ٦٠، ح ٥٤؛ البحار، ج ١٦، ص ٢٣٦.

[٨٩] مكارم الأخلاق، ج ١، ص ٥٤، ح ٣٠؛ البحار، ج ١٦، ص ٢٣٣.

[٩٠] مكارم الأخلاق، ج ١، ص ٥٤، ح ٢٩؛ البحار، ج ١٦، ص ٢٣٣.

[٩١] ظهرانى أصحابه: و سطهم.

[٩٢] الوفاء بأحوال المصطفى صلى الله عليه و آله، ج ٢، ص ٤٣٦؛ مكارم الأخلاق، ج ١، ص ٤٨، ح ٨؛ الأنوار فى شمائل المختار، ج ١، ص ٣٠٠، ح ٣٨٨؛ دلائل النبوه، ج

١، ص ٣٢٨؛ البحار، ج ١٦، ص ٢٢٩.

[٩٣] الأنوار فى شمائل النبى المختار، ج ١، ص ٢٩٨، ح ٣٨٥؛ الوفاء بأحوال المصطفى صلى الله عليه وآله، ج ٢، ص ٤٣٦؛ مكارم الأخلاق، ج ١، ص ٤٧، ح ٢؛ البحار، ج ١٦، ص ٢٢٩، ح ٣٥. و الخطام: جبل يجعل فى عنق الدابه و يثنى فى أنفها و تحت الفك و الاكاف: كساء يلقى على ظهر الدابه، شبه الرجال و الأقتاب. (لسان العرب، ماده: اكف).

[٩٤] مكارم الأخلاق، ج ١، ص ٤٧، ح ٣؛ البحار، ج ١٦، ص ٢٢٩، ح ٣٥.

[٩٥] دلائل النبوه، ج ١، ص ٢٣١؛ الوفاء بأحوال المصطفى صلى الله عليه وآله، ج ٢، ص ٤١٧؛ مكارم الأخلاق، ج ١، ص ٤٧، ح ٥، البحار، ج ١٦، ص ٢٢٩؛ المستدرک، ج ٨، ص ٣٦٤، ب ٣٤، ح ١.

[٩٦] المستدرک، ج ٨، ص ٣٧٣، ب ٤٢، ح ٢؛ البحار، ج ١٦، ص ٢٢٩؛ الأنوار فى شمائل المختار، ج ١، ص ٣١٠، ح ٤٠٦.

[٩٧] الأنوار فى شمائل النبى المختار، ج ١، ص ٤١٣، ح ٣١٦؛ تاريخ بغداد، ج ٦، ص ٢٧٧؛ فضائل الخمسه، ج ١، ص ١٢٥. و القد: هو جلد المعزى (السخله).

[٩٨] المستدرک، ج ٨، ص ٤٦٥، ب ٩٣، ح ١٥ و ١٦؛ البحار، ج ١٦، ص ٢٣٠.

[٩٩] مكارم الأخلاق، ج ١، ص ٦٠، ح ٥١، المستدرک، ج ٨، ص ٢٣٩، ب ٤٩، ح ٧؛ البحار، ج ١٦، ص ٢٣٦؛ الأنوار فى شمائل النبى المختار، ج ١، ص ٣٥٣، ح ٤٦٤.]

[١٠٠] مكارم الأخلاق، ج ١، ص ٦٠، ح ٥٤؛ المستدرک، ج ٨، ص ٢٧٣، ب ١٥، ح ١؛ البحار، ج ١٦، ص ٢٣٦.

[١٠١]

مكارم الأخلاق، ج ١، ص ٥٤، ح ٣١؛ البحار، ج ١٦، ص ٢٣٣.

[١٠٢] مكارم الأخلاق، ج ١، ص ٥١، ح ٢٠؛ البحار، ج ١٦، ص ٢٣١ باختلاف عما في المتن.

[١٠٣] مكارم الأخلاق، ج ١، ص ٥١، ح ٢٠؛ البحار، ج ١٦، ص ٢٣١ باختلاف عما في المتن.

[١٠٤] فضائل ابن شاذان، ج ١، ص ١٢١؛ تنبيه الخواطر، ج ١، ص ٣٠؛ مستدرک الوسائل، ج ٨، ص ٣٤٨، ب ٨٣، ح ٣؛ المكارم، ج ١، ص ٦١ ح ٥٥؛ البحار، ج ١٦، ص ٢٣٦ باختلاف يسير.

[١٠٥] انظر: فضائل الخمسة من الصحاح الستة، ج ١، ص ١٣٥ و ما بعدها و البحار، ج ١٦، ص ٢٩٤-١٩٤.

[١٠٦] مكارم الأخلاق، ج ١، ص ٦٥، ح ٦٩؛ البحار، ج ١٦، ص ٢٤٠.

[١٠٧] ما بين المعقوفتين أثبتناه من المكارم و البحار و غيرهما كي يتقيم السياق.

[١٠٨] مكارم الأخلاق، ج ١، ص ٥٣، ح ٢٥ و ٢٦، البحار، ج ١٦، ص ٢٣٢؛ دلائل النبوه، ج ١، ص ٣٢٤ و ٣٢٥.

[١٠٩] مكارم الأخلاق، ج ١، ص ٥٣، ح ٢٧، البحار، ج ١٦، ص ٢٣٢..

[١١٠] المكارم الأخلاق، ج ١، ص ٦٤، ح ٦٣، البحار، ج ١، ص ٢٣٩.

[١١١] المرفعه بكسر الميم: الوساده، و في مكارم الأخلاق و البحار: «مرفقته».

[١١٢] مكارم الأخلاق، ج ١، ص ٩١، ح ١٦٧؛ البحار، ج ١٦، ص ٢٥٢؛ الأنوار في شمائل النبي المختار، ج ٢، ص ٥٥٤، ح ٨٣٥.

[١١٣] طه (٢٠) الآيه ١٣١.

[١١٤] أى: يوم صيف حار.

[١١٥] أى: نام تحتها نوم قيلوله.

[١١٦] شعب الايمان، ج ٢، ص ١٦٦؛ الأنوار في شمائل النبي المختار، ج ١، ص ٣٢٢، ح ٤٢٥؛ مكارم الأخلاق، ج ١، ص ٦٤؛ البحار، ج ١٦، ص ٢٣٩.

[١١٧] نهج

البلاغه، ص ١٠٦ الخطبه ٨٢ فى ذم صفه الدنيا؛ البحار، ج ٧٣، ص ١٢٠، ح ١١٠، و ص ١٣٣، ح ١٣٦.

[١١٨] لم نجد نصا صريحا كذلك، بل بصيغه اخرى، فانظر الهامش السابق.

[١١٩] صحيفه الامام الرضا عليه السلام، ص ١٥؛ البحار، ج ١٦، ص ٢٢٥، ح ٢٨.

[١٢٠] فى المصادر: «بذيه» و هو الظاهر فى السياق.

[١٢١] المحاسن للبرقى، ٤٥٧ الكافى، ج ٦، ص ٢٧١، ح ٢؛ مكارم الأخلاق، ج ١، ص ٤٨، ح ١١؛ البحار، ج ١٦، ص ٢٢٦، ح ٣١.

[١٢٢] الفالوذج: حلواء تعمل من البر و السمن و العسل، و هى معربه.

[١٢٣] مكارم الأخلاق، ج ١، ص ٧١ ح ١٣؛ البحار، ج ١٦، ص ٢٤٣.

[١٢٤] الخصال، ص ٢٧٢، باب الخمسه؛ جامع أحاديث الشيعة، ج ١٥، ص ٦٠٢، ح ١٩٧١.

[١٢٥] أمالى الطوسى، ج ٢، ص ٤٠٥، ح ١٤؛ مكارم الأخلاق، ج ١، ص ٤٧، ح ٤.

[١٢٦] الخصال، ج ٢، ص ٤٩٠، ح ٦٩؛ أمالى الصدوق، ص ١٤٤؛ البحار، ج ١٦، ص ٢١٤، ح ١.

[١٢٧] أصول الكافى، ج ١، ص ٤٤٦، ح ٢٠؛ مكارم الأخلاق، ج ١، ص ٦٢، ح ٥٢؛ البحار، ج ١٦، ص ٢٣٧.

[١٢٨] صحيفه الامام الرضا عليه السلام، ص ١١٦، ح ٧٦، الكافى، ج ٨، ص ١٣١، ح ١٠٢؛ أمالى المفيد، ص ١٢٤، ح ١؛ أمالى الطوسى، ج ٢، ص ٣٠٤، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٣٠، ص ٣٦، مكارم الأخلاق، ج ١، ص ٦٢، ح ٥٧؛ البحار، ج ١٦، ص ٢٣٨.

[١٢٩] الأحزاب (٣٣) الآيه ٢٨ و ٢٩.

[١٣٠] مجمع البيان، ج ٨، ص ٣٥٣؛ تفسير البرهان، ج ٣، ص ٣٠٧؛ تفسير الميزان، ج ١٦، ص ٣١٦.

[١٣١] مجمع البيان، ج ٨، ص ٣٥٣؛ البرهان، ج ٣،

ص ٣٠٧؛ الميزان، ج ١٦، ص ٣١٥.

[١٣٢] تفسير الميزان، ج ١٦، ص ٣١٥.

[١٣٣] الخادم يقع على الذكر و الأنثى.

[١٣٤] مستدرک الوسائل، ج ١٦، ص ٢٢٦، ح ٢؛ ص ٢٨٣ عن كتاب التمحيص، ص ١٣، ح ٢١، و ص ٤٨، ح ٧٩.

[١٣٥] البرم بضم الباء: قدر من حجاره.

[١٣٦] قرب الاسناد، ص ٦٩؛ البحار، ج ١٦، ص ٢١٩، ح ٩.

[١٣٧] صحيح البخارى، ج ٣، ص ٢٠١؛ كتاب الهبه، ح ٢؛ فضائل الخمسه، ج ١، ص ١٧٦.

[١٣٨] البحار، ج ١٦، ص ٢٤٣؛ مكارم الأخلاق، ج ١، ص ٧١، ح ٩٤.

[١٣٩] مكارم الأخلاق، ج ١، ص ٦٥، ح ٦٦؛ مستدرک الوسائل، ج ١٣، ص ٣٨٨، ح ٢؛ البحار، ج ١٦، ص ٢٣٩.

[١٤٠] عمدته عيون الأخبار لابن البطريق، ص ٢٤٢، ح ٣٦٩؛ مناقب ابن المغازلى، ص ١٥٦.

[١٤١] طه (٢٠) الآيه ١ و ٢.

[١٤٢] انظر: تفسير القمى، ص ٤١٧؛ أنوار التنزيل للبيضاوى، ج ٢، ص ١٧٠؛ مجمع البيان، ج ٧، ص ٢؛ عنها البحار، ج ١٦، ص ٨٥، ح ٣ و ٤.

[١٤٣] الاسراء (١٧) الآيه ١.

[١٤٤] سبأ (٣٤) الآيه ١٣.

[١٤٥] الأثفيه والاثفيه: الحجر الذى توضع عليه القدر، و جمعها أثافى و أثاف. (لسان العرب، ماده: أثف).

[١٤٦] لم نعثر عليه.

[١٤٧] المائده (٥) الآيه ١١٨.

[١٤٨] سنن النسائى، ج ١، ص ١٥٦؛ فضائل الخمسه، ج ١، ص ١٦٨.

[١٤٩] النساء (٤) الآيه ٤١.

[١٥٠] مسند أحمد بن حنبل، ج ١، ص ٣٨٠؛ فضائل الخمسة، ج ١، ص ١٧٠.

[١٥١] الأفكل - بالفتح - الرعدة من برد أو خوف. (لسان العرب مادة: أفل).

[١٥٢] تفسير القمي، ص ٤٣٢؛ البحار، ج ١٦، ص ٢١٧، ح ٦.

[١٥٣] أمالي الطوسي، ج ٢، ص ٢٥٧؛ البحار، ج ١٦، ص ٢٢٢، ج ٧١،

[١٥٤] الاسراء (١٧) الآية ٧٩.

[١٥٥] نهج البلاغه، ص ٥١٠ رقم ٢٣٧؛ الوسائل، ج ١، ص ٤٦، ح ٣؛ تحف العقول، ص ٢٤٦؛ البحار، ج ٤١، ص ١٤، ح ٣ و ج ٧٠، ص ١٩٦، ح ١٤.

[١٥٦] البقره (٢) الآية ١٤٥.

[١٥٧] الرعد (١٣) الآية ٣٧.

[١٥٨] النساء (٤) الآية ١١٣.

[١٥٩] الأحزاب (٣٣) الآية ٢١.

[١٦٠] الأحزاب (٣) الآية ٣٣.

[١٦١] النساء (٤) الآية ٥٩.

[١٦٢] البقره (٢) الآية ١٢٤.

[١٦٣] الأحزاب (٣٣) الآية ٣٣.

[١٦٤] المفردات فى غريب القرآن، ص ١٨٨، ماده: رجس.

[١٦٥] تنوير المقياس من تفسير ابن عباس، ص ٣٥٣.

[١٦٦] تفسير الطبرى، ج ٥، ص ١٩٨؛ ذخائر العقبى، ص ٢٤، الدر المنثور، ج ٥، ص ١٩٨، و اللفظ للأول أسنده عن أبى سعيد الخدرى.

[١٦٧] ج ٧، ص ١٣٠.

[١٦٨] ج ٣، ص ١٤٧.

[١٦٩] ج ٣، ص ١٤٩.

[١٧٠] ج ١٢، ص ٨٥.

[١٧١] ج ٣، ص ٢٥٨.

[١٧٢] ج ٨ ص ٢٧٤

[١٧٣] ج ٣ ص ١٨٥.

[١٧٤] ج ٣ ص ١٥٨.

[١٧٥] آل عمران (٣) الآية ٤٢.

[١٧٦] الكهف (١٨) الآية ١١٠.

[١٧٧] البقره (٢) الآية ٩٧.

[١٧٨] الشعراء (٢٦) الآية ١٩٥-١٩٢.

[١٧٩] طه (٢٠) الآية ١١٤.

[١٨٠] الشورى (٢) الآية ٥١.

[١٨١] يونس (١٠) الآية ١٥.

[١٨٢] النساء (٤) الآية ١٦٣.

[١٨٣] القصص (٢٨) الآية ٧.

[١٨٤] المائده (٥) الآية ١١١.

[١٨٥] مريم (١٩) الآية ١١.

[١٨٦] فصلت (٤١) الآية ١٢.

[١٨٧] النحل (١٦) الآية ٦٨.

[١٨٨] الأعراف (٧) الآية ١٧٩.

[١٨٩] البقره (٢) الآية ١٨٥.

[١٩٠] القدر (٩٧) الآية ١.

[١٩١] طه (٢٠) الآية ١١٤.

[١٩٢] الاسراء (١٧) الآية ١٠٦.

[١٩٣] العلق (٩٦) الآية ١.

[١٩٤] الفرقان (٢٥) الآية ١.

[١٩٥] تفسير العياشى، ج ٢، ص ٢٠١، ح ١٠٦؛ تفسير البرهان، ج ٢، ص ٢٧٦، ح ٧، فى تفسير الآية (١٢٠) من سوره يوسف؛
البحار، ج ١٨، ص ٢٦٢، ح ١٦.

[١٩٦] النجم (٥٣) الآية ٣

[١٩٧] الفتح (٤٨) الآية ٢٧.

[١٩٨] الصفات (٣٧) الآية ١٠٤ و ١٠٥.

[١٩٩] السيره النبويه لابن هاشم، ج ١، ص ٢٢٣.

[٢٠٠] السيره النبويه لابن هشام، ج ١، ص ٢٢٠ و ٢٢١ و في هامشه استدراك لما في المتن بعبارات مغايره.

[٢٠١] الأعراف (٧) الآية ١٨٥.

[٢٠٢] الفرقان (٢٥) الآية ١.

[٢٠٣] آل عمران (٣) الآية ١٦٤.

[٢٠٤] البقره (٢) الآية ١٥١.

[٢٠٥] آل عمران (٣) الآية ١٠٣.

[٢٠٦] الاسراء (١٧) الآية ٩٤ و ٩٥.

[٢٠٧] عوالى اللآلى، ج ١، ص ٢٠٩، ح ٤٨ و ج ٣، ص ٥٢٨، ح ٣.

[٢٠٨] الرحمن (٥٥) الآية ١ و ١٦.

[٢٠٩] الحجر (١٥) الآية ٢٧.

[٢١٠] اى: لا تمزج.

[٢١١] الرحمن (٥٥) الآية ٣٣.

[٢١٢] الكهف (١٨) الآية ٥٠.

[٢١٣] الجن (٧٢) الآية ٨.

[٢١٤] الأحقاف (٤٦) الآية ٢٩ و ٣٠.

[٢١٥] الجن (٧٢) الآية ٩ و ٦.

[٢١٦] الجن (٧٢) الآية ٩ و ٦.

[٢١٧] الرحمن (٥٥) الآية ٥٦.

[٢١٨] النمل (٢٧) الآية ١٧.

[٢١٩] النمل (١٧) الآية ٣٩.

[٢٢٠] سبأ (٣٤) الآية ١٢.

[٢٢١] سبأ (٣٤) الآية ١٣.

[٢٢٢] الأنعام (٦) الآية ١١٢.

[٢٢٣] الذاريات (٥١) الآية ٥٦.

[٢٢٤] الرحمن (٥٥) الآية ٣٩.

[٢٢٥] البروج (٨٥) الآية ٢٠.

[٢٢٦] البروج (٨٥) الآية ٢٠.

[٢٢٧] الأنعام (٦) الآية ١٣٠.

[٢٢٨] الأحقاف (٤٦) الآية ٢٩-٣١.

[٢٢٩] الجن (٧٢) الآية ١٤.

[٢٣٠] الجن (٧٢) الآية ١٥ و ١٦.

[٢٣١] الأعراف (٧) الآية ١٧٩.

[٢٣٢] الأنعام (٦) الآية ١٢٨.

[٢٣٣] مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٣٣؛ البحار، ج ١٦، ص ٢١٠ و ٢٨٧؛ أمالي الطوسي، ج ١، ص ٢٧.

[٢٣٤] أمالي الطوسي، ج ٢، ص ٩٢؛ جامع أحاديث الشيعة، ج ١٤، ص ٢١١، ح ٢٢٩٥.

[٢٣٥] أمالي المفيد، ص ٦٦، ح ١٣؛ أمالي الطوسي، ج ١، ص ٢٣٣، ح ٥١ تحف العقول، ص ٥٦.

[٢٣٦] أعلام الدين، ص ٦٤؛ مشكاة الأنوار، ص ٢٨٣؛ تحف العقول، ص ٤٨.

[٢٣٧]

المحاسن للبرقي، ج ١، ص ٢٨٦؛ تحف العقول، ص ٥٢؛ الوسائل، ج ١١، ص ١٤١، ح ٦.

[٢٣٨] البحار، ص ٦٩، ص ٣٩٠، ح ٦٢ و ج ٦٩، ص ٤٠٣؛ الكافي، ج ٢، ص ١١٦، باب الانصاف و العدل، ح ٢، و في الأخيرين عن أبي عبدالله عليه السلام.

[٢٣٩] تنبيه الخواطر، ج ٢، ص ٥١؛ أعلام الدين، ص ١١٩ و ٢٠٣؛ الوسائل، ج ١١، ص ٢٢٥، ح ٦؛ البحار، ج ٧٥، ص ٢٩، ح ٢٢.

[٢٤٠] فقه الرضا عليه السلام، ص ٣٥٥؛ البحار، ج ٧٤، ص ٢١، و ص ٨٣، ح ٩٣ عن نوادر الراوندي و ص ٩٧، ح ٣٣.

[٢٤١] نوادر الراوندي، ص ١٥؛ البحار، ج ٧٥، ص ٢٩، ح ١٩ و ج ٦٩، ص ٤٠٣، ح ٩.

[٢٤٢] مشكاة الأنوار، ص ٥٥؛ جامع أحاديث الشيعة، ج ١٥، ص ٣٥٢، ح ١١١٥.

[٢٤٣] أمالي الطوسي، ج ٢، ص ٢٧؛ البحار، ج ٧٤، ص ٤١٧، ح ٣٦.

[٢٤٤] كتاب الزهد، ص ٣١، ح ٧٩؛ الوسائل، ج ١١، ص ٥٣٧، ح ٥.

[٢٤٥] المستدرک، ج ٢، ص ١٠٠، ب ١٢٠، ح ٣٣؛ التحف، ص ١٤؛ البحار، ج ٧٧، ص ٦٧.

[٢٤٦] عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٥١، ب ٣١، ح ١٩٧؛ أمالي الصدوق، ص ١٨٢ روضه الواعظين، ج ٢، ص ٣٧٣؛ البحار، ج ٧١، ص ٩، ح ١٣.

[٢٤٧] الكافي، ج ٢، ص ٤٨٢، ح ١ و ٢؛ الجعفریات، ص ١٦٨.

[٢٤٨] نزهه الناظر، ص ١١، أمالي الصدوق، ص ٢٠، ح ٩؛ البحار، ج ٧٧، ص ١٦٦ و ١٧٣.

[٢٤٩] عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٥٣، ب ٣١، ح ٢٠٤؛ البحار، ج ٧١، ص ٣٨٤، ح ٢٢.

[٢٥٠] مكارم الأخلاق، ج ١، ص ٦٣، ٦٤؛ البحار، ج ١،

ص ٢٣٩. و تقدم فى ص ٨٨ تحت رقم ٤، فراجع.

[٢٥١] تحف العقول، ص ٤٧؛ إرشاد القلوب، ص ١٣٣.

[٢٥٢] الكافى، ج ٢، ص ٨٤، باب حسن البشر، ح ٤.

[٢٥٣] الموطأ لمالك بن أنس، ص ١٩٥، كتاب الجهاد؛ فضائل الخمسه؛ ج ١، ص ١٣٦.

[٢٥٤] مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٣٣؛ مستدرک الوسائل، ج ٨، ص ٣٢، ح ٢٤. و قد تقدم فى ص ٦٠، تحت رقم ١، فراجع.

[٢٥٥] تحف العقول، ص ٥٨؛ البحار، ج ٧٧، ص ١٦١، ح ١٨٠.

[٢٥٦] جامع الأخبار، ص ٤٣٧، ح ١٢٢٦؛ البحار، ج ٧٥، ص ٢٦٦، ح ١٦ و ص ٣٧٧، ح ٣١.

[٢٥٧] اصول الكافى، ج ٢، ص ٢٤٧، باب الفخر و الكبر، ح ٥؛ الوسائل، ج ١١، ص ٣٣٥، ح ٤.

[٢٥٨] تنبيه الخواطر، ج ١، ص ١٣٣؛ مستدرک الوسائل، ج ٨، ص ٢٧٣، ح ٥؛ البحار، ج ١٦، ص ٢٨٣، ح ١٣٠؛ جامع

الأحاديث، ج ١٩، ص ١٦٣، ح ١٠.

[٢٥٩] السيره النبويه لابن هشام، ج ٢، ص ٦٦ و ٦٧؛ سيد المرسلين، ج ٢، ص ١٥٣.

[٢٦٠] أعلام الدين، ص ٣٤٠؛ البحار، ج ٧٢، ص ١٩٩، ح ٢٩ عن عدّه الداعى.

[٢٦١] تاريخ الطبرى، ج ٢، ص ١١٩، فى قصه الحديدى؛ السيره الحلييه، ج ٢: باب صلح الحديدى.

[٢٦٢] تحف العقول، ص ٥٨؛ البحار، ج ٧٧، ص ١٦١، ح ١٧٩.

[٢٦٣] البحار، ج ٦، ص ٢٢٠ عن علل الشرائع، عنهما درر الأخبار، ص ٥١. و فى أكثر النسخ (لا تجزى) بدل (لا تجرى).

[٢٦٤] كنز الكراچكى، ص ١٦٤؛ البحار، ج ٢، ص ٢٦٠، ح ١٧.

[٢٦٥] النساء (٤) الآيه ١٠٣.

[٢٦٦] المائده (٥) الآيه ٤٥.

[٢٦٧] البقره (٢) الآيه ١٧٨.

[٢٦٨] البقره (٢) الآيه ١٨٣.

[٢٦٩] لقمان (٣١) الآية ١٢.

[٢٧٠] الاسراء

- [٢٧١] تحف العقول، ص ٣٦؛ البحار، ج ٧٧، ص ١٣٩، ح ١٤.
- [٢٧٢] تحف العقول، ص ٥٨؛ البحار، ج ٧٧، ص ١٦٢، ح ١٨١.
- [٢٧٣] تحف العقول، ص ٣٦؛ البحار، ج ٧٧، ص ١٣٩، ح ١٠.
- [٢٧٤] البحار، ج ٧٧، ص ١٣٨، ح ٥؛ تحف العقول، ص ٣٥.
- [٢٧٥] تحف العقول، ص ٥٨؛ الوسائل، ج ١١، ص ٥٥٩، ب ١٨، ح ١ و ٢ و ٣.
- [٢٧٦] إرشاد القلوب، ص ١٨٩؛ المحججه البيضاء، ج ٥، ص ٢٩٠، و ما بين المعقوفتين أثبتناه من المصادر.
- [٢٧٧] المحاسن للبرقي، ج ١، ص ١٩٨، ح ٢٣؛ تحف العقول، ص ٤٧؛ عوالم العلوم للبحراني، ج ٣، ص ٢٣٢، ح ٥.
- [٢٧٨] تحف العقول، ص ٣٦؛ البحار، ج ٧٧، ص ١٣٩، ح ٩.
- [٢٧٩] البحار، ج ٧٧، ص ١٥٣، ح ١٢٢؛ تحف العقول، ص ٥٠.
- [٢٨٠] الخصال، ج ٢، ص ٤٠٦، ح ١؛ أعلام الدين، ص ٧٥؛ روضه الواعظين، ص ٣٤٤؛ تحف العقول، ص ٤٦ و ٥٥.
- [٢٨١] البحار، ج ١٤، ص ٢٨٧ عن أمالي الصدوق، درر الأخبار، ص ٩٧.
- [٢٨٢] الخصال، ج ١، ص ١٢١، باب الثلاثه؛ تحف العقول، ص ١٠؛ البحار، ج ٧٧، ص ٦٤، ح ٥.
- [٢٨٣] مشكاه الأنوار، ص ١٨٤؛ الوسائل، ج ٦، ص ٣١٤، ح ٥.
- [٢٨٤] أعلام الدين، ص ٢٩٤؛ نزّه الناظر، ص ١٠، ح ٢.
- [٢٨٥] تحف العقول، ص ٣٧؛ البحار، ج ٧٧، ص ١٤٠، ح ١٩.
- [٢٨٦] تحف العقول، ص ٣٧؛ البحار، ج ٧٧، ص ١٤٠، ح ١٩.
- [٢٨٧] الكافي، ج ٢، ص ١٤، باب الخلاص، ح ٦ «البحار، ج ٧٩، ص ٢٤٢.
- [٢٨٨] البحار، ج ١٠٣، ص ٧ و ٩ و ١٨ و ١١٩.
- [٢٨٩] الكافي، ج ٢، ص ١١٢، ح ٧، باب القناعه؛ وسائل الشيعة، ج ١٥، ص ٢٤٠؛ إثباه الهداه،

ج ١، ص ٤٢٧؛ و البحار، ج ٢٢، ص ١٢٨ و ج ٧٣، ص ١٧٧ و ج ٧٥، ص ١٠٨، ح ١١.

[٢٩٠] منيه المرید، ص ٣١؛ الكافي، ج ١، ص ٣٢، باب صفة العلم و فضله، ح ١.

[٢٩١] البقره (٢) الآيه ١٥١.

[٢٩٢] المائده (٥) الآيه ١٧.

[٢٩٣] التوبه (٩) الآيه ٣٠ و ٣١.

[٢٩٤] النساء (٤) الآيه ١٧١.

[٢٩٥] نهج البلاغه، ص ١٢١، الخطبه ٨٩.

[٢٩٦] الشافى فى الامامه، ص ٢١؛ الاحتجاج، ص ١٠٠ فى احتجاج الزهراء عليه السلام؛ شرح نهج البلاغه، ج ١٦، ص ٢١٠.

[٢٩٧] البقره (٢) الآيه ٢٣.

[٢٩٨] الاسراء (١٧) الآيه ٨٨.

[٢٩٩] مناقب آل أبى طالب، ج ١، ص ٤٥.

[٣٠٠] الاسراء (١٧) الآيه ٩.

[٣٠١] إبراهيم (١٤) الآيه ١٥.

[٣٠٢] الكامل فى التأريخ، ج ٥، ص ٢٩٠؛ تأريخ يعقوبى، ج ٢، ص ٣٣٥، و الظاهر أن الصحيح هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك كما فى هنا و بقيه كتب التاريخ.

[٣٠٣] الزمر (٣٩) الآيه ١٧ و ١٨.

[٣٠٤] النحل (١٦) الآيه ٩٠.

[٣٠٥] النمل (٢٧) الآيه ١٤.

[٣٠٦] يوسف (١٢) الآيه ٨٠.

[٣٠٧] الحج (٢٢) الآيه ٧٣.

[٣٠٨] الأنبياء (٢١) الآية ٢٢.

[٣٠٩] هود (١١) الآية ٤٤.

[٣١٠] الاسراء (١٧) الآية ٨٨.

[٣١١] الخرائج و الجرائح للراوندى، ص ٢٤٢؛ الاحتجاج للطبرسى؛ ج ٢، ص ٣٧٧؛ عنهما البحار، ج ١٧، ص ٢١٣.

[٣١٢] البقره (٢) الآية ١٧٩.

[٣١٣] ص (٣٨) الآية ٦٥.

[٣١٤] المدثر (٧٤) الآية ١ و ٢.

[٣١٥] الشعراء (٢٦) الآية ٢١٤.

[٣١٦] الحجر (١٥) الآية ٩٤.

[٣١٧] سيره المصطفى صلى الله عليه و آله، ص ١٥٢.

[٣١٨] مناقب آل أبى طالب، ج ١، ص ١٥١؛ السيره النبويه، ج ١، ص ١١٥-١١٢؛ البحار، ج ١٩، ص ١٢٤، ح ٩.

[٣١٩] سبأ (٣٤) الآية ١٣.

[٣٢٠] راجع تاريخ التمدن الاسلامى لجرجى زيدان، فى حياه الرسول صلى الله عليه

و آله و سيره المصطفى، الفصل الثاني.

[٣٢١] الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٢٢٩؛ تاريخ الطبري، ج ٢، ص ١٠٠؛ نور الأبصار، ص ٢١؛ إعلام الوري، ص ٦١؛ البحار، ج ١٩، ص ٤٨؛ سيد المرسلين، ج ١، ص ٥٨٧.

[٣٢٢] البحار، ج ٦، ص ٤٤٥؛ شرح نهج البلاغه، ج ٣، ص ٢٧٣.

[٣٢٣] أي: أكل منها، ذاقها.

[٣٢٤] إثبات الوصيه، ص ٩٩؛ إعلام الوري، ص ٤١ و ٤٢؛ فضائل الخمسه، ج ١، ص ٣٨٠؛ كنز العمال، ج ٦، ص ٧٩٣؛ الطبقات الكبرى، ج ١، ق ١، ص ١٢٤.

[٣٢٥] الأحزاب (٣٣) الآيه ٤٥.

[٣٢٦] الأحزاب (٣٣) الآيه ٤٧.

[٣٢٧] البقره (٢) الآيه ٢٥.

[٣٢٨] الزمر (٣٩) الآيه ١٧ و ١٨.

[٣٢٩] الفجر (٨٩) الآيه ١٤.

[٣٣٠] البقره (٢) الآيه ٢٥٦.

[٣٣١] إشاره إلى قول أحدا الشعراء: «الناس للناس من بدو و من حضر... بعض لبعض و إن لم يشعروا خدم».

[٣٣٢] الأحزاب (٣٣) الآيه ٤٥ و ٤٦.

[٣٣٣] النحل (١٦) الآيه ١٢٥.

[٣٣٤] الأنعام (٦) الآيه ١٥١ و ١٥٢.

[٣٣٥] تفسير القمي، في تفسير سورة الأنعام الآيه ١٥١ و ١٥٢؛ إعلام الوري، ص ٥٥؛ البحار، ج ١٩، ص ٨، ح ٤.

[٣٣٦] الأنعام (٦) الآيه ١٥١.

[٣٣٧] النحل (١٦) الآيه ٩٠.

[٣٣٨] دلائل النبوه لأبي نعيم، ج ١، ص ٢٠٦.

[٣٣٩] تحف العقول، ص ٤٢-٤١؛ مشكاة الأنوار، ص ٧٥؛ البحار، ج ٧٧، ص ١٤٥، ح ٤٥؛ الوسائل، ج ٨، ص ٤٣٣، ح ١؛ المستدرک، ج ٢، ص ٤٢٢، ب ٦، ح ٩.

[٣٤٠] الكافي، ج ٨، ص ٤١٩ و ١٥٠، ح ١٣٠.

[٣٤١] الأعراف (٧) الآية ٢٣-١٩.

[٣٤٢] العنكبوت (٢٩) الآية ٦٩.

[٣٤٣] أعلام الدين، ص ٣٣١، ح ١؛ البحار، ج ٧٧، ص ١١٠، ح ١، ص ١٧٥، ح ١٠؛ إرشاد القلوب، ص ٣٦.

[٣٤٤] الخصال، ص ١٢٤، ص ١٢١؛ البحار، ج

٧٤، ص ٤٤، ح ١؛ تحف العقول، ص ٧.

[٣٤٥] الهزاهز: هي الفتن من الشدائد و الحروب التي تهز الناس.

[٣٤٦] البحار، ج ٧٧، ص ٤٨-٤٦؛ من لا يحضره الفقيه، ص ٢٥٤، ح ٨٣١.

[٣٤٧] البحار، ج ٧٧، ح ٣؛ تنبيه الخواطر ج ٢، ص ٥١.

[٣٤٨] أعلام الدين، ص ٣٣٣؛ البحار، ج ٧٧، ص ١٧٦، ح ١٠.

[٣٤٩] تحف العقول، ص ٣٤.

[٣٥٠] أعلام الدين، ص ٣٣٤؛ البحار، ج ٧٧، ص ١٧٧، ح ١٠.

[٣٥١] الخصال، ج ٢، ص ٥٢٢، ح ١٢؛ منية المرید، ص ٢٧؛ تحف العقول، ص ٢٨، البحار، ج ١، ص ١٦٦.

[٣٥٢] تحف العقول، ص ٥٤؛ إرشاد القلوب، ص ١٩٩؛ مستدرک الوسائل، ج ٢، ص ٢٨٧، ح ٢٣؛ جامع أحاديث الشيعة، ج

١٣، ص ٢٩٥، ح ٢٦؛ البحار، ج ٧٧، ص ١٥٨، ح ١٤٤.

[٣٥٣] الذاريات (٥١) الآية ٥٥.

[٣٥٤] العنكبوت (٢٩) الآية ٤٦.

[٣٥٥] البقره (٢) الآية ١١١.

[٣٥٦] البقره (٢) الآية ١١١.

[٣٥٧] يس (٣٦) الآية ٧٨.

[٣٥٨] يس (٣٦) الآية ٧٩ و ٨٠.

[٣٥٩] يس (٣٦) الآية ٨١.

[٣٦٠] الاحتجاج للطبرسي، ج ١، ص ٢٨-٢١ و ص ٣٨-٢٩، في احتجاجات النبي عليه السلام.

[٣٦١] المائده (٥) الآية ٦٧.

[٣٦٢] المائده (٥) الآية ٤١.

[٣٦٣] إرشاد المفيد، ص ١٠٤-٥٩ إعلام الوري، ص ١٣٠؛ كشف الغمه، ج ١، ص ٢٣٥؛ الوسائل، ج ٨، ص ١٦٨، ح ٣٢؛ البحار، ج ٢١، ص ٣٨٣، إضافة إلى ما نقله العلامة المرحوم الأميني في كتابه الغدير من طرق أهل السنه، فراجع.

[٣٦٤] المعارج (٧٠) الآيه ١ و ٢.

[٣٦٥] السيره الحلبيه، ج ٢، ص ٣٩٦؛ نور الأبصار للشبلنجي، ص ٧١.

[٣٦٦] فضائل أحمد بن حنبل، ص ٥٧٢.

[٣٦٧] المائده (٥) الآيه ٥٥ و ٥٦.

[٣٦٨] الأحزاب (٣٣) الآيه ٦.

[٣٦٩] النساء (٤) الآيه ٥٩.

[٣٧٠] التوبه (٩) الآيه ١٠٧ و ١٠٨.

[٣٧١]

تفسير القمى، ج ١، ص ٣٠٥، مجمع البيان، ج ٥، ص ٧٤ - ٧٢.

[٣٧٢] طه (٢٠) الآية ٢٥.

[٣٧٣] القصص (٢٨) الآية ٣٥.

[٣٧٤] نور الأبصار للشبلنجى (و بهامشه إسعاف الراغبين)، ص ٨٦؛ التفسير الكبير، فى تفسير سوره المائده، الآية ٥٥؛ و نقله الثعلبى فى تفسيره؛.

[٣٧٥] الأحزاب (٣٣) الآية ٤٠.

[٣٧٦] كنز الكراچكى، ص ١٦٤، س ٧؛ مستدرک الوسائل، ج ١٢، ص ٢١٧، ح ٢؛ الوسائل، ج ١٨، ص ١٢٤، ح ٤٧.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

